رواية

مها آدم

المملكة المطموسة

عصير الكتب

مكتبة ياسمين

مكتبة ياسمين

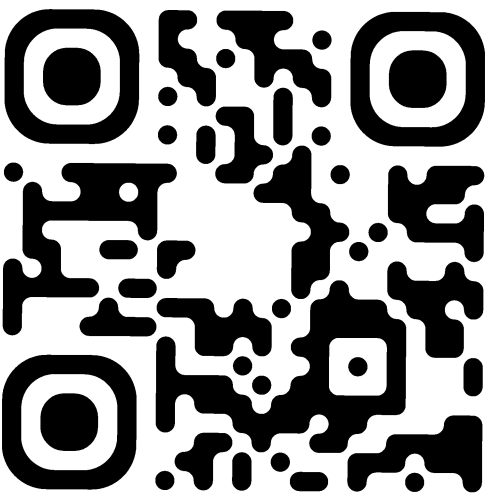

المملكة المطموسة

عصير الكتب

telegram @
yasmeenbook

- الطبعة الأولى: يناير 2023م
- المؤلفة: مها آدم
- رقم الإيداع: 29267/2022م
- تدقيق لغوي: مُهاب هشام
- الترقيم الدولي: 978-977-992-201-0
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي

رواية

مها آدم

المملكة المطموسة

إهداء

إلى أبي وأمي

حفظكما الله من كل مكروه.

telegram @
yasmeenbook

الفصل الأول

(خروج الوحوش)

أخرجت رأسها من العربة مراقبة الطريق رغم تحذيرات أمها من الساحرة السوداء التي تسرق رؤوس الأطفال إلا أن «نواها» لم تستطع منع نفسها خاصة مع وجود ثلاثة إخوة من الذكور فهي لا تحظى بوقت هادئ؛ تأكدت من نوم عائلتها ثم عادت تستمتع بسكون الليل وهوائه البارد وسمائه المضيئة بالنجوم، اعتادوا التنقُّل كل بضعة أشهر بسبب عمل والدها، أو ربما بسبب طباعه هكذا أخبرتها أمها.

متأملة التلال البعيدة لاحظت ظلًا يركض بنفس سرعة العربة، مدت رقبتها تتبين الأمر لكن الظلام دامس، خفق قلبها هل توقظ أمها أم تحذر أباها الجالس بالخارج يوجِّه العربة.

العربة تسرع و«نواها» تحدِّق إلى التلال لتجد الظل اختفى ربما يخدعها خيالها، شعرت بالخوف وقررت محاولة النوم لكن صورة الظل وهو يركض بجانب العربة لا تفارق مخيلتها، سمعت صوت صراخ حيوان ما فانتفضت من مكانها، أوقف أبوها العربة فاستيقظ الجميع.

«اللعنة ما بك»، قالتها أمها وهي تتحسس رأسها.

فتح أبوها العربة: «اصمتي يا امرأة، شيء مر من أمامي وجعل الخيول تجفل».

بالفعل الخيول تُصهل بصوت أقرب إلى المواء وكأنها تتألم

قال أبوها: «انتظروا هنا».

وتوجه إلى التلال القريبة مشهرًا سيفه أمامه، ثم صرخ محذِّرًا اللصوص الوهميين. «نواها» وحدها تعلم أنهم ليسوا لصوصًا، من يركض بتلك السرعة وسط تلال يرتفع وينخفض ليس آدميًّا، ولكنها فضَّلت الصمت.

نزل أخوها الأكبر وخلفه أمهما، فقالت «نواها»: «اللعنة! لن أنتظر بالعربة أنا أيضًا».

راقبت أباها يهبط من التل حتى سمع صوتًا جعله يتجمد مكانه، طلب من زوجته إحضار المصباح.

ناولته له: «دعنا نغادر».

لم يهتم بالرد عليها ومد المصباح ليضيء أمامه ثم قال: «اصرخ إن أردت مساعدة».

لحظات مريبة من الصمت مرت لا يسمعون فيها إلا صوت أنفاسهم المضطربة ثم دَوَى صوت صراخ يصم الآذان كأن مائة وحش يعوون، المرعب أن الأصوات قدمت من كل الاتجاهات وليست من التلال البعيدة.

صرخ الرجل في عائلته ليعودوا للعربة، الخيول تصهل من الخوف محاولة الفرار لكنه أمسك بهم، اطمأن أن عائلته كلها صعدت ثم همس للخيول بشيء ما وتسلق العربة لينطلق على الطريق:

«اللعنة ما كان علي التوقف».

شعر بظل أسود على يمينه يهرول بنفس سرعة العربة، حدق الرجل إلى الشيء الذي يتبعه وارتعد خوفًا: «اللعنة، يا ليتني لم أتوقف يا ليتني لم أنظر».

القصص صحيحة إذن: حذَّره الجميع من هذا الطريق لكنه أراد اختصار الوقت والجهد، الوحوش حقيقة، لم يستطع تحديد الحيوان الذي يركض بجانبه لكنه يهرول على أربع، له جسد رجل يغطيه الشعر الكثيف ورأسه لثور أسود، وقف مذعورًا على مقدمة العربة وأطلق السوط على الأحصنة: «أسرعن يا فتيات وسأشتري لكن التفاح الطازج غدًا».

عندها فقط انقلبت العربة، شيء ما أتى من الجهة الأخرى وأطاح بهم.

***

فقد الوعي لدقائق معدودة ليستيقظ على صراخ زوجته: «لقد أخذوها، لقد أخذوها».

وجد أبناءه الذكور الثلاثة لكن أين الفتاة؟ عندها تبين ما تقوله، لقد أخذوا ابنته، صرخ في زوجته واضعًا خنجرًا بين يديها وهرول خلف الوحوش، تتبع آثارهم مرتعشًا على الأرض الرملية، لديهم أرجل وأيادٍ لكن هذا لم يمنعهم من الركض على أربع كالوحوش.

«اللعنة»، أشهَرَ سيفه ولم يبتعد إلا دقائق معدودة حتى وصل إلى وادٍ عميق تحفُّه الجبال من كل الاتجاهات والحشائش الطويلة التي تبدو كأشجار، أضاء القمر المكان فوجد بركة مياه صغيرة تقع في نهاية الوادي أدخل سيفه ثم بدأ في النزول صارخًا باسمها «نوااااااااااااها... نوااااااااااااها».

حاول الإنصات، هي صغيرة السن ولكنها قوية، ستحارب. سمع أصواتًا مكتومة، إنها هي؛ اقترب من الحشائش الغريبة؛ خضراء داكنة بطول رجُلين أو ثلاثة وأوراقها تبدو كالسيوف الرفيعة. قطع أول مجموعة قابلته ليخلي الطريق، خفق قلبه لمَّا رأى الحشائش تنزف دمًا، استجمع شجاعته وتقدم مشهِرًا سيفه عندها شعر بشيء يقترب تفاداه وطوح سيفه بقوة ولكنه لم يدركه تكرر الأمر أكثر من مرة، فكر أنهم لو أرادوا قتله فلا يمنعهم شيء لذلك ركض غير عابئ بحياته، بضع دقائق ثم وجدهم؛ الوحوش المخيفة تمسك بابنته ذات الأحد عشر عامًا.

أجهش في البكاء: «طفلتي».

وضع الوحش كفه المشعِرة على فمها واليد الأخرى تمسك بجسدها الضئيل ومن حوله الوحوش يزفرون دخانًا كثيفًا من أنوفهم، بدوا كالرجال ولكن يكسو أجسادهم فراء كالحيوانات، الوحش الممسك بابنته له وجه ثور أسود ضخم بجانبه يقف من له وجه خنزير بنِّي وآخر له وجه دب أبيض، عددهم يقترب من العشرين، عندها تذكر «اللعنة» هل يمكن! نزل ليركع على ركبتيه محنيًا رأسه: «بسم الإله أنير الطريق، بسم الإله أحيِّي الصديق، بسم الإله أبعث التحيات، بسم الإله جئت في سلام».

عندها فقط توقفت الوحوش عن الخوار.

تفحصهم زائغ العينين ثم خرج صوته مرتعشًا: «أنا عابر سبيل أمر مع أسرتي يا سادة ولا أبتغي شرًا وتلك ابنتي، طفلة وليست امرأة بعد هي ليست بملكتكم فاتركوها واتركونا بسلام ولكم كلمات رجل صالح لن أمر من هنا أبدًا».

تقدم الوحش الممسك بابنته حتى وصل إليه ثم زأر في وجهه، حاول الرجل عدم التحرك؛ لا بد وأنه يختبره، ترك ابنته عند قدمه وتراجع، الفتاة ملقاة على الأرض فاقدة الوعي، ربما هذا أفضل لها. حمل جسد ابنته ثم أحنى رأسه في أدب وابتعد لكنه لم يعطِ ظهره للوحوش هو ليس بأحمق، عندها عوت الوحوش لتهتز الجبال من حولهم، تجمد الرجل مكانه وأحنى رأسه محتضنًا ابنته بقوة، تقدم الثور الأسود وأخرج أصواتًا متقطعةً ثم توقف، حاول ثانية، رفع رأسه محاولًا فهم ما يحدث هل يريد الوحش التحدث؟! عندها قال الوحش كلمات مقتضبة: «الملكة... إحضارها... اللعنة... وإلا... نخرج... الأرض».

«تريدون ملكتكم لفك اللعنة»، قالها محاولًا تفسير كلمات الوحش؛ هز الوحش رأسه.

«أمرك سيدي»، قالها ثم ابتعد حاملًا ابنته دون إعطاء ظهره لهم، فر من غابة الحشائش موشكًا على البكاء غير مصدق أن القصص السخيفة التي اعتادت جدته قصَّها عليه حقيقة، الكلمات التي لعب بها مع أشقائه أنقذت حياة ابنته، وصل إلى عربته الملقاة على الأرض فصرخت زوجته عند رؤيته فقال: «إنها فاقدة الوعي».

أمسكت بابنتها لتضرب وجهها ببعض الماء، فتحت الفتاة عينيها صارخة فاحتضنتها.

«أحضر الماء والطعام فقط واترك أي شيء آخر»، قالها لابنه ثم حمل الفتاة وأمر عائلته بالركض خلفه.

«أسرعوا»، قالها كلما شعر بزوجته وأبنائه يبتعدون أو يشعرون بالتعب.

ظهرت من بعيد أشعة الشمس عندما قابلوا أول منزل على الطريق، طرق الباب بقوة وبعد فترة فُتح الباب كاشفًا عن رجل عجوز يفرك عينيه ساخطًا ليتوقف مذهولًا أمامهم.

«يا إلهي»، قالها الرجل العجوز وهو يأخذ الفتاة من بين ذراعي أبيها المنهك سامحًا لهم بالدخول.

****

جلست «رونيم» في بهو القصر تنتظر تقرير مصيرها، الأحداث الأخيرة عصفت بحياتها وحياة كل من في الممالك الثلاث أم عليها قول الممالك الأربع الآن، تعالت الأصوات داخل غرفة الاجتماعات، استطاعت تمييز صوت الوزير «أسطبون» يصرخ غاضبًا؛ إنه من أكثر الأشخاص الرافضين لذهابها، رافضٌ أكثر من أسرتها، قررت السير قليلًا لعلها تتخلص من توترها، سيستدعونها ولذلك ستبقى قريبة. مرت أمام الغرفة تتمنى الدخول أصواتهم غير واضحة فلا تفهم شيئًا، يقررون مصيرها وهي تجلس في الخارج ليس لها رأي فيما سيحدث، ربما تقتحم الغرفة، كلا ليست بتلك الشجاعة. سارت قليلًا حتى وصلت إلى غرفة المكتب الخاصة بأبيها عن يمينها مكتب خشبي ضخم خلفه خريطة كاملة للممالك الثلاث، اقتربت تلقي نظرة أقرب، اعتادت وجود تلك الخريطة منذ كانت طفلة تلعب تحت مكتب أبيها مع أختها لكن الآن تراها بعين مختلفة، أبعدت المقعد لترى الخريطة كاملة، في الشمال تقبع مملكة «تلفورن» أسفل منها تقع مملكتها «مورينان» وهي أكبر مملكة وتمتد حتى الجنوب ويقع على يسارها مملكة «معيوران»، طوال حياتها ترى الممالك الثلاث فقط، مؤخرًا كتب أبوها بخط مرتعش اسم المملكة الرابعة «المملكة المطموسة».

«الأميرة رونيم».

قالها الحاجب بصوت جهوري لتقفز من مكانها وتسرع إليه، وقفت عند الباب تُعدل من هيئتها وتثبت التاج الفضي الصغير على شعرها الأسود، تنفست لتهدأ ثم دخلت غرفة الاجتماعات توسطتها طاولة طويلة جلس على رأسها الملك تقف بجانبه أمها متجنبة النظر إليها، الوزير «أسطبون» يجلس

على يساره ينظر لها في حزن، على يمينه جلس قائد جيوش المملكة و(حماها سابقًا) القائد «كالبان» وامتلأت المقاعد الأخرى بعدد من رجال المملكة.

الملك: «عزيزتي رونيم، هل تعلمين سبب استدعائك؟».

خرج صوتها مرتعشًا: «ظهور المملكة المطموسة».

- نعم عزيزتي، وهل تعرفين لِمَ سُميت كذلك؟

أرادت إخبار أبيها بما تعرفه عن المملكة المطموسة وما قَصَّته المربية عليها منذ طفولتها، كتب الأساطير التي قرأتها منذ تعلمها القراءة والتي قصت كل خرافات الممالك الثلاث، فهذا شغفها الحقيقي ولكنها فضَّلت الصمت وهزت رأسها بالنفي.

الملك: «حسنًا سأخبرك، منذ مائتي عام أو أكثر قُسمت أرضنا لأربع ممالك: مملكة «تلفورن» في الشمال، ومملكة «معيوران» في الغرب، ومملكتنا الحبيبة تقع في الجنوب، أما أكبر الممالك فتقع في الشرق وتدعى مملكة «الميورارك»، رأى حاكمها الملك «أريدان» أن على باقي الممالك الخضوع له لذلك أعلن الحرب، وقفت في وجهه الممالك الثلاث الأخرى واستطاعوا بعد ما يقرب من خمسين عامًا من المعارك الانتصار عليه لتقسم مملكته إلى ثلاثة أجزاء، وكل مملكة أخذت جزءًا ولكن بقي جزء بعيد لم يرغب أحد به، ولاية في منتصف الجبال بها قلعة شاهقة، بالطبع خاف الملوك الثلاثة ظهور جيش من تلك الولاية يؤرق السلام خاصة أن تلك الولاية لها ميناء خاص بها وموقع فريد على البحر، لذلك أخذوا يفكرون كيف يمكنهم حكم تلك الولاية، فكروا في إرسال أي رجل من عائلتهم ليحكمها لكنهم تخوفوا أن يعتبر نفسه ملكًا رابعًا، كما توجسوا من طموح الوزراء وحكام الولايات المحيطين بهم، وبسبب كونها بعيدة لم يرغب بها أحد من العائلة الملكية. في نفس الوقت حاكم مملكتنا شاب صغير السن أراد التخلص من خطبة ابنة عمه لكنه خاف من بطش عمه حيث كان رجلًا قويًا في البلاط، لذلك قرر إرسالها وطمأن الملوك الآخرين أنها بلا طموح سياسي، كما طمأن عمه أنها ستحكم لبضع سنوات ثم تعود وتتولى أميرة أخرى من مملكة مختلفة الحكم بعدها، بالطبع وعد عمه بإتمام مراسم الزواج فور عودتها من مدة حكمها للولاية، رفضت الفتاة لكن

أباها أرغمها خاصة أنه من أصحاب الطموح السياسي وظن أن تلك الولاية ستكون مملكة جديدة وستكون ابنته ملكة يومًا ما».

توقف الملك عن سرد القصة ونظر لابنته: «رونيم أنا لن أكرر أخطاء الماضي، لديك صوت خاص بك، لأني لن أتردد في إقامة حرب على الممالك الأخرى من أجلك».

رونيم: «أبي أرجوك، أنا لم أقرر بعد».

الملك: «حسنًا عزيزتي أين وصلت؟ آه نعم، تولت الفتاة حكم الولاية وذهبت معها سرية صغيرة من الجنود لحمايتها، الولاية صغيرة لكن سكانها قوم أشداء أصحاب كبرياء رفضوا حكمها، ولكن بمرور الأيام ومال أبيها استطاعت الفتاة الحكم بالعدل وفتحت التجارة مع باقي الممالك فبدأ الشعب في الإعجاب بها خاصة بعد ازدهار المكان، الجميع أعجب بها إلا قائد الجيش، شاب قوي تجرع كأس الهزيمة على يد قومها، من جهة أخرى الفتاة بدأت تميل له؛ شاب وسيم و... حسنًا أنتِ تعرفين صغار السن، أحبته وأرادت اتخاذه زوجًا لها، أخبرت خادمتها بنيتها، في نفس الوقت اتفق القائد مع رجاله على قتل الأميرة والقيام بانقلاب لاسترداد الولاية من الأعداء، قرر فعلها بنفسه، سيقتل الغازية ويحرر أرضه، استدعته الأميرة يومًا إلى جناحها لتصارحه بمشاعرها ونيتها في جعله حاكمًا للولاية بعد زواجهما ولكنه وجدها فرصة جيدة للتخلص منها، فاستدعى رجاله واتفق مع خادمتها التي عرفت بمشاعرها تجاهه لكنها لم تخبره، وقفت هناك تستمع لخطة قتلها على يده ولم تفكر في إخباره، تم الأمر! طعنها وألقى جثتها في النهر واتفق مع رجال الحكومة على تعيين مجلس انتقالي للمرحلة حتى تستقر الأمور ويختاروا حاكمًا من أبناء الولاية، بالطبع الممالك الأخرى جهزت الجيوش لاسترداد الولاية فذُبح نصف السكان وتم القبض على القائد وخادمتها التي اعترفت بكل شيء حتى مشاعر الأميرة تجاهه مباشرة قبل تنفيذ حكم الإعدام عليه؛ استردت الممالك الثلاث الولاية ثانية لكن بقيتْ المشكلة قائمة، من سيحكم؟ عندها تتطوع قائد جيش مملكة «معيوران» لتولي المهمة، سيذهب مع رجاله ويقوم بنشر الأمن والسلام في الولاية، بالطبع قوبل تطوعه باستحسان الجميع، فالرجل عُرف عنه القوة والحنكة في إدارة الأمور، إلى هنا والأمور بخير، ذهب قائد الجيش مع أسرته

ومساعده وسرية من رجاله وبدأ في تولي مهمته، كانت له ابنة واحدة، صغيرة السن جميلة ومهذبة، الفتاة تعلقت بمساعد أبيها الشاب؛ غريبان في مكان موحش، بدآ كلاهما في التقرب من الآخر واتفقا على الزواج، وفي ليلة زفافهما قام بطعنها لتسقط ميتة، بالطبع هناك الكثير من التأويلات التي خرجت وقتها عن سبب قتله لها وخاصة أن الجميع ظن أنه يحبها بجنون، إحدى الروايات قالت إن الفتى أصابه الجنون، قصص أخرى تحدثت عن لعنة الأميرة الأولى التي ستحل على كل من يفكر في حكم الولاية».

توقف الملك مرتشفًا جرعة من كأسه ثم أكمل: «بعد ذلك لم تذكر كتب التاريخ ما حدث حقًا أو ربما عدم حدوث شيء تسبب في جعل تلك الفترة غير مؤرخة، البعض قال إن أميرًا شابًا حكم الولاية مع زوجته لمدة ثلاثين عامًا عاشوا فيها بسلام، ولكن عادة تأتي الريح بما لا تشتهي السفن. بعد فترة طويلة من الرخاء والسلام أصبحت الولاية مرة أخرى دون حاكم، في هذا الوقت واجهت مملكة «تلفورن» حروبًا داخلية مزقت المملكة وكجزء من اتفاقية أعطى الملك زوجة أخيه مع ابنتيها حكم هذا الولاية، هنا علينا التوقف؛ زوجة أخيه لم تكن من العائلة الملكية والبعض أكد أنها من الغجر، قامت بسحر الأمير ليتزوجها وأنجبت منه فتاتين، مطرودة من البلاط قامت المرأة بالانتقال هي وفتاتاها إلى الولاية، اهتمام المرأة انصب على جمع المال ومحاولة تزويج ابنتيها لرجال ذوي أصول نبيلة ولكن محاولاتها باءت بالفشل لأن الولاية بعيدة عن الممالك الثلاث، حُكمها شَابَهُ بعض الأخطاء كفرض ضرائب مضاعفة على السكان وأخذ إتاوات من التجار ولكن في المجمل الأمور بخير، مر الوقت وارتبطت ابنتها الكبرى بقائد الحرس، شاب عسكري ذو مكانة مرموقة بين قرنائه، أحب الفتاة بحق وأخلص لها متناسيًا مكانة والدتها ولكن هذا الارتباط لم يلاقِ الاستحسان عند نساء الولاية واعتبرن الفتاة سرقت أفضل ما لديهن، رأين أن واحدة من الوادي أحق منها بالفتى الذهبي، ولذلك أعدت نساء البلاط مكيدة مع خادمة الفتاة، سيدخِلن رجلًا لغرفتها وهي نائمة ويستدعين خطيبها ليراها معه، خطة محكمة، الفتاة المسكينة نائمة وإذا برجل غريب يقفز بجانبها على الفراش، حاولت الصراخ ولكنه كتم أنفاسها وجلس ينتظر الفتى الذي اقتحم غرفة خطيبته ورآها معه، في لحظة غضب لم يدرك أنها مجرد ضحية قام بطعنها وجلس بجانب جثتها

يبكي، تم استدعاء والدتها التي جُنَّت وأمرت بسجن الفتى والتحقيق في الحادث، وبعد معرفة من وراء تلك المكيدة قامت بحبس ما يقرب من عشر نساء من القصر ومعهن خادمة الفتاة وأمرت حراسها بحفر حفرة كبيرة في منتصف الميدان أمام القصر وإشعال النار فيها لمدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع ستقوم بإلقاء جميع من تسبب في هذا الحادث بداية من الفتى المخدوع حتى الخادمة الخائنة، بالطبع هذا لم يعجب رجال القصر فبعضهم أحبوا زوجاتهم لذلك تحركوا ضد المرأة وهجموا عليها مع ابنتها الأخرى وبدلًا من أن تُلقي بالمجرمين أجبروها على مشاهدة ابنتها الثانية وهم يدفعونها للحفرة الموقدة».

توقف الملك: «رونيم كل تلك الروايات مجرد قصص تناقلها كُتَّاب التاريخ كما نقلتها الجدات لأحفادهن، لا أحد يعرف هل القصص حقيقة أم ماذا ولكـ...».

قاطعت أباها دون النظر له: «كتلك الرواية التي تقول إنهم اغتصبوا الابنة الصغرى أمام أمها ثم أحرقوها، أو الرواية التي تتحدث عن أن الفتاة الكبرى لم تمت من طعنة خطيبها وبقيت داخل القصر مع عائلتها حتى قام السكان بإغلاق القلعة وإحراقهن أحياءً، الكثير والكثير من الروايات، أنا أعرفها جميعًا أبي، في الحقيقة أحفظها عن ظهر قلب لطالما شُغفت بها، أظن المرأة ساحرة بالفعل، أما أكثر الروايات الموثوق فيها أنه تم إحراقهن أحياءً داخل القصر، تلك الرواية الوحيدة المنطقية التي تعطي الوقت للمرأة بإلقاء اللعنة، أليس كذلك أبي؟».

نظرت لأبيها الذي بادلها النظرات المشجعة: «إذن أنتِ تعرفين كل شيء عن المملكة المطموسة».

ابتسمت لأبيها بحزن: «حسنًا، قرأت بعض الكتب».

الملك: «حسنًا تعرفين النهاية إذن، روايات من سبقونا تسرد القصة واصفة المرأة المحترقة وهي تلقي بلعنتها على المملكة».

قاطع القائد «كالبان» الملك بنفاد صبر: «حسنًا جميعنا نعرف القصة، الجميع تحولوا لوحوش والأرض خُسفت بهم، نهاية القصة».

تلقى القائد نظرات الاستهجان من الجميع لمقاطعته الملك.

أدرك خطأه: «عفوًا مولاي ولكننا لم نحضر لسماع القصص، هناك مشكلة علينا حلها اليوم، مصيبة تهدد أمن وسلام مملكتنا وعلينا التصرف سريعًا».

الملك: «سيدي القائد، لتقرر أيًّا من ابنتيك سأرسل مع رونيم للمملكة الملعونة، هيا يا رجل قرر الآن، تكلم».

طأطأ القائد رأسه: «عفوًا مولاي، سامحيني أميرتي لم أقصد».

الوزير «أسطبون»: «الأمر يا رونيم أن المملكة التي طُمست يومًا ما لم تعد كذلك؛ يُقال إن المرأة لَعَنَتها لمائة عام وانتهت المدة توًا، لكن كونها بَزغت هذا لم يبطل اللعنة السارية على أهل تلك الولاية، ربما يقفز إلى عقلك الآن أميرتي فكرة مفادها ما دخلنا بتلك الولاية وما شأننا بما يحدث لأهلها فليذهبوا جميعًا للجحيم، لكن الأحداث التي وقعت مؤخرًا جعلتنا ننتبه، ربما سمعتِ عن العواصف العاتية التي ضربت مملكة «معيوران» ودمرت قُرى كاملة، أو ربما سمعتِ عن البراكين التي انفجرت في شمال مملكة «تلفورن»، وجميعنا شعر بالهزة الأرضية التي اجتاحت مملكتنا ودمرت عشر قرى في أول مرة وخمسًا في المرة التالية، كل تلك الكوارث والمصائب أرجعها الحكماء إلى تلك الولاية الصغيرة، الآن ربما سمعتِ عن قصة المسافر وعائلته التي حدثت منذ بضعة أشهر».

هزت رونيم رأسها بنعم.

الوزير: «بالطبع سمعتِ عنها، حسنًا لفظت الأرض وحوشها، وطالبوا بفك اللعنة وإلا سيأتون لنا، لن يصبح أحدٌ آمنًا بعد الآن. نحن أقرب مملكة إلى تلك الوحوش؛ نحن من سنعاني بشكل أكبر لذلك سافر جلالة الملك الأسبوع الماضي ليجتمع مع نظرائه من الممالك الأخرى، «نحتاج أميرة ذات دماء ملكية»، الجميع قالها ولأن جميع الممالك تمتلك حكماء وكهنة أخبروهم عن الأساطير واللعنات فقامت الممالك الأخرى بتزويج جميع أميراتها، من بلغت منهن زوِّجتْ في حفلات سرية، لم يبقَ إلا...».

هزت رأسها: «لم يبقَ غيري وميرانا، ولأن ميرانا تزوجت بـــ... لأنها تزوجت، فلم يبقَ غيري».

الملك: «تصرف الجميع بدناءة لكن أنا أب ولا يمكنني لومهم، جميع أقربائنا فعلوا المثل، الخيانة جاءت من الداخل والخارج، الآن يأمرونني

بإرسالك للمملكة الملعونة لكن يمكنني تقليدهم، سأزوجك اليوم قبل غد ولنذهب جميعًا للجحيم».

رونيم: «أبي، وماذا سيحدث بعد ذلك؟! الكوارث لن تنتهي، لا بد من دماء ملكية لحكم الولاية؛ تلك هي طريقة إبطال اللعنة».

القائد كالبان: «انظر سيدي، الأميرة تعرف، إنها تتطوع».

- اخرس يا كالبان وإلا حاكمت ابنك بتهمة الخيانة.

قالها ضاربًا كفه بالطاولة غضبًا، أمسكت الملكة بكتف زوجها لتهدئه.

حاولت رونيم تهدئة الأمور: «أبي، ناقشنا هذا، أسامحه كما أني انفصلت عنه قبل زواجهما بفترة طويلة».

نظر الملك إلى ابنته وعيناه تملؤهما الحسرة: «نعم هكذا يقول الجميع لي، لكني أشعر بكِ وأعرف في قرارة نفسي أن الجميع خانكِ».

- أبي من فضلك، لم يخنِّي أحد.

قالتها بحزم مغادرةً مقعدها: «عرفت الآن كل شيء عن وضعنا الحالي وسأعلن قراري صباحًا».

غادرت مسرعة؛ لم تشأ أن يرى أحد دموعها، تم بالفعل خيانتها لكنها لا تعرف كيف تقولها، كيف تعاتب من كانت أقرب من روحها، لا تكره أختها حتى بعد سرقتها لحب حياتها ولكن ما في الأمر أنها لا تستطيع رؤية وجهها ولا وجهه، في الحقيقة لا تستطيع النظر في وجه أحد.

«أميرتي... أميرتي»، قالها الوزير أسطبون مسرعًا خلفها، رجل في عقده الخامس ممتلئ الجسد وقصير نوعًا ما.

جفف عرقه بطرف ثوبه: «أميرتي لنتحدث قليلًا».

ابتسمت رونيم فهي لا ترفض للرجل طلبًا، لطالما شعرت بعطفه ومحبته وكأنه أب ثانٍ لها.

الوزير أسطبون قاطعًا حبل أفكارها: «ارفضي عزيزتي، ارفضي بقوة».

- وماذا سيحدث؟ المزيد من الكوارث؟

- حسنًا المملكة التي لا تتحمل بضعة أعاصير مع براكين وزلازل، فلتغير حاكمها.

قالت رونيم ضاحكة: «احذر يا رجل ربما يسمعك أبي ويتهمك بالخيانة العظمى».

توقف الوزير لالتقاط أنفاسه: «حسنًا جلالة الملك يحتفظ بتهمة الخيانة العظمى لشخص آخر».

أشاحت بوجهها: «حقًا، ليتوقف الجميع عن سرد تلك القصة».

- ربما بعد مائة عام.

ضحكت بشدة لتخرج انفعالاتها في شيء ما.

الوزير: «حسنًا، إذا نويتِ الذهاب حقًا سأتبعك أميرتي...»

أمسكت يده مبتسمة: «كلا سيدي ابقَ لمساعدة ميرانا فهي ستحتاجك، ابقَ لتقوض سلطة القائد كالبان في المملكة».

ابتسم الوزير مقبلًا يدها: «لقد لعنت مملكتنا يوم تركت قائدة رائعة مثلك ترحل».

ربتت على كتفه ثم ابتعدت: «لو دققت في الأمر سيدي ستجدنا جميعًا ملعونين بشكل أو بآخر».

قررت التجول في أروقة القصر ربما تكون فرصتها الأخيرة لتوديع منزلها، ما تزال تفكر فيما دار منذ قليل وقرارها الذي عليها البوح به غدًا، أرادت إبعاد تفكيرها عن القرار المشؤوم فتذكرت ما قرأته عن المملكة الملعونة وعن اللعنة التي ألقتها تلك المرأة، أفرد أحد المؤرخين ستة فصول يقص فيها ما حدث لأهل تلك الولاية بعد اللعنة: بدأت بجفاف البحر، لم يتحول السكان إلى وحوش مرة واحدة، ولكن أفعالهم البشعة حولتهم؛ أصبحوا يأكلون كالوحوش، يشربون مثلهم ويقتلون بعضهم في البرية، ودون سابق إنذار خُسفت بهم الأرض، في البلدات القريبة سمعوا الصوت وكأنه انفجار عظيم، أسرع سكان البلدات المجاورة إلى المكان ولكنهم لم يجدوا شيئًا، مجرد تلال ووديان صغيرة، لا شيء حتى بضعة أشهر ماضية. وقفت تتأمل إحدى اللوحات ثم صرخ صوت في رأسها: «يا إلهي لماذا أتوقع الأسوأ؟ ربما

سأنهي اللعنة، تمر بضعة أشهر ثم أعود، لماذا يتملكني الفزع؟ أم عليَّ الارتعاد خوفًا؟ ربما لن أنهي شيئًا وتقوم الوحوش بقتلي، يا إلهي ساعدني».

***

دخل الملك إلى غرفته وأمر الحراس بعدم إزعاجه، تبعته زوجته محاولة تهدئته، ما زال يشتعل غضبًا من كالبان وابنته والوغد الذي تزوجها، حسنًا، في الحقيقة هو غاضب من الجميع، لم يعتد أن يُوضع أمام الأمر الواقع.

توجَّه غاضبًا إلى زوجته: «متى عَرفتِ، هه؟ متى عَرفتِ بنيتها؟».

- عزيزي، لقد أقسمت لك، لم أعرف بنية ميرانا حتى زواجها منه.

- ولكنك عرفتِ بعلاقتها بالوغد.

- عزيزي، لقد أجَّلت رونيم زفافها منـــ...

قذف الملك بمنضدة الشاي ناحية الحائط لتتهشم: «أَجَّلته احترامًا لحزن أختها على موت خطيبها، لم تؤجله لأنها ترددت، والأخرى قررت خيانتها، كيف أمكنها فعل ذلك؟ أم... أم أن الوغد كالبان أمر ابنه بالالتفاف حول ميرانا فهي الأكبر وسترث الحكم؟».

- عزيزي لماذا لا تهدأ؟ أنت تتهم صديقك بأنه يكيد مكائد خلف ظهرك.

- أنا لا أتهم أحدًا بل متأكد من ذلك، ربما أقطع عليه الطريق وأغير القانون لترث رونيم الحكم.

- هل جننت؟! ستُشعِل الحرب في المملكة، وابنتاك إن لم تكرها بعضهما الآن ستفعلان. عزيزي أتوسل إليك.

- ربما ميرانا أُجبِرت على اتخاذه زوجًا، هـــ... هل فعل الوغد شيئًا لها؟

- عزيزي أرجوك، لقد أقسم إنه لم يمسها بعد.

- تزوجها ولم يلمسها، وهل تصدقينه؟

- نعم أصدقه، لطالما كان روبيم صادقًا معنا.

قال الملك صارخًا: «لا تذكري اسمه أمامي، وإلا ربما أعدمه وأنهي كل تلك المشاكل».

- عزيزي أرجوك، أنت لست بقاتل، وأبوه قائد جيوشك ويتمتع بحب واحترام جنوده والشعب كله. أتوسل إليك، لا تفعل شيئًا ثم تندم عليه.

همَّ بقول شيء ما ولكنه تراجع مهدئًا شياطين عقله فربما يوسوسون له بفكرة تنال إعجابه لينفذها في لحظة غضب، حاول التنفس ليهدئ من نفسه فخرج إلى الشرفة ونظر للسماء السوداء فوقه، حسنًا سيفعلها غدًا لقد قرر؛ هو الملك ويستطيع فعل ما يشاء.

***

انتبهت رونيم إلى الألم الذي بدأ ينتشر في ساقيها، سارت لمسافة طويلة ربما حان وقت العودة لغرفتها، وجدت وصيفتها نائمة على أحد المقاعد، لم ترَ داعيًا لإيقاظها فتوجهت لفراشها وما إن أضاءت المصباح حتى تحركت الأغطية فصرخت.

«لا تخافي إنها أنا»، قالتها ميرانا محاولة تهدئتها.

- يا إلهي، لقد أفزعتني.

- آ... آسفة.

قالت رونيم وهي تحضر ملابس نومها: «ماذا تريدين؟».

- أ... أرد... أردت معرفة ما دار في الاجتماع؟ وما دار...

- لماذا؟ انتظري حتى الصباح وستخبركِ أمي بكل شيء.

- رونيم من فضلكِ، ربما لا تصدقين هذا لكني أهتم لأمركِ حقًا.

بدأت خلع ملابسها ثم استدارت لأختها: «نعم أعرف أنكِ تهتمين بي، أعرف أيضًا أنكِ تحبينني».

ابتسمت ميرانا: «نعم... نعم أنا أحبكِ فأنتِ أختي الصغيرة».

- لكن هذا لم يمنعكِ من أخذ ما تريدينه حتى وإن لم يكن ملكًا لكِ.

اكتست ملامحها بالحزن: «رونيم، الأمر... أنا لم أتحكم به، لقد تقاربنا... وقبلني ثـ...».

قالت رونيم صارخة: «من فضلكِ توقفي؛ لا أريد سماع قصة اشتعال حبكما».

أنهت ارتداء ملابس نومها لتواجه أختها: «حسنًا رغم كل شيء أنتِ أختي وما زلت أحبكِ، لن يفرِّق أحدٌ بيننا لهذا ربما عليكِ معرفة قراري قبل الجميع، لقد قررت الذهاب، من فضلك لا تقاطعيني، قررت الذهاب... وأتمنى لكِ الخير».

قالتها واحتضنتها بقوة، حضن خالٍ من المشاعر ثم طلبت منها الخروج لتحظى ببعض النوم، صعدت لفراشها لتضع رأسها على الوسادة وتبدأ البكاء، منذ دقيقة ماضية ترددت حول الذهاب، شعرت أنها يمكنها العودة عن قرارها في أي وقت، لكن الآن تأكدت من ضرورة ذهابها، لن تبقى في المملكة تشاهد أختها تحظى بالحياة التي لن تنالها مع الرجل الذي كسر قلبها، لن تراقب حبهما ينمو وينمو معه أطفالهما، لن تقبع تتأمل ميرانا تتحول للملكة ويملأ قلبها الحقد والحسد، كلا، سترحل لتحتضن مصيرها.

لا تعلم متى ولكنها غرقت في نوم متقطع مليء بالأحلام السيئة عن قلاع مهجورة وامرأة تشتعل فيها النيران وهي تطاردها، تعلم أنها غير حقيقة ولكن تلك المعرفة جعلتها ترتعد خوفًا.

***

بدأ الخدم في وضع الطعام، الجميع جالس على الطاولة الطويلة يتناولون الإفطار، القائد كالبان والوزير أسطبون، حتى مبعوثو الممالك الأخرى.

لطالما تحدث الجميع على الطعام لم يمانع أبوها، لكن الآن الجميع صامت مترقب الملك وهو يأكل الطعام مقطبًا جبينه، عُرف عنه أنه رجل عطوف وعادل على الأقل عندما يكون رائق المزاج، لكن إن تصادف وجادلته لحظة غضبه فإن الأعاصير تجتاح المكان، لذلك تعلم الجميع متى يتحدثون ومتى يصمتون في وجوده.

تحدث أبوها كل بضع دقائق مع الوزير أسطبون متجاهلًا القائد كالبان؛ ربما هذا نوع جديد من العقاب، أمها تجلس بجانب أبيها على غير عادتها، أما ميرانا فاختارت الجلوس بعيدًا بجانب زوجها المنبوذ الآن، تحاشت النظر ناحيتهما ولكن كلما رفعت عينيها تجده ينظر لها، من الصعب عليها نطق اسمه الآن.

أنهى أبوها طعامه ثم وقف: «سيبدأ مجلس المملكة الآن».

نظر القائد كالبان إلى الوزير الذي بدا وكأنه تفاجأ هو الآخر، من المفترض أنه اجتماع صغير ستعلن عن قرارها وينتهي الأمر، أما الآن فمجلس المملكة يعني اجتماع الجميع من وزراء ورئيس البرلمان وممثلي الشعب، تساءلت متعجبة عما ينوي أبوها فعله. نظرت لها ميرانا فتحاشتها.

غادر الجميع فوقفت ولكنها رأت بطرف عينيها روبيم يأتي مسرعًا في اتجاهها، حاولت الإسراع ولكنه أطبق على ذراعها: «هل يمكننا التحدث؟».

حررت ذراعها غاضبة: «كلا، لا يمكننا».

- من فضلك، سوف أجن، أريد... أريد شرح ما حدث.

- لماذا؟ ليهدأ قلبك ويرتاح بالك، وكأن إراحتك هي مهمتي الآن.

همَّ بالتحدث ولكنها أوقفته: «أنا سأسير أميالًا لأقابل الموت كل هذا في سبيل الابتعاد عنك، لذا من فضلك لا أريد رؤيتك لما تبقى من حياتي القصيرة».

أوشكت على البكاء ولكنها استجمعت قواها، في الأمس شكَّت في نجاتها أما الآن فالأمر مختلف، استيقظت مبكرًا وذهبت للمكتبة تطالع أحد الكتب عن فك اللعنات، قرأت أن الأولى بفك اللعنة هم من يملكون دماء الملوك الأوائل، أي أحفاد الملوك الذين حكموا وقت حدوث اللعنة ولذلك أحضرت كتابًا آخر به شجرة عائلتها، وما وجدته كان كفيلًا بجعلها تجهز مراسم دفنها، تتبعت جدها الأكبر لتجد أنه كان وزيرًا، مات أحد الملوك ولم يخلِّف وريثًا وقام الشعب بانتخاب جدها على أن يكون حكمه مؤقتًا، ولكنه حصل على الحكم بطريقة ما وأصبح ملكًا وتبعه أبناؤه من بعده، كل هذا حدث منذ مائة عام، الآن هي تعلم، دماؤها لن تفك اللعنة، الآن تأكدت بأنها ليست ملكية في الأصل، كيف غفل الجميع عن هذا؟ غفلوا! أم تناسوا! على أية حال هذا لا يغيِّر من الأمر شيئًا، ستذهب، لقد قررت الذهاب ليس لأنها ستنجو ولكن لأنها ستموت، وكأن فناءها سيؤلمهم وهذه طريقة جيدة لمعاقبتهم.

***

قطع حبل أفكارها صوت الخادم طالبًا من الجميع الجلوس، لم تدرِ أنها وصلت لقاعة المجلس الواسعة والتي تقع على شكل نصف دائرة مقاعدها تتصاعد بشكل مدرج وفي نهايتها يقبع مكتب عملاق، لطالما جلس أبوها

وأمها بجانب بعضهما بعضًا يتناقشان مع ممثلي الشعب والوزراء عن أمور المملكة، أحيانًا تجلس ميرانا بجانبهما وأحيانًا أخرى أجلست أمها كلتيهما، لكنها خصصت المقعد بجانب أبيها دائمًا لميرانا أما هي فاعتادت الجلوس بجانب أمها.

بدأ الجميع في دخول القاعة، جلس رجال العامة في المقاعد العليا والبعيدة عن المكتب الخشبي الذي جلس إليه الملك، ثم بدأ رجال المملكة في احتلال المقاعد القريبة من الملك، أما المقاعد الأقرب كانت من نصيب الوزراء وقائدي الجيش والحرس الملكي.

اتجهت أمها للجلوس بجانب أبيها ولكنه سارع للإشارة إلى الوزير أسطبون الذي اصطحبها للجلوس بجانب القائد كالبان، وكذلك فعل بكل من ميرانا وروبيم، اقتربت رونيم أكثر لتجد بجانب أبيها كلًا من ممثل الشعب وكاتب المملكة مجهزًا أوراقه ومتحدثًا مع مساعديه، تساءلت لماذا يقوم أبوها باستدعاء كاتب المملكة؟ هل سيقوم بسن قانون جديد أم ماذا؟ وقفت أمام المكتب تتأمله يتحدث مع ممثل الشعب مخفيًا فمه بيده وكأنه لا يريد لأحد أن يعرف عما يتحدث، الموقف لا يحتمل المزيد من الغموض.

«الأميرة رونيم، من فضلك اجلسي في هذا المقعد»، قالها الوزير أسطبون بطريقة عملية تخالف كثيرًا طريقته الودودة.

أجلسها بجانب روبيم ورحل، حاولت الاعتراض ولكنه بادلها النظرات الغاضبة، «حقًا، بجانبه، لماذا لا تلقونني في النار أفضل؟».

تقدم الحاجب وطرق الأرض بعصاه مرتين فصمت الجمع وسارعوا بالجلوس، تقدم ممثل الشعب السيد «مردان» لمنتصف القاعة، حيا الملك برأسه ثم التفت للجمع وقال: «سادتي ، إنه ليوم عظيم: التشرف بدعوة الملك لنا لحضور هذا اليوم، حيث تُسن قوانين المملكة وتتغير الأقدار».

تعالى الهمس لترى أمها تمسك بيد ميرانا وكأنها تحاول تشجيعها: «أبي، ما الذي تنوي ...فعله؟».

رفع السيد «مردان» يديه ليهدأ الحضور ثم أكمل: «حسنًا، أتشرف بدعوة الأميرة رونيم للوقوف أمام شعبها وإعطائنا قرارها النهائي».

نظر الجمع إليها وهي تحدِّق إلى الرجل وصدرها يعلو ويهبط، لم تتوقع الوقوف أمام الجميع والتحدث، ظنت أنها ستخبر أباها بشكل شخصي ليتولى هو إخبار الشعب.

جاء الوزير أسطبون ليمسك ذراعها ويسوقها حتى منتصف القاعة، وقفت أمام الملك مرتعشة لكنها تذكرت: مهما يحدث اليوم داخل جدران القاعة لن تكون حاضرة لترى نتائجه، ليحدث ما يحدث إذن.

رفعت رأسها ونظرت لأبيها: «أ.. مولا».

الملك: «عزيزتي، تحدثي مع شعبك المجتمع اليوم ليرى أميرته».

حقًا أبي، اليوم أواجه الشعب، اليوم؟! التفَّت مواجهة الحضور فوجدت الجميع ينظر لها، ودت لو هربت لتختفي خلف مربيتها كما اعتادت وهي صغيرة، لكنها تذكرت، اليوم ستواجه مخاوفها كلها.

رونيم: «لـــ... لقد... قررت».

«ارفعي صوتك».

همت بفتح فمها فصرخ رجل: «لا نسمع».

تملك الغضب منها فاقتربت من المدرجات: «أنا الأميرة «رونيم» ابنة الملك «يسرجين» أمير جزيرة «تسوميرين» وحامي حمى مملكة «مورينان» قررت خوض المجهول، سأذهب لأكون ملكة لمملكة ملعونة، وبما أن رجال الممالك الأخرى خائفون، فنساء المورينان لا يخشين شيئًا».

ضجت القاعة وبدأ الرجال في التهليل، بدا أن كلماتها لم تعجب مبعوثي الممالك الأخرى، انحنت للحضور ثم ذهبت لتجلس على مقعدها، لاحظت بطرف عينيها أباها وهو يبتسم، إنه سعيد إذن، وقف الملك فهدأت القاعة.

قال الملك: «يسعدني اليوم تتويج ابنتي الحبيبة ملكة على آخر قطعة أرض من مملكة الميورارك، أتمنى لكِ التوفيق عزيزتي، ولإكمال هذا اليوم المجيد، قررت أنا جلالة الملك التقدم باقتراح تعديلات على قانون مملكتنا الحبيبة، بالطبع الكلمة النهائية للموافقة على هذا القانون للشعب وممثليه».

أمسك الملك ببعض الأوراق أمامه وبدأ في قراءة ما بها: «أولًا قررت تعيين القائد كالبان مستشاري ومعاوني الشخصي».

ضجت القاعة بالتصفيق والتهليل للملك، ابتسم القائد كالبان في فخر وكل من حوله يهنئونه في سعادة.

رفع الملك يديه لتهدئة الحضور: «كما قررنا ترقية القائد «نمسران» ليتولى قيادة جيش المملكة».

بدأ التهليل ثانية وهنَّأ الجميع الرجل، لكن القائد كالبان لم يكن سعيدًا بالأمر.

تأملت رونيم أباها، فعلها دون إثارة أي مشكلة، نظر الملك لابنته ثم ابتسم ورفع يده اليمنى، صمت الحضور، وتأهبت للكارثة القادمة.

وضع الملك الأوراق على المكتب الخشبي، ثم توجه بكل جسده إلى الحضور: «حسنًا كنت أناقش صديقي القديم السيد مردان».

قالها الملك واضعًا يده بحنان على كتف السيد مردان الجالس بجانبه فابتسم الأخير. لقد اعتادت خصال أبيها، عندما يريد شيئًا من شخص يعامله كصديق قديم، لأبيها قدرة على الإقناع تجعل الجميع ينفذون أوامره برحابة صدر غريبة.

أكمل الملك: «كنت أفكر مؤخرًا كم أن القوانين الملكية ظالمة؛ الابن البكر يفوز بكل شيء، كل شيء يا سادة مع أنه في الحقيقة لا يُختبر، يملك القصور وخزائن المال، يملك الأرض وما فوقها من حقول وفلاحين، يحوز كلَّ شيء، لكن ماذا فعل ليستحق كل هذا؟ كيف نتأكد أن هذا الشخص جدير بحكم مملكة؟ هل الدم الملكي يكفي للحكم؟ لنتفق على أن الصدف والحظ الجيد يخدمانه، ربما أيضًا مكائد النساء».

قال الملك كلمته الأخيرة ضاحكًا، فتبادل الحضور همسًا خفيفًا.

صمت الملك قليلًا رغم هدوء القاعة، ثم قطب جبينه قائلًا بطريقة درامية: «لكن أحب طمأنتكم أيها السادة، لدينا ملكة عظيمة ستحكم مملكتنا المباركة».

استمر في طريقته الدرامية مشيرًا لـ «ميرانا» مما جعل الحضور يصرخ مهلِّلًا.

«اللعنة! ما الذي ينوي أبي فعله؟»، قالتها بصوت هامس مترقبة كلماته القادمة.

- أنتم يا سادة سفرائي لباقي الشعب، أنتم لساني وقلبي وسيفي الذي يسافر بعيدًا لكل أرجاء المملكة لذلك أقف أمامكم اليوم يتقطع قلبي حزنًا على مغادرة ابنتي الصغرى لأحضاني وأحضان مملكتها، لكن كما قالت: نساؤنا لا يخفن المجهول، وأهلًا بمملكة أخرى تنضم إلينا، أما الآن دعوني أحدثكم يا أعزَّائي عن فكرة راودتني منذ زمن، فكرة يمكنها إنقاذنا جميعًا، يمكنها جعل مملكتنا صامدة لقرون قادمة دون أن يدمرها أحد من الداخل أو الخارج.

صمت لثوانٍ ليصعد الدرج ويتواجد وسط شعبه: «قرأت كثيرًا عن ممالك سابقة هلكت وفنيت ليس بسبب عدوان خارجي أو أي من الكوارث الطبيعية، لكن بسبب ضعف حكامها، نعم يا سادة، العدو الخفي الذي يهلكنا هو عدم التجديد، الفشل في مسايرة العصر، لذلك بعد مناقشات طويلة بيني وبين السيد «مردان» قررت أنا جلالة الملك وضع قانون جديد تحت أقدام شعبي ليقرر من يريد أن يحكمه، إنه لشرف عظيم لي أيها السادة أن أكون ملكًا، ولطالما ملكت كل شيء، ولكن كما علمني عمي الملك السابق «أردفون» نحن الملوك خدام لشعوبنا وليس العكس، لذلك قررت إضافة تغييرات بسيطة للقوانين الملكية الظالمة التي تحدد تسلسل الحكم».

همس الحضور ورأت بطرف عينها محاولة ميرانا للوقوف لكن الملكة أمسكت بها فجلست موشكة على البكاء، أحاطها روبيم بذراعه فهدأت، لكن نيران الغيرة اشتعلت بقلبها، عليها الإسراع في الرحيل؛ تتآكل روحها كلما رأتهما معًا.

ألقى أبوها نظرة خاطفة على ميرانا: «أرى عائلات تنفرد بالسلطة دون غيرها، الفرد منهم يملك أكبر منجم للذهب ثم تراه يقحم ابنه في البرلمان ثم يزوج ابنته لابن قائد الحرس، ووزير آخر يزوج ابنه لأميرة ما، مما يجعل سطوته أكبر في البلاط الملكي».

سرت همسات في القاعة والجميع يحدق إلى ميرانا، هذا هو الوقت الوحيد الذي لا تتمنى مكانها.

انتظر أبوها حتى هدأت القاعة ثم أكمل بصوت جهوري: «لذلك قررت أنا جلالة الملك إصدار قانون جديد يمنع أبناء الملوك ممَّن جاءوا عن طريق تزاوج الطبقة الملكية بالطبقة التنفيذية من تولي حكم المملكة وبالتالي توريث الحكم لأبناء الابن التالي في تسلسل الحكم لنطمئن ألَّا تزيد سطوة عائلة في القصر على أخرى، شكرًا للحضور، وأتمنى أن يصوت الشعب على إقرار هذا القانون».

ألقى الملك بتلك الكلمات ثم رحل، استغرق الأمر بعض لحظات ليهمس أحدهم بشيء ما ثم تهب عاصفة من الصراخ، بالتأكيد هناك معارض وآخر مؤيد، لكن الجميع اتفق على تبادل نظرات الاستهجان لميرانا وزوجها الجديد وكأنهم يقولون إن هذا القانون فُصِّل خصيصى لكما.

لم تهتم رونيم بقوانين أمها التي تحتم بترك أبيها لحظات ليهدأ بعد إلقائه خطاب وسارعت خلفه، أرادت فهم ما يحاول فعله، قطع الطريق أمامها أحد مندوبي مملكة معيوران.

قال المندوب مبتسمًا: «أبوك سيشعل حربًا داخلية من أجلكِ».

ردت رونيم مبتسمة في تكلُّف: «الملك يعرف ما يفعله، اهتم أنت بما يحدث بمملكتك».

سارعت بالركض خلف أبيها ثم وقفت أمام باب مكتبه، طرقت ثم سمحت لنفسها بالدخول

رونيم: «أبي... ما... الذ...».

الملك مبتسمًا: «ما رأيك؟ هل سيصوت الشعب على الموافقة؟».

- أبي... ما... فعلتـ...

اقترب الملك محتضنًا بيديه وجهها الباكي: «عزيزتي، ربما تظنين أني فعلت هذا انتقامًا لكِ لكني في الحقيقة ألقن ميرانا درسًا مهمًا عن كيفية تولي حكم مملكة، لا تكفي دماؤك الملكية لتحكم، عليك أن تكون جديرًا بالحكم... يجـ...».

فُتح الباب فجأة وبرزت ميرانا ومن خلفها الملكة وروبيم.

ميرانا باكية: «كيف تفعل بي هذا أبي؟ كيف تفعل هذا بابنتك؟».

ابتسم الملك بهدوء ثم نظر لروبيم: «مثل ما فعلتِه بأختكِ».

ابتسم روبيم للملك ثم انحنى بأدب مغادرًا الغرفة.

ميرانا صارخة: «إنه زوجي الآن وعليك احترامه».

الملك صارخًا: «أنا الملك، لا تخبريني كيف أعامل رعيتي».

تدخلت الملكة لتقف بينهما.

تنفس الملك ليهدأ: «كما أني لا أحترم الخائنين».

نظرت ميرانا لأختها: «كيف سيحكم أبناؤها وهي ستتولى حكم مملكة أخرى؟».

الملك: «حسنًا، ما إن تنجب ويصل طفلها لسن مناسبة ستبعث به إليكِ لتربيه كابن لكِ، تعلمينه كل شيء عن حكم المملكة، كوني ذكية يا ميرانا لأني سأبعث بطفلكِ ليحكم مكان خالته يومًا ما».

ميرانا: «وماذا سيحدث إن لم تنجب؟».

صرخ الملك: «وماذا سيحدث إن لم تنجبي أنتِ؟».

قالها الملك ليرى الصدمة علي وجه ابنته: «لا تقلقي ستبقى المملكة في يدٍ أمينة، في حال عدم إنجاب أي منكما سأبعث لأبناء عمومتي بالخارج ليبعثوا بطفل لأدربه على الحكم، لا تقلقي ستكون المملكة بخير».

ميرانا: «أبي من فضلك، اسحب هذا القانون، إنه ليس... عادلًا».

الملك: «أبطلي زواجك من روبيم، وسألغي أنا القانون».

لم تجد ميرانا كلمات لتقولها، فغادرت باكية. نظرت الملكة لرونيم بغضب وكأنها السبب فيما يحدث.

الملكة: «حقًا، أبناء عمومتك، ألم يحاولوا قتلك وأنت طفل؟».

الملك غاضبًا: «لقد دفنت الماضي، اللعنة، لماذا لا تتدبر الأمر الآن؟ أبناؤها لن يحكموا، فلتترك الوغد، وكما تقولين لم تحدث علاقة جسدية، فلِمَ لا تتركه؟».

الملكة: «هل فكرت في أنها ربما تحبه».

وجدت أنه الوقت المناسب لتغادر؛ ستبدأ أمها الحرب الكلامية، حرب لا تستطيع مجاراتها بها، فلا تملك سرعة بداهة تمكّنها من الرد على حديثها

الجارح ولا تملك الجرأة للتقليل منها، يقبع بداخلها الكثير من الكلام لكنها تفشل في البوح به خاصة عندما توجه إهانة لها، وما يؤلمها أنها تجد الرد المناسب بعدها بيوم أو اثنين.

غادرت الغرفة مغلقةً الباب خلفها بهدوء، وجدت ميرانا في الخارج تبكي بحرقة وروبيم يحتضنها، استدارت لتبتعد ولكنها وجدت القائد كالبان في وجهها، بادلها نظرات غاضبة ثم أحنى رأسه في أدب مبتعدًا عن طريقها، بضع خطوات ثم وجدت الوزير أسطبون متبسمًا كعادته.

الوزير: «أعلن الملك الحرب على عائلة كالبان إذن».

رونيم ضاحكة: «أبي الحبيب».

الوزير: «لنسر قليلًا في الحديقة، لن نجد آذانًا مصغية هناك».

تأبطت ذراعه وخرجت للحديقة حيث الشمس الدافئة، ابتعدا بما يكفي ثم توقف: «لقد خدم المملكة كما لم يفعل أحد، علينا الاتفاق على هذا».

- مَن؟ القائد كالبان، نعم أشعر بالشفقة عليه.

قال الوزير بحزم: «كلا لا تشفقي عليه فهو من تسبب في كل تلك المشاكل».

- كلا، إنه لم يأمـ...

- كم أنت طيبة القلب عزيزتي، الطمع أعمى القائد وولده، هل تظنين حقًا أن الحب ضرب بسهامه قلب ميرانا وروبيم؟ كلا عزيزتي، إنه تخطيط كالبان الدؤوب، هو من دفع بولده لتركِكِ، هو من وضعه في أحضان ميرانا.

قالها أسطبون ثم لاحظ وجهها: «عفوًا سيدتي، لم أقصد».

- لا تأبه، أعرف أنك لا تقصد التقليل منها.

- شكرًا عزيزتي. في الحقيقة، لا أعرف كيف سأخدمها كما خدمت أباكِ، أنا... أنا لا أكن لها الاحترام الذي أكنه لجلالة الملك.

- فلتحظَ بمحبتك إذن، على أية حال لا أظنها ستُبقي عليكِ عند اعتلائها العرش.

قالت رونيم جملتها الأخيرة مازحة.

التفت الوزير خلفه بطريقة هستيرية: «اللعنة أنا أقف الآن مع العدو، كان علي الانتباه وألا أفضلكِ عليها، اللعنة ضاع مستقبلي ومستقبل عائلتي».

انفجر كلاهما في الضحك لدقائق حتى تعبت فجلست على مقعد رخامي أبيض.

الوزير ممسكًا بيدها: «عزيزتي، ستتحرك سفينتك غدًا صباحًا، هل تشرفينني بمرافقتكِ إلى تلك المملكة».

وقفت رونيم: «سيكون الشرف لي سيدي».

***

دخلت غرفتها لتجد الخادمات يجهزن الأمتعة، جناحها الآن عبارة عن خلية نحل، الوصيفة الأولى تقف في وسط الغرفة تقرر أي شيء ستحتاجه وأي شيء لن تفعل، أخرجت إحدى الخادمات فستانًا أبيض مطرزًا بخيوط فضية، فستان زفافها الذي لن ترتديه أبدًا، نهرتها الوصيفة، ربما تفعل ذلك أمامها خوفًا من أن تفعل هي الأسوأ، لكن لم يعد الأمر يؤلمها كما كان، رؤيته تسبب الضيق ليس أكثر.

قررت الخروج من الغرفة والذهاب للمكتبة لترى هل وصلت موافقة أبيها للحصول على كتبها المفضلة، تحدثت قليلًا مع أمين المكتبة، الموافقة لم تصل ولكنه تطوع للذهاب ومعرفة ما سبب التأخير، جلست إلى إحدى الطاولات الخشبية تتأمل المكتبة الضخمة، عندها شعرت بوخزة في قلبها، فهذه آخر مرة سترى فيها هذا المكان، الوقت ضيق وهي لم تودع أي شخص أو مكان، إنها إنـــ...

«رونيم»

قطع الصوت حبل أفكارها، خفق قلبها لما رأته، حاول الابتسام ولكن عينيه بدا عليهما الحزن.

«ماذا تريد»، قالتها دون التحرك من مكانها.

روبيم: «رونيم من فضلـــ...».

- الأميرة رونيم، لا ترفع الكلفة بيننا؛ نحن لم نعد معًا، أو ربما جلالة الملكة أو انتظر بضعة أيام وسيلقبني الجميع بالفقيدة.

روبيم غاضبًا: «رونيم من فضلكِ توقفي، أنـ... أنا سأفعل أي شيء لمحو ما حدث».

- لا يمكنك، بعض الأشياء عندما تخرج لا تعود، بعض الجروح لا تلتئم أبدًا.

- من فضلكِ، أنا لم أتمنَ حدوث هذا، أنا فقط أردت...

رونيم مبتسمة: «أردت المُلك، كل ما أردته هو الحكم أليس كذلك؟ لكلا، لا ألومك حقًا، أبوك له تأثير كبير عليك وعلى اختياراتك، لكن ما أريد معرفته هـ... هل أحببتني يومًا؟».

- كيف تسألينني شيئًا كهذا؟ بالطبع أنا أحبكِ، أقصد أَحببتكِ.

تفحصت وجهه والابتسامة على شفتيها: «حسنًا، سأصدقك».

- كيف تقولين هذا؟ كنت مخلصًا لكِ حتى... حتى...

رونيم بحزم: «حتى ماذا؟ وفاة «أسران»! ميرانا ولية العهد عادت لتكون عزباء، أنا لا أكرهك كل ما يغضبني هو مشاعرك المزيفة، لا يُعاب المرء على تغيير مشاعره، ما يؤرقني حقيقة أنك لم تكن لي أي مشاعر على الإطلاق».

روبيم غاضبًا: «من فضلكِ، أنتِ تعلمين أن هذا غير صحيح، أنا أحببتكِ حقًا».

- أتمنى حقًا أن تحبها بالفعل هذه المرة، ما زلت غاضبة منها لكن رغم كل شيء أظنك لا تستحقها.

همَّ روبيم بقول شيء ما لكنها لم تنوِ سماعه، ليست لأنها غاضبة لكنها لا تريد مسامحته، ستموت عما قريب وتريد إيلامه، سيتذكرها لما تبقى من حياته وهي هكذا، غادرت المكتبة ثم توقفت تلتقط أنفاسها، تساقطت دموعها وشيء بداخلها أراد العودة إليه والاعتذار.

لم تعرف إلى أين تذهب، أرادت الاستراحة في غرفتها لكن الخادمات ما زلن يجهزن الأمتعة، لا تريد التجول في القصر كي لا تقابل المزيد من المشفقين عليها، ربما حديقتها السرية، الآن الوقت المناسب لتوديعها.

تجولت في حديقة القصر ثم دارت من الخلف لترفع بيديها بعض فروع الأشجار المتدلية، وقفت أمام حديقتها السرية تتأملها للمرة الأخيرة، مكان بسيط في أعين البعض لكنه مذهل بالنسبة إليها، لا بد أن مزيني الحديقة لم يخططوا لوجوده لكنه وُلِدَ، حوائطه من النباتات الخضراء ترتفع حتى ثلاثة أمتار وأرضيته من الحشائش الخضراء الطويلة، لم يعتنِ أحد به، فهو مخفيٌّ عن الأنظار، ربما هذا جعله المكان المفضل لها في القصر، جلست على المقعد الرخامي الأبيض ونظرت للمكان متفحصة إياه، كم يحمل الكثير من الذكريات، تذكرت جلوسها معه يتحدثان عن كل شيء، كيف سيكون قصرهما الخاص، ما اسم أول أبنائهما، هل يريد ولدًا أم بنتًا، أحب الإمساك بيديها لتبعدها في خجل، تذكرت اقتحام ميرانا وأسران المكان عليهما باستمرار، كل تلك الذكريات في مكانٍ صغيرٍ كهذا، تساقطت دموعها فمسحتها مسرعة ثم وقفت لتودع المكان بعينيها للمرة الأخيرة، رفعت بيديها الأفرع المتدلية لكنها تجمدت مكانها.

«القائد كالبان!»

قالتها وهي تتعجب من معرفته بهذا المكان.

- إنه المستشار كالبان الآن سيدتي.

- هذا شيء لم يكن لي دخل به.

ابتسم القائد بحزن: «هل يمكنني الجلوس معكِ قليلًا؟».

- نعم بالطبع، تفضل.

جلست بجانبه متجنبة النظر في عينيه.

رونيم: «أنا لم أطلب من أبي فعل أي مـــ...».

القائد كالبان مبتسمًا: «لا أشك للحظة، سيدتي أعرف جلالة الملك منذ كنا أطفالًا، ما فعله أقل الأمور ضررًا، ظننت أنه سيأمر بقتلي مع عائلتي كلها».

رونيم غاضبة: «أبي ليس بقاتلٍ».

القائد كالبان: «إنه أب قبل كل شيء، أب جُرِحَت ابنته أمام عينيه، وفي الحقيقة أستحق أسوأ من هذا».

أبعدت وجهها مقاومة دموعها.

القائد كالبان: «آسف حقًا عما آلت إليه الأمور، لم نتخيل أنا وروبيم أن يتسبب الأمر في هلاكِك، لم نكن نريد ذلك، أنتِ فتاة طيبة لا تستحقين كل هذا وروبيم ليس كما تظنين أنا... أنا مَن...».

قَاطَعته: «مَن أمرته بملاحقة ميرانا وأن يلقي بجبنا عرض الحائط ليوقِّع وثيقة موتي، نعم أعرف هذا».

تحررت دموعها أخيرًا.

القائد كالبان: «آهٍ يا عزيزتي، أنتِ محقة في كل كلمة، لا أجد كلمات مناسبة لوصف شعوري لكني سأتطاول وأطلب منكِ المسامحة، ليست مسامحتي فأنا لا أستحقها، لكن مسامحة روبيم، إنه حقًا...».

- صدقني أنا سامحته منذ وقت طويل.

أمسك بيدها ثم جثا على ركبتيه: «ربما لا تؤمنين بهذا لكنك ستصيرين ملكة مذهلة يومًا ما».

أمسكت بيد القائد لتجلسه على المقعد الرخامي: «شكرًا لك».

وقف القائد كالبان ثم مد ذراعه أمامها لتمسك بها ويسيرا معًا: «هل تعلمين سيدتي قصة مولدكِ؟ بالطبع تعلمين لكن اتركيني أخبركِ ما حدث قبلها، زوجتي وجلالة الملكة كلاهما حان موعد ولادتهما لذلك قرر الملك أخذي في رحلة للبرية لصيد الغزلان، هناك تقليد ملكي لدى عائلتكِ أن أول ما تأكله الملكة بعد ولادتها هو قلب غزال، أردت الرفض والمكوث بجانب زوجتي ولكن كما تعرفين إنه الملك، طوال الرحلة وأنا عابس غاضب منه لكنه ظل يضحك كلما رآني ثم قال إنه سيعطي زوجتي جزءًا من قلب الغزالة ليصير طفلًا ملكيًا رغمًا عن الجميع، انتهينا من الصيد فجاء أحد الحراس يبلغنا أن كلتا المرأتين أَنجبتا، الملكة وضعت فتاة، وزوجتي جاءت بطفل ذكر، ظننت وقتها أن الملك سيغضب خاصة وأنه تمنى الذكر ليصير ولي عهد ويطمئن على مملكته، لكن أباك ابتسم إلى الحارس ومنحه مائة قطعة ذهبية وأخرى فضية، ثم سأله من أين هو فأجابه أنه من قرية علي سفوح جبال «منجولان» وكانوا قومًا لهم لغتهم البدائية الخاصة، فسأله الملك ماذا يعني الذهب بلغتهم، فقال الحارس: «رونيم»، أسرعتُ وقتها وطلبت معنى

كلمة الفضة فقال: «روبيم»، سألته وقتها: لِمَ كلا الاسمين متشابهان الذهب والفضة؟ فأخبرني لأن كليهما يلمع ومن أجلهما تقام الحروب».

رونيم: «لم أعلم تلك المعلومة الأخيرة».

القائد كالبان: «نعم أميرتي، هناك شيء جديد لتتعلميه، كلما ظننتِ أنكِ تعرفين القصة كاملة سيفاجئكِ القدر بشيء جديد».

سارت معه قليلًا حتى وصلت لدرجات القصر فانحنى القائد ثم رحل، راقبته حتى ابتعد وقد تضاربت مشاعرها: هل تكره القائد وابنه أم تشفق عليهما؟ هل تكره أبًا تمنى لابنه الأفضل؟ أم أن القائد أذكى من هذا ويحاول ألا يبني عداوة معها، خاصة وأنه لا يعلم ما الذي سيحدث في المستقبل خصوصًا في حالة موافقة الشعب على القانون الذي طرحه الملك، استسلمت في النهاية لفكرة أن القائد نادم بحق عما فعله، حتى لو مجرد فكرة سخيفة لكنها أرادت التمسك بها، فضَّلت التمسك بالخير بداخله وداخل الجميع خاصة بداخلها، تجولت داخل القصر ثم صعدت إلى غرفتها لتجد أن الخادمات انتهين تقريبًا، هناك خادمتان فقط تنظفان الغرفة ومعهما الوصيفة الأولى ترتب لها ملابس الغد التي ستسافر بها، حيَّتهن ثم أوصت الوصيفة بإعطاء الخادمتين مكافأة لتفانيهما في العمل، تفحصت الحقائب وفكرت كم من السهل جمع حياة المرء في بضع حقائب ليغادر تاركًا وطنه، عمل قاسٍ نوعًا ما ولكنها الحياة.

تجولت في غرفتها تحصي عدد الصناديق، توقفت أمام خزانة الملابس، رأت ذيل فستان زفافها بلونه الأبيض كالثلج، تذكرت طلب الملك بحضورها في أحد الأيام إلى «قاعة الملك»، وهي قاعة كبيرة محاطة بنوافذ زجاجية ملونة تسمح لأشعة الشمس بالدخول، دخلت ممسكة بيد الملكة فوجدت أكثر من عشرة رجال ممسكين بأمتار من القماش يمتد أمامهم، الأقمشة البيضاء بمختلف درجاتها مبسوطة أمامها وبجانب كل رجل هناك صبيان يمسكان بحلي ذهبية وأخرى فضية واضعيها بجانب الأقمشة لتقرر أي لون ستختار، شعرت بسعادة غامرة في هذا اليوم، في الحقيقة كان أسعد يوم في حياتها لأن أباها تكبد عناء إقامة هذا العرض من أجلها هي فقط، تذكرت تجولها مع أمها وعرض كل تاجر لنوع النسيج الأبيض الذي يعرضه: كيف صُنع؟ هل هو حرير خالص أم مختلط بأنواع أقمشة أخرى؟ مميزاته وعيوبه إن وجدت،

أحست وكأنها تتجول بين أمواج من اللبن الأبيض، شعرت بفرحة كطفلة تتجول في الأسواق يوم عيد، تذكرت وقوفها أمام هذا النسيج الأبيض الذي بدا كلون الثلج، تحسسته فلم تشعر بنعومة كتلك طوال حياتها، حملته بين يديها فكان خفيفًا كالهواء، حتى تاجر هذا القماش بدا مختلفًا؛ بدأ في شرح كل شيء عن النسيج وكيف تمت صناعته وعن اللون وما يعنيه، في الحقيقة لم تكن تعير كلام الرجل أي انتباه، بل تخيلت نفسها ترقص بهذا الثوب مع زوجها يوم زفافها.

الفكرة الأخيرة انتشلتها من دوامة ذكرياتها فتوجهت لخزانة الملابس وفتحتها على مصراعيها مخرجة الفستان لتلقيه على الفراش أمام الخادمات والوصيفة المذهولة.

رونيم: «ضعيه في أحد الصناديق، سآخذه معي».

***

انتظرت حتى تخللت أشعة الشمس الغرفة ثم أبعدت الأغطية متسائلة هل ستصمد حتى تصل إلى القصر أم يكتشف الجميع أنها لا تنحدر من الملك الأول ويتخلصون منها، ربما يظنون أن دماءها غير طاهرة ويلقبونها بالأميرة العاهرة بعد موتها، في الحقيقة كل هذا لا يهم، ستكون ميتة ولن تهتم بالأقاويل، يحزنها عدم قدرتها على الدفاع عن شرفها، لكن لتنظر للجانب المشرق، هي لن تكون حاضرة.

غادرت الفراش واستدعت الخادمات، طال الأمر قليلًا حتى جاءت خادمتان بأعين ناعسة ليساعداها في التحضير ليومها الحاسم، واحدة تساعدها على خلع ملابسها والأخرى تحضّر الماء الساخن لتضعه في حوض الاستحمام، تأملت الخادمة وهي تتثاءب، لا بد وأنها نامت كقطة صغيرة غير مجبرة على اتخاذ قرار يعارض رغبتها أو أن تسير بملء إرادتها لمملكة ملعونة تسكنها الوحوش، حسدتها قليلًا ثم عاتبت نفسها؛ تمتعت كثيرًا بكونها أميرة وابنة الملك، عليها دفع الضريبة الآن، تنعمت طوال حياتها بالعيش كملكة فلتكمل حتى النهاية.

وضعت الخادمة التاج المرصع بالجواهر الحمراء فوق رأسها فابتسمت متأملة انعكاسها في المرآة، إنها راضية عن اختيارها فستانًا أزرق اللون

ونسيجه الذي يتناسب مع الجو البارد للبحر، شعرها الأسود الكثيف معقود خلف رأسها والتاج يظهر لون عينيها السوداوين، لم تكن سمينة ولا رفيعة متوسطة الطول، عادية حد الملل، هكذا رأت رونيم نفسها على عكس أختها الشقراء الطويلة ذات العينين الخضراوين. قامت بشكر الخادمتين ثم توجهت لغرفة الطعام.

بدأت المقاعد في الامتلاء، وبحثت عن أبيها بين الحضور، فُتح أحد الأبواب ليدخل الحاجب معلنًا وصول الملك، وقف الجميع ثم مرت لحظات حتى دخل ومن خلفه الملكة وولية العهد.

راقبتهم وهم يتناولون وجبتهم، جاءوا للاحتفاء بها لكنها تعلم: لا أحد يهتم بما سيحدث، ليس حقًا، اهتمامهم منصبٌّ على إنهاء الكوارث التي تهدد الممالك الثلاث، أو بمعنى آخر إبطال اللعنة.

تفادى الجميع النظر نحوها إلا ميرانا حدقت إليها في صمت، لم يحضر القائد كالبان أو روبيم، والوزير أسطبون غير متواجد على غير عادته، وجوده يمدها بالطمأنينة نوعًا ما.

مر الوقت وانتهت معه الوليمة الصباحية، وتتابع الحضور بإلقاء كلمات فارغة من العاطفة على مسامعها، أراد البعض توديعها عند المرفأ لكن الملك أَصر على ذهاب العائلة فقط.

صعد الملك إلى عربة ذهبية تجرها خيول بيضاء ومن خلفه الملكة وابنتاه، جلس صامتًا بجانب النافذة يراقب الطريق. حملقت الملكة بابنتيها وبدا وكأن الكلمات لا تجد الطريق إلى فمها أو ربما خافت من إشعال غضب الملك بأي كلمة خاطئة، لذلك فضل الجميع الصمت.

بضع دقائق ثم توقفت العربة وبدأ الخدم في فتح الأبواب، خرج الملك أولًا ثم بدأت الملكة في التحرك عندها أوقفها وأشار إلى رونيم لتمسك بيده، تعلمت أن تلك الأفعال تغضب أمها كثيرًا؛ عدم احترام الأعراف والتقاليد، ترجلت من العربة ممسكة بيد أبيها ليلطمها هواء البحر البارد.

تأبطت ذراعه وسارا للمرفأ حتى توقفا أمام سفينة ضخمة تغلفها قطع من القماش الأخضر عليها شعار المملكة، الشجرة الذهبية، بدت السفينة كخلية نحل، الجميع يعمل عليها وحولها، ينقلون الكثير من الصناديق الضخمة إليها،

ابتسمت رونيم لأبيها ثم تركت يده مقتربة من السفينة الضخمة تتفحصها حتى وقعت عيناها على الوزير أسطبون.

«عزيزتي كيف حالكِ في هذا اليوم المجيد؟»

- افتقدك الجميع هذا الصباح.

- أظنهم لم يلاحظوا غيابي. انتظري، جلالة الملكِ كيف حالك سيدي؟ الوليمة أعجبتني اليوم لقد استمتعت بها.

الملك متفحصًا السفينة: «نعم... نعم، سعيد أن الطعام أعجبك».

تبادلا النظرات ثم ابتسما.

الوزير: «حسنًا من افتقدني حقًا هو أنتِ... ربـ...آه... هل تسمحين لي بإعطائكِ مجموعة من النصائح؟».

هزت رونيم رأسها.

- حسنًا، من الآن وصاعدًا أنت ملكة لذلك عليك قول ما تشعرين به، لا داعي لإخفاء ما بداخلك حتى تنالي رضا الجميع بل الجميع سيسعى لنيل رضاكِ، لا أحد يملك القدرة على سماع أفكاركِ لذلك صرحي بها وليكن صوتكِ مرتفعًا وقويًا، الجميع يخاف من الأصوات المرتفعة تذكري هذا، حتى الوحوش عزيزتي تخاف من الأصوات المرتفعة.

ابتسمت بحزن: «هل أبدو بهذا الضعف؟».

قطب الوزير جبينه: «على العكس عزيزتي، أكثر الأشخاص ضعفًا هم من يمتلكون أعلى الأصوات صخبًا، تذكري تلك النصيحة أيضًا، لكن الجهلة لا يعلمون بذلك، وامرأة بوضعك عليها إظهار القوة، فليكن صوتكِ مرتفعًا وأفكاركِ هادئة ولتتحلي بالقوة».

ابتسمت رونيم: «وكأنك لن ترافقني؟».

ابتسم الوزير بحزن: «للأسف لا أستطيع، أوامر عُليا، ستسافرين بمفردكِ عزيزتي».

أوامر عُليا أم أوامر الملكة، نظرت لأمها فوجدتها تتحدث مع ميرانا، بدت أختها غاضبة من شيء وهي تبعد يد أمها في عنف، تلاقت أعينهما فهدأت ميرانا وابتعدت.

انتهى العمال تقريبًا من تحميل المتاع كافة لسطح السفينة، حانت لحظة الوداع فوقف الملك وبجانبه الملكة وعلى بعد خطوات قليلة وقفت ميرانا محملقة في أختها، تنفست رونيم وتوجهت إلى أبيها: «أبي أنا أحبك، أنت صخرتي... و... و... من فضلك أخبر المؤرخين بأني قلت شيئًا ذكيًا ينم عن العظمة».

ضحك الملك حتى دمعت عيناه: «حسنًا لا تقلقي عزيزتي، سأفكر في شيء خلاب لأقوله لهم».

احتضنت أباها بقوة دامعة العينين ثم توجهت لأمها، بادرت الملكة باحتضان ابنتها.

رونيم: «سأجعلكِ فخورة بي».

الملكة: «أنا واثقة من هذا عزيزتي».

ابتسمت لها ثم نظرت لأختها، فكرت في المضي والصعود إلى السفينة لكنها قررت التحلي بالقوة والذهاب لوداعها.

ميرانا بصوت واهن: «رحلة آمنة».

أرادت الاعتراض على كلمة رحلة! هي ليست ذاهبة إلى رحلة لكنها لم تشأ إيقاظ العداوة.

رونيم: «نعم شكرًا لكِ».

همَّت بالابتعاد ولكنها توقفت واحتضنت أختها بقوة، انفجرت ميرانا باكية فضمتها بقوة حتى هدأت.

ميرانا: «لا... تـــ... تذهبي... أرجوكِ... يمـــ... يمكننا إحضار فتاة أخرى لتذهب بدلًا منكِ، يمنـــ... يمكننا حتى رفض ذهابكِ، أي شيء، أي شيء ولكن لا تـــ...».

رونيم: «توقفي، سأذهب إنها النهاية، لكني لم أعد غاضبة، أنا أحبكِ وسامحتكِ تذكري هذا، وأخبري روبيم أني آسفة على كلماتي الأخيرة له، أخبريه أني سامحته كذلك».

هزت ميرانا رأسها ماسحة دموعها المتساقطة، احتضنتها للمرة الأخيرة ثم توجهت للسلم الخشبي، وقف في بدايته الوزير أسطبون مبتسمًا لها.

الوزير: «عزيزتي هل ترين على التل البعيد؟ جاء بعض النبلاء لتوديعكِ. هل ترينهم؟».

نظرت رونيم خلفها، لوحت لهم بيدها، ثم التفتت للوزير: «جاءوا ليودعوني إلى مثواي الأخير».

ابتسم الوزير ممسكًا بيدها: «تحلي بالقوة ولكن لا تنسي التزين بالعاطفة أيضًا عزيزتي».

ابتسمت: «لا تقلق، وتذكر قلتُ شيئًا عظيمًا ورائعًا لو سألك أحدهم».

الوزير مبتسمًا: «لا تقلقي عزيزتي سأقوم بتأليف شيء عميق وذكي».

ابتسمت له ثم مد قبطان السفينة يده ليعينها على الصعود، أمسكت بطرف فستانها ثم بدأت في الصعود، وقفت على طرف السفينة ولوحت لعائلتها، تحركت السفينة، نظرت إلى أرضها وسمائها، وشعرت بالألم؛ تلك آخر مرة ستراهم.

***

أيقظها صوت ارتطام الأمواج بالسفينة، هل توقفنا؟ تساءلت وكأنها تنتظر إجابة ولكنها بمفردها الآن، ارتدت ملابسها ثم غادرت، كلما قابلت أحد البحارة أو ضابطًا حياها بجلالة الملكة، لقب أزعجها كثيرًا، هي ليست ملكة ولن تكون أبدًا، وصلت أخيرًا إلى كابينة القبطان فاستقبلها بابتسامة.

- هل وصلنا سيدي؟

- نعم سيدتي الرياح ساعدتنا كثيرًا، من الأفضل الانتظار في كابينتكِ، سنفرغ الحمولة ثم سيتوجه الجنود معكِ إلى ميناء «النيلان» ومنه إلى المملكة المطموسة.

ارتعشت عند سماعها «المملكة المطموسة»، هزت رأسها في شرود ثم عادت لكابينتها، رأت الكثير من الجنود يتحركون وتساءلت: هل يتواجدون

لحمايتها أم فرض السيطرة على المملكة الجديدة وضمها لمملكة أبيها؟ ولو نجت هل ستحكم أم تتحول لدمية في يده؟

لم يمر الكثير من الوقت حتى بعث القبطان بأحد البحارة يبلغها بأن تستعد، خرجت إلى سطح السفينة، أغمضت عينيها وتنفست هواء الصباح البارد ثم تفحصت الشاطئ أمامها، هناك سرية صغيرة من الجنود مع أعلام المملكة الخضراء تتوسطها الشجرة الذهبية، وقفت على رمال الشاطئ حتى أحضر أحد الجنود حصانًا أسود اللون، تقدم قائد السرية وطلب منها اتباعه ومن خلفهما سار الجنود مع بعض الخدم واضعين المتاع والصناديق الخشبية على عربات تجرها الخيول.

رونيم: «كم ستستغرق الرحلة؟».

الجندي: «حتى منتصف اليوم جلالة الملكة».

أرادت الاعتراض على كلمة جلالة الملكة لكنها فضلت الصمت، مرت بضع ساعات حتى انتصف اليوم واختفت القرى وبدأت الجبال في الظهور من حولهم حتى وصولوا لطريق رملي فبدأت الخيول بالصهيل.

«اللعنة»، قالها الجندي محاولًا السيطرة على حصانه.

رونيم: «ما الأمر؟ ماذا أصاب الخيل؟».

الجندي: «لا تقلقي جلالة الملكة، إنها حيوانات غبية».

بدا أن حصانه أدرك ما يقوله فطرحه أرضًا، سبَّ الحصان وقام لينفض ملابسه ثم صعد مرة أخرى.

رونيم: «حيوانات غبية ولكنها حساسة نوعًا ما».

الجندي مبتسمًا في تكلف: «نعم جلالة الملكة».

رونيم: «إنها ليست غبية، كل ما في الأمر أنها تشعر بما لا نشعر نحن به، إنها خائفة من اللعنة والوحوش».

الجندي في شرود: «لو كنا أذكياء لهربنا».

قالها هامسًا لنفسه ولكنها سمعته .

رونيم: «لدينا واجب علينا جميعًا الالتزام به».

انتفض الجندي قائلًا في قوة: «نعم جلالة الملكة كلنا خلفك».

خلفكِ وليس أمامكِ كلمات مبشرة حقًا، ابتسمت له واكملوا السير. مرت ساعة أخرى ثم بدأ تل كبير في الظهور، ترجل الجندي عن حصانه وأشار للسرية، تقدم جنديان ووقفا أمامها وكأنهما يحميانها من شيء ما، مرت لحظات ثم برزت امرأة ورجل عجوز، ظهرا من خلف التل وكلما اقتربا ظهرت معالمهما: المرأة في منتصف الأربعينيات ترتدي ثيابًا مبهرجة أقرب إلى الغجر، أما الرجل فبدا غريبًا حقًا؛ رفيع وكأنه عظام تتحرك، طويل للغاية لا يمكنك تبين ملامحه من كثرة التجاعيد ومع ذلك لم يحتج مساعدة ليسير، ارتدى عباءة طويلة متسخة ومغطاة بالأتربة وكأن عمرها مائة عام هي الأخرى، أشار لهما الجندي ليتوقفا مشهِرًا سيفه أمامهما.

المرأة: «جلالة الملكة، سلامٌ مني وتحيات».

هزت رونيم رأسها: «عرفي نفسكِ سيدتي».

- «شارزون» في خدمتكِ.

- أنتِ ساحرة، أليس كذلك؟

شارزون مبتسمة بخبث: «لا يخفى على أحد ذكاؤك مولاتي».

ترجلت رونيم رغم اعتراض الجنود متقدمة نحو المرأة: «لا علاقة للذكاء بالأمر، أخبروني بوجود ساحرة لإنهاء اللعنة، ساحرة من نسل المرأة التي أطلقتها، أليس كذلك؟».

- بلى سيدتي، شارزون في خدمتكِ.

- وأنت سيدي بما ألقبك.

«تكارون»، خرج صوت الرجل ضعيفًا وكأنه سيموت خلال لحظات.

رونيم: «سيد تكارون مـــ...».

قاطعتها الساحرة: «تكارون ليس اسمه مولاتي».

رونيم: «عفوًا!».

شارزون: «إنها صفته «تكارون» تعني المراقب، إنه... حسنًا سيدتي... الأمر يطول شرحه هلا أمرتِ جنودكِ بالاستراحة، نحن لا ننوي أذيتكِ، كما أننا لن نبدأ العمل حتى يخيم الليل وتظهر الوحوش».

أطالت رونيم النظر لها ثم أمرت الجنود بالاستراحة وبناء مخيم حتى الليل، تحرك الجنود منهم من يفرغ العربات ومنهم من يحضر مقاعد خشبية ومنضدة صغيرة وآخر أحضر أكوابًا وبدأ في صب عصير منعش.

شارزون: «حسنًا مولاتي، منذ بضعة أشهر أمرتني أمي بالذهاب إلى الملك لأن الكوارث كثرت وبدأت في تدمير القرى حولنا قائلة لي إنها شاهدت الملكة المختارة تمسك بسيفها قاطعة حشائش البسكان».

«حشائش ماذا؟»، قالتها رونيم وهي تنظر للجندي خلفها، هز رأسه فتلك أول مرة يسمع بها.

شارزون: «إنها حشائش طويلة بطول ثلاثة رجال وتدعى أيضًا حشائش الشيطان، تنمو على أرض غير طاهرة وإذا قُطعت فإنها تنزف دماءً».

الجندي: «اللعنة».

رونيم: «حسنًا، أكملي».

شارزون: «بالطبع لم أصل لملك مملكة «معيوران» ولكن الأمور انتشرت سريعًا كما ترين سيدتي».

رونيم: «حاولي اختصار القصة؛ الشمس بدأت في الاختفاء».

نظرت الساحرة لقرص الشمس وتوترت: «حسنًا سيدتي دعينا نتحدث عن مراسم التتويج».

رونيم معترضة: «مراسم التتويج؟! أنا الملكة؛ لا أحتاج تتويجًا من أحد».

حاولت الساحرة التكلم لكن الرجل أمسك بيدها قائلًا بصوت واهن: «سيدتي، سنحاول ألا نطيل عليكِ، أعرِّفكِ بنفسي أولًا أنا تكارون، وكما قالت شارزون إنها صفة وتعني المراقب كما أن لها معنى آخر وهو الحكيم، نعم يا سيدتي، كنت حكيم تلك المملكة منذ أكثر من مائة عام. في الحقيقة كنت

أحد الحكماء الخمسة الموجودين داخل القصر، مات اثنان وبقيت أنا واثنان من زملائي ونتـ...»

رونيم: «انتظر، أنت لم تتحول مع اللعنة».

تحدث بصوت مرتعش: «اللعنة مسخت الجميع بما يستحقه، أو كما رأت السيدة «منازوان» -وقبل سؤالكِ إنها الحاكمة التي ألقت اللعنة على المملكة- السيدة لعنت الجميع بما يستحقه، حوَّلت الرجال لمسوخ: نصف حيوان ونصف بشري، أصابت النساء بالجنون ثم سخطتهن لكائنات قبيحة الشكل، أما نحن حكماء القصر لعنتنا بالمراقبة داخل هذا الجبل طوال الأعوام المائة، نسمع ونرى كل شيء لكننا لا نستطيع التحرك».

أشار بيده إلى أحد الجبال جهة اليسار، بلعت رونيم ريقها بصعوبة ثم أشارت للرجل ليكمل.

- حسنًا سيدتي، راقبت لمائة عام الوحوش تخرج كل بضع سنوات تصطاد ثم تختفي، سمعت صوت عويل النساء على أطفالهن كل بضع سنوات ثم تتلاشى الأصوات وهكذا مرت الأعوام المائة، حتى دخلت شارزون إلى الجبل وقامت بفك اللعنة لأتحرر أنا وزملائي فقط.

رونيم: «أنـ... أنا لم أعلم بكل هذا».

تكارون بصوته الواهن: «والآن تعلمين سيدتي، لقد مرَّ ما مرَّ ونحن الآن سندخل لهذا الجبل بعد حلول الظلام لنقابل الوحوش وندمر اللعنة وكذلك لتباركي شعب المملكة ثم تقـ...».

- عفوًا، أبارك؟!

- نعم سيدتي، تباركينهم على المستوى الروحي أولًا، أي أن تكوني راضية عنهم، ثانيًا من الناحية الجسدية، ربما تلمسينهم، أو تحـ...

- سيدي من فضلك، ما هذا الذي تقوله؟ أنا لا أعتـ...

- هناك أيضًا الجانب النفسي لتُقرِّي داخليًا بوجوب مساعدتهم بل وترغبين به، فمهما بلغت أخطاء الماضي باقي سكان المملكة لا

يستحقون لعنهم بسبب أفعال مجموعة صغيرة من الأفراد، لتؤمني بذلك سيدتي.

- أنا حقًا، أنا أستـ...

- أعرف أن ما أطلبه صعب لكنه ليس مستحيلًا، حاولي سيدتي وتذكري عدد الأرواح البريئة والمعذبة التي ستنقذينها

الجندي: «لو كانت بريئة لما تم لعنها».

نظر المراقب للجندي طويلًا ثم أكمل: «لم أكن أعني ساكني الوادي، عنيت شعوب الممالك الثلاث، فما حرَّك الملوك هي الكوارث التي بدأت تقترب من القصور الملكية».

أراد الجندي قول شيء ما لكن رونيم أشارت له ليصمت.

- حسنًا، ما المطلوب مني الآن؟

تدخلت الساحرة: «المطلوب منكِ سيدتي هو اختبار بسيط؛ ربما لستِ الملكة المختارة، ستدخلين معنا إلى الجبل وهناك ممر صغير سيوصلنا إلى الوادي عندها سنرى هل أنتِ بالفعل الملكة المختارة أم علينا البحث عن أخرى».

- ماذا؟! هل تقولين إنني ربما لست الملكة المختارة؟ واختبار بسيط ويمكنني العودة إلى الوطن.

شارزون: «نعم سيدتي، ولكن أولًا اكشفي عن ذراعيكِ».

- ماذا؟!

شارزون: «من المفترض أن تلمسي الملعونين سيدتي أو على الأقل اتركيهم يلمسون ذراعيك، لا أعتقد أن جلالتكِ ستقومين باحتضان كل هؤلاء».

غمغمت رونيم بشيء غير مسموع.

شارزون: «عفوًا مولاتي؟».

رونيم صارخة: «لم يخبرني أحد أن الأمر بهذا الصعوبة».

نظرت المرأة للرجل ثم ابتسمت لها في تكلُّف.

رونيم مستسلمة: «حسنًا هيا بنا».

تكارون بصوته الضعيف: «من الأفضل لو رأت سيدتي الوادي أولًا».

رونيم: «لماذا؟».

لم يعلِّق الرجل، ولكنه أشار لها ناحية التل الذي جاء منه مع المرأة.

أشارت للجندي فتقدم مشهِرًا سيفه أمامه، أمسكت الساحرة بيد رونيم تعينها على صعود التل، وجاء من خلفها جنديان آخران يحملان المشاعل مشهرين سيوفهما.

تأملت الوادي، لم يكن كبيرًا حقًا بل بدا كممر أو طريق ممهد بين سلاسل الجبال، تقدمت أكثر فوجدت بركة صغيرة من الماء، وعلى جانبي الوادي توجد حشائش ضخمة، حشائش أقرب إلى سيوف رفيعة بطول ثلاثة رجال، مدببة النهاية ولونها أخضر يميل للسواد.

رونيم: «أتلك حشائش... الـ... الشيطان؟».

المرأة: «نعم سيدتي، حشائش البسكان».

رونيم: «حسنًا رأيته، لنكمل طريقنا قبل انطفاء الشمس».

تقدمت شارزون الطريق، بدأ آخر ضوء للشمس في الاختفاء فأشعل الجنود نيرانًا متفرقةً لإنارة الطريق وإبعاد الوحوش.

بضعة أمتار ثم بدأ الكهف في الظهور؛ توقفت شارزون عند المدخل ثم انحنت ليظهر في يدها مصباح لإنارة الطريق، أشارت لرونيم لتدخل الكهف الذي بدد المصباح جزءًا من ظلمته، لاحظت خطًّا أبيض مرسومًا على حدود الكهف لكنها لم تبالِ به ودخلت، عندها سمعت صوت تهليل وصراخ قادمًا من خلفها، استدارت لتجد المرأة تقفز من الفرح كطفلة صغيرة.

- إنها عذراء، إنها عذراء.

استلَّ الجندي سيفه متوجهًا إلى رونيم ليعينها على الخروج، لكن ما إن خطا داخل الكهف حتى صرخ متألمًا ليسقط السيف من يده.

جثت رونيم بجانب الجندي لترى ما آلمه، اقتربت منها الساحرة فالتقطت السيف لتشهره أمام ضحكاتها المجنونة: «ماذا حدث توًا؟ تكلمي وإلا قتلتكِ».

توقفت المرأة عن الضحك: «حسنًا... حسنًا. هذا اختبار بسيط، الملكة المختارة يجب أن تكون طاهرة الروح والجسد، وهذا سحر بسيط على مدخل الكهف للتأكد منكِ ليس أكثر».

انقضَّ الجندي على الساحرة واضعًا خنجره على رقبتها: «أيتها العاهرة، سأقتلك الآن».

رفع الجندي رأسه طالبًا الإذن من رونيم لكنها أنزلت السيف ثم تفحصت الرجل العجوز لتجده غير مهتم بما يجري الآن بل وقف محدقًا في ظلمة الكهف، أشارت للجندي ليتوقف فنفذ الأمر وهو يغمغم بكلمات غير مفهومة.

تقدمت لتحمل المصباح المُلقى على الأرض ثم خطت مرة أخرى داخل الكهف: «هل هناك اختبارات أخرى غبية أم سنكمل الطريق؟».

السيد تكارون: «لقد تأكدنا من أن الجسد طاهر، الآن سنرى روحكِ».

قالها ثم خطا داخل الكهف.

تحركت الساحرة ونظرها مثبَّت على الجندي: «حسنًا أنت لست طاهر الجسد، كم امرأة اغتصبت؟ كم روحًا بريئة قتلت؟».

الجندي غاضبًا: «أيتها العاهرة، لي زوجة وأطفال».

رونيم: «فليصمت كلاكما، وإلا أمرت بقطع رأسيكما معًا».

الجندي: «جلالة الملكة لا تدخلي بمفردكِ، عليَّ حماية سموكِ، نحن لا نعلم مَن هؤلاء حقًا».

رونيم: «استرخِ أيها الرجل لديَّ سيفك».

الجندي موشكًا على البكاء: «لكن سيدتي، سيقتلني الملك لو علم بالأمر».

زفرت رونيم: «حسنًا، ألا توجد طريقة لإدخاله؟».

جثت شارزون واضعة يدها على الخط الأبيض لتغمغم بشيء ما فاختفى، ابتسمت للجندي كاشفة عن أسنانها المصفرة، خطا الرجل داخل الكهف

وهو يتوقع الشعور بالألم لكن لا شيء، ابتسم وأخذ المصباح من يدها وسار أمامهم ينير الطريق، تفحصت المكان على ضوء المصباح الضعيف، الكهف يتسع كلما تقدموا أكثر حتى وصلوا لقاعة حجرية، دار الجندي بالمصباح ليكشف عن ضخامة القاعة أمامهم، قبع في منتصفها طاولة خشبية كبيرة الحجم مغطاة بالأتربة وشباك العنكبوت يجلس إليها اثنان من الرجال، نظر الجندي للأميرة، فأشارت له ليتقدم وهي خلفه، غطَّت الأتربة وشباك العنكبوت الرجلين، اقتربت من الطاولة عندها سمعت صوت تهشم، أمسكت بذراع الجندي وأشارت له على أرضية الكهف لينير لها فشهقت مبتعدة، ما تهشم تحت قدميها كان جزءًا من عظام بشرية.

رونيم: «هـــ... هل هؤلاء؟».

السيد تكارون: «نعم سيدتي إنهم زملائي، ماتوا».

الجندي: «حقًا يا رجل، ألم تفكر في إبعاد عظامهم؟».

أكمل السيد تكارون طريقه: «لماذا؟ إنها ليست عظامي».

تبادلا النظرات ثم سارا خلف الرجل العجوز.

الجندي: «ألن نفعل أي شيء للرجلين الجالسين إلى الطاولة؟».

رونيم: «لا أعلم، أدعو الله أن يخرج كلانا حيًّين ثم سأنظر في شأنهما لاحقًا».

انتهت القاعة الضخمة أخيرًا ليقابلوا ممرًا طويلًا وضيقًا للغاية حتى شعرا بالاختناق ثم بدأ الممر في الاتساع ليصلوا إلى قاعة أخرى مظلمة كريهة الرائحة وشحيحة الهواء، أرادت الهرب لكنها تذكرت واجبها فثبتت.

شارزون: «الآن لحظة الحقيقة، مولاتي من فضلك شمري عن ذراعيكِ».

- ماذا؟ الآن؟!

- تقدمي من فضلكِ، وألزمي حارسكِ بترك سكينه حتى لا تظن الوحوش أننا قادمون لقتالها.

همَّ الجندي ليعترض ولكنها أوقفته بإلقاء السيف ثم أشارت له بإنزال سكينه ففعلها مترددًا.

تقدمت رونيم إلى الجندي: «شكرًا لك سيدي على حمايتي لكني أطلب منك الابتعاد، إن حدث لي شيء ما اهرب أنت والجنود لإخبار أبي بما حدث، من فضلك أنا ملكتك الآن فلا تعترض، أخبروا أبي أنني من طلبت منكم ذلك، لا أريد أعمالًا بطولية أو أي أفعال متهورة، ارحلوا لو حدث مكروه ولا تعودوا إلا بجيش يدك هذا الوادي ويمحو تلك الوحوش إلى الأبد، هل تسمعني؟».

هز الجندي رأسه زائغ العينين، استدارت للساحرة: «حسنًا، أنا جاهزة».

أمسكتها شارزون من يديها وكأنها طفلة صغيرة، ساقتها حتى منتصف القاعة ثم أشارت لها لتكشف عن ذراعيها ففعلت مرتعشة.

شـ ـرون: «الآن، مولاتي من فضلكِ لا تصرخي، ولا تتحركي، وبالطبع لا تهربي، حسنًا من الأفضل أن تغمضي عينيك وتســ...».

السيد تكارون بصوته الواهن: «كلا، لا تغمضي عينيكِ، عليكِ رؤيتهم، عليكِ رؤية اللعنة وما صنعته بالرجال لتبصري ما فعلته الكراهية، ما فعله الانتقام، والأهم ما يفعله الحزن».

أوشكت على البكاء وهي تسمع كلمات الرجل، جسدها يرتعش وقلبها يخفق والرائحة الكريهة تخنقها لكنها وقفت في منتصف القاعة تمد ذراعيها، شعرت بالضوء ينخفض من خلفها، لا بد وأن الجندي وضعه على الأرض؛ ربما تعب من حمله أو ربما وضعه ليستعد للانقضاض في حالة الهجوم مخالفًا جميع أوامرها.

شارزون: «هل أنتِ مستعدة سيدتي؟».

هزت رونيم رأسها.

شارزون: «حسنًا من فضلك ارفعي ذراعيكِ قليلًا، وسيدتي مهما رأيتِ لا تصرخي».

تراجعت المرأة بضع خطوات ثم أخرجت ورقة من طيات ملابسها قائلة بصوت مرتفع ولكنه مرتعش: «بسم الإله.. ننير الطريق.. بسم الإله.. نحيِّي الصديق.. بسم الإله نبعث التحيات.. بسم الإله.. جئنا في سلام».

اهتزت الأرض من تحتهم قليلًا ثم هدأت، نظرت رونيم خلفها للجندي والضوء يرتعش على الأرضية، لحظات مرت ثم بدأ المكان في الاهتزاز وحوائط الكهف في التحرك كأنها تلفظ ظلالًا سوداء، ارتعشت خوفًا وهي ترى تلك الظلال تقترب، بدأ أول شكل في اتخاذ هيئة رجل، اطمأنت نوعًا ما وهدأ تنفسها قليلًا حتى بدأ في الاقتراب ليدخل دائرة الضوء ويظهر أمامهم كاملًا.

«اللعنة»، قالها الجندي صارخًا.

صرخت شارزون: «إياك والتحرك وإلا هلكنا جميعًا».

بلعت شارزون ريقها ثم نظرت إلى الورقة وقالت بصوت مرتعش: «تلك هي الملكة المختارة انحنوا لها لتنحني لكم، أطيعوها لتطيعكم، وإن لم تكن غايتكم اتركوها بسلام».

قالت تلك الكلمات وابتعدت لتبدأ الظلال في التحرك متوجهة إلى رونيم، اقترب أولهم لتراه بوضوح نصف جسده العلوي لثور أسود اللون، أما النصف السفلي لرجل تغطي عورته الملابس البالية، اقترب منها لكن جاء من خلفه وحش آخر نصفه العلوي لخنزير رمادي اللون ونصفه السفلي رجل وتقدم يلمسها أولًا كأنه يريد حماية صديقه.

مرت لحظات ولم يحدث شيء له، تبادلت الوحوش النظرات وبدأ الخوار الغاضب ينفث من أنوفهم الشبيهة بالحيوانات، عندها عرفت أنهم سيهاجمونها، حاولت التراجع ببطء لكن الوحش بنصف خنزير بدأ الصراخ ثم سقط متلويًا على الأرض؛ تراجعت خوفًا، سحبها الجندي خلف جسده، ما زال الوحش يتلوى ألمًا على أرضية الكهف، هدأ أخيرًا ثم وقف يقطع فراءه الرمادي بمخالبه كالمجنون حتى ظهر جلد بشري شديد الحمرة، رفع رأسه

متألمًا لتختفي ملامح الخنزير ويظهر وجه رجل، استغرق الأمر بضع دقائق أخرى حتى هدأ تمامًا فاتجه إليها ثم جثا على ركبتيه منهكًا.

- مولاتي.

قالها بصوت متحشرج، ثم ابتعد متثاقلًا خارج القاعة متجهًا إلى الظلام الذي يقبع أمامهم.

همست المرأة: «مولاتي من فضلكِ تقدمي».

الجندي هامسًا: «إن كنتِ تريدين الرحيل الآن يمكنني الهجوم وإعطاؤكِ وقتًا للهرب».

رونيم: «كلا».

وقفت تمد ذراعيها أمامها مغمضة العينين، بدأت الأصابع المشعرة في لمسها: خشنة، جافة وكأن عنكبوتًا ضخمًا يتسلقها. أرادت الصراخ والهرب، أرادت التكور في أحد الأركان ودفن رأسها بين قدميها والبكاء كطفلة لكنها تجمدت مكانها، الوقت يمر وهي صامدة حتى توقفت الأصابع المشعرة عن لمسها وبدأت أصابع لزجة باردة في لمس يديها، فتحت عينيها مذعورة لترى المشهد المخيف أمامها، كائنات قصيرة بجلد أزرق باهت تظنهم للوهلة الأولى أطفالًا لكن ما إن تقترب حتى تراهم بوضوح: وجوهها مشوهة وكأنها احترقت وملامحها هي الأبشع؛ عين مطموسة وأخرى سليمة، أنف مسطح تمامًا، وأسنان تنبت خارج الفم. تلوت تلك الكائنات أسفل قدمها ثم تحولت إلى نساء عاريات، ظنت الرجال هم الوحوش، ولكن النساء كُنَّ الأبشع، أغمضت عينيها وتضرعت للإله ليمر الوقت سريعًا، لحظات وأصاب ذراعيها الخدر، قررت فتح عينيها ثانية لترى تلك الكائنات الصغيرة تتلوى ألمًا متحولة إلى نساء، ارتعش جسدها ولكنها ظلت واقفة كالصنم حتى مرت لحظات ولم يخرج وحش آخر من الظلام، الضوء يرتعش والساحرة تبحث حولها، أنزلت رونيم ذراعيها وصدرها يعلو ويهبط التفت في ضوء المصباح المرتعش لتجده ينظر لها في ثبات.

الظلام الخانق ينظر لها بعينين تشعَّان ضوءًا أصفر قويًا زاده ضوء المصباح الضعيف لمعانًا، إنه الرجل بنصف ثور. حدقت إليه، ثم إلى الجميع خلفها متسائلة عما تفعله، لماذا لا يلمسها مثل باقي الوحوش ويذهب لحاله؟

رونيم بصوت هامس: «ماذا أفعل؟».

المرأة بتوتر: «سيدتي، لا أعلم لماذا لا يتحرك مثل قرنائه».

الجندي: «سيدتي تحركي ببطء نحوي ولا تعطيه ظهركِ».

موشكة على البكاء: «أنا... لا.. أريـ...»

السيد تكارون بحزم: «راين المس ملكتك واجثُ لها احترامًا ثم اذهب».

قالها بصوت مرتفع جهوري يناقض صوته الهادئ المرتعش الذي تحدث به طوال الوقت.

اقترب الوحش منها مسرعًا حتى ظنته سيهاجمها ولكنه توقف على بُعْدِ خطوة واحدة منها، كان أطول الوحوش وأضخمها، اقترب أكثر حتى شعرت بأنفاسه تختلط مع أنفاسها ثم توقف، حدقت إلى وجهه متسائلة أليس من المفترض أن يلمسها! لماذا لا يتحرك؟ ما زال ينظر لها بثبات وكأنه ينتظر شيئًا ما، شعرت أن الوقت يمر ولا يتحرك لذلك قررت لمسه، مرت لحظات ثم بدأ جسده في الاهتزاز، توقعت وقوعه أرضًا مثل باقي الوحوش متلويًا من الألم لكنه ظل ثابتًا في مكانه، لم يعوِ أو يصرخ كالبقية، الشيء الوحيد الذي صدر منه هو التنفس بصوت مرتفع، بدأ فراء الحيوان في التمزق عن جسده عندها وقع أرضًا ولكنه تماسك سريعًا ليجثو على ركبة واحدة ثم ابتعد ليلتهمه الظلام كالبقية، تتبعته بعينيها حتى اختفى لم توقظها إلا يد الجندي تلمس كتفها.

- هل مولاتي بخير؟

محدقة في الظلام قالت: «نعم أنا بخير».

ثم توجهت إلى شارزون وقالت: «هل انتهى كل شيء؟ هل تخلصنا من اللعنة؟».

نظرت المرأة للسيد تكارون، فبادر قائلًا: «تخلصنا من أجزاء منها، لكن لا تشغلي بالك سيدتي، فأنتِ **الملكة المختارة**».

زفرت رونيم: «هيا بنا نخرج من هذا المكان أكاد أختنق».

التقط الجندي المصباح الذي استقر ضوؤه أخيرًا ثم تحرك من نفس المكان الذي جاءوا منه.

السيد تكارون: «مولاتي، من فضلك...».

قطبت رونيم جبينها: «مولاتي، دعوتني بسيدتي طوال الوقت ولكن الآن أنا مولاتك؟».

ابتسم الرجل: «أنتِ قوية الملاحظة مولاتي، لا يهم ما أدعوكِ به، أنتِ حقًا ملكتي».

قالها الرجل ثم جثا بصعوبة على ركبة واحدة مثله مثل الوحش الأخير، ثم أكمل: «سيدتي من الأفضل لو ذهبتِ إليهم الآن».

الجندي: «سيدتي علينا العودة إلى المخيم وإلا هجم الجنود».

بدا عليها التردد: هل تذهب إلى رجالها لتتمتع بالأمان أم تخاطر وتذهب إلى شعبها الآن؟!

رونيم: «هل تعرف كل الوحوش -أقصد الرجال- أم هذا الراين فقط؟».

السيد تكارون: «أعرفهم جميعًا، كنت أرى وجوههم الحقيقية، ولكني أعرف القائد راين معرفة شخصية».

- قائد؟!

- نعم مولاتي، هذا هو قائدكِ وحامي حمى المملكة، إنه قائد حرسكِ وقائد الجيش إن وجد، كما أنه نوعًا ما وزيركِ ومستشاركِ أيضًا.

رونيم ساخرة: «كل هذا؟! دَعْ الرجل يتنفس، حسنًا سأذهب إلى الوادي».

حاول الجندي الاعتراض ولكنها أشارت له ليصمت.

رونيم: «حسنًا يمكنك الذهاب معي والاطمئنان من خلو المكان من أي تهديد، ثم عد واستدعِ الجنود، هل يناسبك هذا؟».

الجندي: «عفوًا يا مولاتي، لم أقصد».

تقدم الجندي بالمصباح لينير الطريق ثم تبعته المرأة، تقدم السيد تكارون منها ومد ذراعه فتأبطته وسارا معًا.

رونيم هامسة: «لماذا هو غاضب هكذا؟».

السيد تكارون: «كيف عرفتِ أنه غاضب، ربما حزين أو متألم».

رونيم: «كلا إنه غاضب، وغاضب مني بوجه خاص، لقد رأيت ما يكفي من البشر الغاضبين لأعرف، لذلك أسألك مرة أخرى: لماذا هو غاضب مني؟».

- لأنكِ تأخرتِ يا مولاتي.

- أنا لم أتأخر، المسافة بعيدة نوعـ...

- كلا مولاتي، أقصد تأخرتِ لمائة عام، كان يجب أن تولدي قبل هذا بزمن.

نظرت رونيم له في دهشة، حاولت قول شيء ما لكنها لم تجد الكلمات.

تكارون: «حسنًا مولاتي، من الأفضل لكِ التركيز على حكم هذه المملكة، لا تدعي أحدًا يُلهكِ بأشياء أخرى».

لم تعرف مقصده لكنها هزت رأسها.

سارت معه حتى انتهى الكهف الجبلي، تقدمت ليلطمها هواء الليل البارد، لم تمانع الهواء النظيف، أوشكت على الاختناق من الظلام والرائحة، لمست قدماها الأرض الرملية للوادي وسرت في جسدها قشعريرة محببة. تفحصت المكان، بدا لها مختلفًا عما رأته من فوق التل، تفحصتهم الآن تراهم مجرد أشخاص شبه عراة منهم من يرتدي الأسمال ومنهم من يحاول الاختفاء خلف صخرة أو داخل الحشائش الشيطانية، في منتصف الوادي وقف تحت سماء الليل بعضلاته المفتولة وجسده المتعرق يتحرك هنا وهناك يأمر هذا بشيء وتلك بالتخفي، بدا كقائد لهم، ما زال صوته متحشرجًا يخرج بصعوبة لكنه يصرخ بهم ليتحركوا.

- انتظري هنا مولاتي ولا تتحركي حتى آتي بباقي الجنود.

هزت رأسها بشرود، وضع المصباح بجانبها والسيف في يدها وأسرع عائدًا للكهف، وما إن اختفى حتى تحركت الأرض تحت أقدامهم واهتزت الجبال من حولها وبدأت الأرض في الانشقاق، صرخت محاولة الهرب لكنها تذكرت الرجل العجوز وشارزون فصاحت بهما ليتبعاها. تحركت المرأة لكن السيد تكارون وقف ثابتًا، أخذت رونيم يدها محاولة الولوج للكهف.

صرخت شارزون: «إنه ليس آمنًا، سندفن أحياء يا مولاتي إن دخلنا».

رونيم صارخة: «حسنًا، لنبتعد عن الجبل».

بدأ الجبل خلفهم في التغير، أشكال تخرج منه متحوِّلة إلى شيء، تسمرت مكانها تحدق إليه، صرخت المرأة وتركت يدها لتهرب، مرت لحظات ثم توقف الزلزال وانقشع الغبار لتفهم ما حدث، لقد تحول الجبل إلى قصر ضخم، توقفت الأرض عن الاهتزاز وبرزت منها بيوت صغيرة بطابق واحد، نبتت من الأرض كما تنبت الشجرة، مرت لحظات حتى توقفت ولكنها خلفت سحابة من الغبار، غطت رونيم نصف وجهها بطرف ثوبها ثم تفحصت الجميع لترى هل أصيب أحد بسوء، وجدتهم يهللون فرحًا؛ تلك منازلهم. هدأت سحابة الغبار تمامًا وتمكنت من مشاهدة الناس يدخلون بيوتهم واحدًا تلو الآخر ثم يخرجون محملين بملابس وأغطية، مرة أخرى توسط «راين» الوادي يأمر امرأة ما بإحضار أغطية لعجوز لا يقوى على الحركة، ويأمر آخر بالبحث عن الماء والطعام، مرت لحظات ثم جاء جنودها مشهرين سيوفهم يغطي وجوههم الغبار.

حملق الجندي حوله غير مصدقٍ لما يراه: «سيدتي! ما.. كيـ... ماذا حدث؟».

- آهٍ.. لِمَ تأخرت يا رجل؟ لقد أخرجت الأرض بيوتًا.

الجندي مذهولًا: «لم تُسمَّ المملكة المطموسة جزافًا إذن».

- هيا مُرْ رجالك بمساعدة الناس، وقسِّم ما نملك من طعام وشراب على الجميع.

- لكن يا سيدتي علينا الاحتفاظ ببعض الطعام لنا، هناك غدًا...

- كلا نظِّم رجالك وأعطهم ما نملك، إنهم لم يتناولوا الطعام منذ مائة عام، وغدًا يوم آخر.

هز الجندي رأسه ثم ذهب للتحدُّث مع مجموعة من الجنود الذين بدؤوا في التحرك، أحدهم ينصب خيمة وآخر يحضر الألواح الخشبية ليصنع منضدة بدائية يضع عليها حصص الطعام، تحركت رونيم بين الجنود حتى انتهوا من تحضير الطعام ثم أمرت جنديًّا لينادي في الجمع ويحضر أهل المملكة، خرج الجميع من بيوتهم وبدؤوا في الوقوف في طوابير لأخذ حصصهم من الطعام، راقبت المشهد من بعيد ثم تذكرت نصيحة الوزير أسطبون عن عدم اتخاذها وسيط بينها وبين شعبها لذلك وقفت في منتصف المعسكر قائلة بصوت مرتفع: «أيها الناس، لقد انتهت أيام لعنتكم، أنا ملكتكم الآن وأنتم رعيتي، سأرعاكم وأحكمكم وأتولى أموركم، وفي المقابل أطالبكم بالطاعة والخضوع لي».

توقفت عن الحديث ولكن صدرها ما زال يعلو ويهبط، أرادت قول شيء مختلف، شيء قوي وملهم، ولكن خرج من فمها كلام غبي، دعك من أنهم جثوا بالفعل أمامها، فما الحاجة لمطالبتهم بالطاعة ثانية؟

تبادل سكان الوادي النظرات ثم جثت امرأة عجوز على ركبتيها، وكذلك فعلت أخرى ثم بدأ الجميع بالجثو واحدًا تلو الآخر، تنفست الصعداء، كانت ستبدو كالبلهاء إن لم يستمع لها أحد، الوادي بأكمله ينحني إلا هو، يقف بعيدًا ينظر لها في ثبات، هو ثانية، نظرت له طويلًا، بادلها نظرات التحدي ثم استدار مبتعدًا.

ألن يتناول الطعام؟ تابعته حتى وصل إلى طرف الوادي لمنزل منعزل يقبع في نهاية الوادي بين جبلين، صعد الدرج ثم دلف مغلقًا بابه.

****

تقلبت في الفراش محاولة الحصول على الراحة، ما زالت أحداث اليوم تتدافع أمام عينيها، عقلها لا يكف عن التفكير فيما حدث وما سيحدث ولا تتوقف عن تذكر هذا الذي رفض الركوع لها، كما لا تكف عن تخيُّل القصر

يُطمس وهي بداخله، قصر ظهر من بطن الجبل، قصر رائع الجمال من الداخل، جعلها تتساءل عن نوع اللعنة التي تجعل قصرًا ضخمًا ومذهلًا كهذا يختفي. تجولت فيه قليلًا قبل النوم ووقفت مذهولة أمام الأعمال الفنية المتناثرة في الغرف، الأثاث الخشبي المزين والمنحوت بأرقى التصاميم، احتوت الممرات على تماثيل رخامية رائعة الجمال متقنة الصنع، وصلت لجناحها المجهز بأفضل الأثاث، توسط الغرفة سرير ضخم بأعمدة خشبية مزينة بفروع خضراء وزهور ذهبية، وغُطيَت الأعمدة بستائر بيضاء شفافة تجعلك تظن أنك في حلم جميل، على الجهة اليمنى من الفراش تقبع شرفة ضخمة مزينة بفروع فضية تكشف أرجاء المملكة الصغيرة كلها، تمددت على فراشها متعجبة مما حدث الليلة وخُيِّل إليها للحظة أنها تحلم.

***

فتحت عينيها على صوت الخادمة وهي توقظها.

- سيدتي.. سيدتي.

تقلبت في الفراش ونظرت إلى النافذة، الظلام ما زال دامسًا: «لماذا توقظينني الآن؟ الشمس لم تشرق بعد».

- آهٍ... مولاتي الشمس لا تشرق هنا أبدًا.

اعتدلت لتنظر لها متعجبة: «ماذا؟!».

- اللعنة يا مولاتي، اللعنة، تمنع الشمس عنا.

أسرعت إلى الشرفة محدِّقةً إلى الوادي ثم عادت تجلس على فراشها.

الخادمة: «مولاتي، هل أحضر لكِ الطعام؟».

رونيم بشرود: «حسنًا، نعم».

غادرت الخادمة وتركتها تتأمل السماء، «يا إلهي، ما الذي ورطت نفسي به؟».

نظرت إلى الوادي، السكان بدؤوا في الخروج لمزاولة أعمالهم، مَن كان يبيع شيئًا ما بدأ في وضع بضاعته ومن ينوي شراء شيء أخرج نقوده، بعض

المحال فارغة لا بد وأن مالكيها ما زالوا مختفيين، مرت دقائق تراقب الجميع ثم تذكرت جنودها فأسرعت تبدل ملابسها.

خرجت من غرفتها ثم نادت الخادمة لكن لم يجبها أحد فقررت البحث عن غرفة الطعام لكنها لم توفق، القصر شاسع، فتحت غرفة تلو الأخرى لكن دون فائدة حتى وجدت ممرًا طويلًا مظلمًا، نادت الخادمة ثانية لكن دون مجيب، خافت قطع الممر بمفردها فقررت العودة لغرفتها والبقاء بها حتى تظهر الخادمة لكن شيئًا ما تحرك في الظلام، صرخت منادية الحراس لكن لم يجبها أحد، الظل الأسود يقترب متشكلًا بهيئة شبه إنسانية لكن أطرافه طويلة، تراجعت خائفة لكن الكائن توقف دون حراك كأنه يتفحصها ثم عاد ليتحرك نحوها بسرعة، عندها صرخت متراجعة لكنها اصطدمت بشخص ما، التفتت سريعًا لتجده.

أمسك راين بجسدها ليمنعها من السقوط محدقًا إلى الممر المظلم: «ما الأمر؟ لماذا تصرخين هكذا؟».

أشارت باكية: «آهٍ.. لا أعرف بدا كرجل.. ولكن أطـ...».

ترك جسدها ورفع سيفه متوجهًا للممر لكنها أسرعت تمسك ذراعه: «كلا، لا تذهب أرجوك، لا.. لا تتركني وحيدة».

أبعد يدها بغلظة غير عابئ بتوسلاتها، وقفت وحيدة ترتعد من الخوف، بضع لحظات ثم ظهر راين غاضبًا ليجذبها من ذراعها: «أخبريني الآن ماذا رأيتِ بالضبط؟».

- آهٍ.. لا أعرف، بدا كرجل ولكن أطرافه... طويلة.

حملق مرة أخرى في الظلام ثم نظر إليها: «لماذا أنتِ بمفردك هنا؟ أين خادمتكِ؟ أين وصيفتكِ؟ أين حراسكِ بحق الجحيم؟».

قال كلماته الأخيرة وهو يصرخ بها، تساقطت دموعها: «لا أعرف، أنا فقط، كنت أتجول».

راين صارخًا: «تتجولين! ماذا لو هاجمكِ شخص ما وقتلكِ؟ ماذا سيحدث لنا؟ سنعود لنصير وحوشًا ونخرج إلى البرية ثانية، أم أن الممالك الأخرى ستهجم علينا؟».

لا تعرف بما تجيبه، يؤلم ذراعها وهي لم تقصد كل ما يقوله، كل ما في الأمر أنها شعرت بالجوع.

صرخت امرأة ما من خلفهما: «القائد راين! لماذا تمسكها هكذا؟».

توجهت المرأة إليهما وأبعدتها عنه: «يهاجمها شيء ما وأنت تصرخ بوجهها، أليست مهمتك تأمين القصر؟».

قطب راين جبينه: «لقد وزعت رجالي توًا، لا أعرف ما تحويه غرف القصر بعد، من المبكر دخولها إليها».

المرأة: «وخطأ مَن هذا؟ مَن غادرنا مبكرًا أمس ولم يتولَ مهامه مباشرة؟».

طأطأ راين رأسه ولم يعلق.

نظرت المرأة إلى رونيم: «أدعى شبان وصيفتكِ الأولى سيدتي وخادمتكِ المطيعة».

انحنت المرأة بعد قول تلك الكلمات ثم نظرت إليها مبتسمة، ردت لها رونيم الابتسامة.

شبان: «حسنًا، إلى أين يا مولاتي؟».

نظرت لراين: «إلى غرفتي، فقدت شهيتي».

تراجع مبتعدًا ثم التفت صارخًا: «أخبري الملكة ألا تخرج من غرفتها حتى يتولى رجالي تنظيف القصر».

تصاعد الدم لرأسها وتساءلت عن سبب معاملته بازدراء وهي ملكته.

أمسكت شبان بالملكة: «بالطبع ليس له الحق في معاملتكِ هكذا، لكن القائد رجل مخلص، سيعود ويعتذر، أما الآن علينا الصعود لغرفتكِ مولاتي».

ابتسمت رونيم بركن فمها ثم تحركت معها ولكنها ألقت نظرة غاضبة أخيرة عليه.

***

ظلت طوال اليوم في غرفتها، كل بضع ساعات يأتي أحد الحراس ليطلعها على المستجدات بخصوص تنظيف غرف القصر والتأكد من عدم وجود أي آثار للعنة أو وحوش لم تتغير بعد، أحضرت لها الخادمة صحيفة عليها طعام، جاءت بعض النساء للترحيب بالملكة الجديدة وتمني السعادة لها، الجميع سعداء بانتهاء الأزمة والعودة كبشر ثانية، لكنها تعجبت من السرعة التي عادوا بها لممارسة حياتهم وكأن شيئًا لم يكن، بالأمس في نفس الوقت كانوا وحوشًا يجوبون البرية أما الآن بشر يمارسون روتينهم اليومي، بدت أفعالهم غريبة لكنها لم تعلق، فهي لم تُحبَس لمائة عام في لعنة ما، ربما يودون بأفعالهم تلك العودة لآدميتهم بأسرع وقت.

مرت الساعات وشعور الملل يتزايد داخلها، لم تعتد الجلوس هكذا دون فعل شيء، طُرِق الباب ليظهر أحد الحراس يبلغها برغبة السيد تكارون في رؤيتها.

بدت الجدية على وجهها: «أدخله، بسرعة».

أحاطت بها الخادمة من جهة والوصيفة من جهة أخرى.

السيد تكارون: «مولاتي».

قالها وهو يحني رأسه في تهذيب، اقتربت منه متسائلة عن نحافته المميتة، يرتدي عباءة جديدة لكنه ما زال نحيلًا، بالطبع لن يكتسب وزنًا في هذا الوقت القصير لكنها متأكدة بأن اللعنة لم تُرفَع عنه.

رونيم: «كيف حالك سيدي؟».

السيد تكارون: «بخير، بخير مولاتي».

نظر إلى وصيفتها وقال: «هل يمكننا التحدث على انفراد مولاتي؟ الأمر مهم».

أشارت لهن ليغادرن الغرفة ثم دعته للجلوس: «كيف يمكنني خدمتك سيدي؟».

تفحصها بعينيه الذابلتين مبتسمًا: «مولاتي، كيف حالكِ؟».

ابتسمت: «حالي، بخير. سؤال غريب بعض الشيء ألا تظن ذلك؟».

السيد تكارون: «عفوًا مولاتي، لكن علينا مناقشة موضوع مهم».

رونيم مسرعة: «كلي آذان مصغية يا سيدي».

تفحصها من تحت عويناته: «مولاتي، إنها اللعنة لم تُبطل بشكل كامل».

قطبت جبينها: «ماذا تقصد؟».

السيد تكارون: «اللعنة، لم تُرفع عنا، ليس بشكل كامل».

وقفت: «ما الخطأ الذي ارتكبته؟ أ.. أقصد ما الخطأ الذي حدث؟».

السيد تكارون: «لا أعرف مولاتي، أبحث في الأمر، لكن كما تلاحظين الشمس لم تشرق وهناك أشياء أخرى حدثت».

رونيم مسرعة: «مثل ماذا؟».

السيد تكارون: «مثل الشيء الذي هاجمكِ اليوم، مولاتي».

جلست رونيم: «هه.. الأخبار تتناقل بسرعة في هذا المكان».

- وظيفتي هي المراقبة، لذلك أنا دائمًا أعرف.
- حسنًا، لا أعرف ما هاجمني، لم أره جيدًا...
- حسنًا، ربما من الأفضل المكوث هنا حتى ينتهي القائد راين من تطهير القصر.
- نعم الجميع يخبرني بذلك، لكن ماذا حدث؟ لِمَ اللعنة لم تُرفع بشكل كامل؟
- لست متأكدًا لكن ربما في النهاية...

توقف محدقًا إليها.

رونيم: «ربما ماذا؟».

- ربما سيدتي ليستِ الملكة المختارة.

وقفت رونيم: «ماذا؟ بعد كل ما حدث. لقد انبثقت المنازل من أجلي، الوحوش تحولت لرجال.. الـ.. الـ...».

رفع السيد تكارون يده مهدئًا من روعها: «سيدتي، لا أعرف حقًا لكني متأكد من أن دماءك الطاهرة رفعت اللعنة، لكن...».

رونيم غاضبة: «لكن ماذا؟».

تخلى الرجل عن فكرة تهدئتها: «أنت عذراء هذا أمر لا شك فيه، دمؤك ملكية هذا أمر لا جدال فيه، لكن ربما.. لستِ جديرة بالحكم».

«لستُ جديرة بالحكم»، خرج صوتها مرتعشًا وترقرقت الدموع بعينيها.

السيد تكارون: «ما نريده ملكة، وأنت.. مجرد أميرة».

ابتسمت رونيم في هدوء: «أول مرة يخاطبني أحدهم دون تجميل كلمانه».

السيد تكارون: «لم أقصد سيدتي».

رونيم: «اختفت مولاتي لتظهر سيدتي، هه».

ابتسم السيد تكارون: «سيدتي حادة الملاحظة».

رونيم: «حسنًا، هل هناك حل لتلك المشكلة؟ ماذا أفعل؟ أعود لوطني؟ أطلب منهم إرسال شخص مختلف؟ أم ماذا تقترح؟».

السيد تكارون: «لا أعرف سبب عدم رفع اللعنة بشكل كلي؟ من المبكر اتخاذ أي قرار».

اتجهت للباب: «حسنًا، أبقني مطلعة على ما جَد».

توجه للباب: «سيدتي، لم أتعمد الوقاحة، لكن مررنا بالأسوأ ونحن نحتاج العيش في سلام».

هزت رأسها ثم فتحت له الباب، خرج السيد تكارون وهي من خلفه، عرفت أن تصرفها خاطئ؛ عليها تقدم الطريق، أشياء صغيرة كتلك تصنع الملكة، أمها أخبرتها بذلك، أو بالأحرى أخبرت أختها وهي جلست بعيدًا تستمع لهما، لكن في النهاية التصرفات الملكية لا تجدي إن لم تكن جديرة بالحكم.

صافحت يده ثم ابتعد، اقتربت الوصيفة لكن نظرة واحدة من الملكة جعلتها تتراجع، دخلت لغرفتها مغلقة الأبواب، أرادت الذهاب لفراشها والبكاء لكن لا تعرف على ماذا، الرجل لم يخطئ في حقها، صريح ليس إلا، ربما مهمتها انتهت وستغادر لتعود إلى منزلها وأبيها و... ومراقبة أختها تتمتع بالحياة كملكة.

تساقطت دموعها وهي تنظر للشرفة وتذكرت أن الليل دائم الآن، كانت تتذمر منذ قليل من هذا الأمر، الآن.. الآن هي تشتهي أن تُلقَّب بالملكة.

الفصل الثاني

(حفرة خلف المنزل)

اقترب أحد الحراس من القائد يخبره شيئًا ما، التفت راين خلفه ثم توجه إلى الرجل الهزيل الواقف بعيدًا.

راين: «ما الأمر؟ لماذا أنت هنا؟».

السيد تكارون: «هل سيضرك لو ناديتني بأبي؟».

راين بحزم: «نعم سيضرني، لماذا أنت هنا؟».

ابتسم فهو يعرف طريقته الجدية دائمًا خاصة فيما يتعلق بالعمل.

السيد تكارون: «كنتُ أناقش شيئًا ما مع جلالة الملكة».

راين: «نعم، الملكة، كيف حالها؟».

قالها بسخرية، مما جعل أباه ينظر له غاضبًا.

السيد تكارون: «الملكة التي لا تعجبك رفعت عنك لعنة استمرت مائة عام، ربما تظهِر لها بعض الاحترام وأنت تخاطبها».

قطب راين جبينه وقال وهو يفك زر ياقته: «هل اشتكت لك بتلك السرعة؟».

السيد تكارون: «ليست هي ولكن الجميع تحدث».

راين: «الجميع إذن فلـــ...».

أمسك السيد تكارون ذراعه بقوة تعجب لها: «توقف عما تفعله، توقف، هل نسيت كيف كان هؤلاء الملاعين؟ كيف يضخمون كل كلمة وينسجون الشائعات؟ هل نسيت؟».

قال كلماته الأخيرة صارخًا مما جعل راين يخشى على صحته لذلك رفع يده: «لم أتعمد القسوة معها، كل ما في الأمر أني خشيت على حياتها. إنها مهملة؛ تتجول في القصر بمفردها، قصر خرج من وسط المجهول توًا».

هدأ السيد تكارون قليلًا تاركًا ذراعه: «حسنًا، ربما من الأفضل أن تتهذب معها، نحن لا نريد المزيد من الحوادث المؤسفة».

هز رأسه في أدب: «حسنًا يا سيدي».

هَمَّ السيد تكارون بالمغادرة ولكنه التفت: «تذكر يا ولدي: الجميع يراقبك، لا تفعل شيئًا أحمق تندم عليه لاحقًا».

راين: «مثل ماذا؟»، قالها بشرود ثم نظر إلى أبيه وكررها ثانية: «مثل ماذا؟».

السيد تكارون: «مثل الوقوع في الغرام، و... لعننا مرة أخرى».

انتفض راين: «أبي، كلا هذا لن يحدث أبدًا، أنا لست أحمق مثله، أنا... أنا أعرف مكانتي جيدًا».

- حقًا؟! القلب لا يعرف المكانة يا ولدي، ولطالما رغب الرجال بالأشياء المحرمة عليهم.
- أبي أرجوك، أنا لست أحمق، هذا لن يحدث أبدًا.
- أتمنى هذا حقًا، لأن هذه المرة لن يسمح أهل الوادي.
- أبي توقف، أنا لن أقع في غرامها أبدًا، إنها قبيحة.

هز السيد تكارون رأسه مبتسمًا: «احذر إذن، من الطبيعي أن يحب الرجل المرأة الجميلة لحسنها، ولكن أن يقع في حب امرأة لا تملك الجمال.. فإنه الـ...».

- كلا، اطمئن أنا لن أغامر أبدًا بشيء كهذا، أنا لست مثله.

- تخجل من تصرفاته الآن؟! ألم تترك تعلم السحر لتلحق به في الحياة العسكرية؟
- وانظر ماذا فعل السحر بنا.
- ربما لو تعلمته لوجدتُ من يساعدني الآن.
- وماذا كان سيحدث للوادي لو لم أكن قائدهم.
- كان «رومين» مغرورًا مثلك حتى وقع في حبها.
- اطمئن، لن أفعلها أبدًا.

فَرَّ من أبيه، لم يشأ التحدث أكثر عن الموضوع، الكثير من العمل ينتظره، الكثير من الغرف لتطهيرها وإيجاد ذلك الشيء الذي هجم عليها، أبوه يذكره دائمًا برومين كيف يشبهه ويتصرف مثله، نعم كان صديقه المفضل لكنه يختلف كثيرًا عنه.

***

ملَّت من الجلوس بمفردها فقررت السير في الوادي لاستكشافه مصطحبة وصيفتها وخلفهما الحراس، راقبت سكان الوادي وهم يمارسون حياتهم اليومية، تعجبت مرة أخرى من السرعة التي عادوا بها لعملهم، لو حدث هذا الأمر لها لظلت في غرفتها لأسبوع على الأقل.

اقتربت من أحد دكاكين الكتب، تناولت كتابًا لتقرأ عنوانه ولكنها لم تفهم شيئًا لذلك وضعته وهمَّت بالابتعاد لكن البائع أشار لها لتنتظر، رجل عجوز لكنه خفيف الحركة، أسرع للداخل ثم خرج ممسكًا بكتاب سميك يبدو عليه القدم: «هدية للملكة الجديدة».

همت بإمساك الكتاب لكن الجندي المرافق لهما أخذه ليتفحصه ثم ناوله للوصيفة.

شبان: «سيدتي، إنه كتاب قديم بلغة مملكة الميور-آرك».

أمسكت رونيم الكتاب ثم نظرت إلى البائع: «عمَّ يتحدث هذا الكتاب؟».

البائع العجوز: «كل شيء، كل شيء مولاتي».

قلبت الكتاب: «حسنًا، شكرًا لكني لا أحتاجه؛ أنا لا أعرف تلك اللغة».

أسرع البائع يقطع عليها الطريق مما جعل أحد الحراس يُسرع إليه لكنها أوقفته.

البائع: «سيدتي لن تندمي، الكتاب يشرح كل شيء عن الوادي قبل اللعنة».

ترددت قليلًا ثم أشارت لوصيفتها فوضعت أمامه قطعة فضة: «ثمن كتابك».

أكملت رونيم جولتها وهي تتفحص ما يتم بيعه بعناية متحدثة مع البائعين.

رونيم: «من أين يأتي الطعام؟ لم أرَ أرضًا زراعية أو ماشية».

شبان: «نحن لا نزرع، الوادي اعتمد على التجارة في المقام الأول؛ الميناء وفَّر لنا كل شيء، لكن الآن...».

رونيم: «الآن الميناء مغلق».

شبان بحزن: «مياه البحر انحسرت، كل شيء ابتعد عنا، إنها لا تمطر والشمس لا تشرق، يبدو أن «اللعنة» ستبقى معنا للأبد».

قالت شبان تلك الكلمات ونظرت للسماء، أمسكت رونيم بيدها: «كلا ليست اللعنة، أنا أبطلتها، إنه شيء آخر أنا متأكدة من ذلك».

ابتسمت شبان للملكة: «أتمنى هذا حقًا يا مولاتي».

رونيم: «هل يمكنني سؤالكِ عن اللعنة: كيف حدثت؟ أعني كيف شعرتِ؟».

لمعت عين شبان وبدا وكأنها ستبكي: «حسنًا، تعرفين أن الأمر لم يحدث فجأة، ليس للجميع على الأقل».

- كيف؟
- البعض تغير على الفور، والبعض عادوا إلى منازلهم وقاموا بـــ... حسنًا قاموا بارتكاب جرائم شنيعة ضد عائلاتهم.
- جرائم؟؟
- حسنًا: القتل، الاغتصاب. كنا نسمع الصراخ ومنعنا أبي من الخروج و...
- منعكم، أنتِ ومَن؟
- كنا أربع فتيات، لم يبقَ غيري أنا وأمي وأبي لذلـــ...

احتضنتها وهي تلوم نفسها لتذكيرها بتلك الذكريات.

مسحت شبان دموعها: «حسنًا الأمور بخير الآن، أليس كذلك؟».

رونيم: «بلى بالطبع».

ابتسمت ممسكة بيد وصيفتها ثم أكملت: «حسنًا سأشتري لكِ هدية، ربما قلادة أو قرطين».

قالتها واتجهت إلى أحد الدكاكين التي تبيع بعض الحُلي لتنتقي منها شيئًا ما.

«الأطفال اختفوا أولًا». تساقطت الدموع: «استيقظ الجميع على صراخ النساء، خرجنا نبحث عن الأطفال لكننا لم نجدهم، بدأ بعض الرجال في التحول إلى وحوش وقاموا بقتل نسائهم، ثم بعدها... لا أعرف، أصبحنا نعيش في غابة، أصواتهم بشعة... والنساء -خاصة اللاتي كُنَّ مقربات من القصر- وقتها تحولن لكائنات شاحبة ببشرة زرقاء مقززة ثم بدأن في قتل أطفالهن وخرجن يصرخن في الشوارع ممسكات بجثثهم».

ربتت رونيم على كتفها: «توقفي عن تذكر تلك الذكريات، وأعتذر عن سؤالي، أردت معرفة مـــ...».

- أنا أيضًا أريد الفهم، لم يكن لي دخل فيما حدث أو أي من أفراد عائلتي، لكن رغم ذلك تحولنا، والبعض لم يتحمل ومات فورًا، السيد تكارون أكد أن اللعنة ستضرب من له يد فيما حدث ليس الجمـــ...

- انتظري، السيد تكارون قال ماذا؟!

أفاقت شبان من شرودها ونظرت إلى الملكة: «ماذا؟ لا شيء، أنا فقط... اعذريني مولاتي أنا متعبة وأريد العودة إلى المنزل لأستريح».

أرادت رونيم سؤالها عما تقصد لكن حالتها سيئة ولم ترد أن تقسو عليها لذلك سمحت لها بالذهاب وطلبت من الحارس مرافقتها.

اقترب منها أحد جنود مملكتها: «مولاتي هل تسمحين لي بالتحدث بحرية؟».

- بالطبع.

- مولاتي، لا أظنها فكرة جيدة: الوثوق في تلك الفتاة.

نظرت له رونيم: «لماذا؟».

- حسنًا، بسبب اللعنة، ألا ترين؟! هذا المكان مكتوب عليه تكرار نفس المأساة.

- نعم، أرى ذلك، ولكن ما دخل وصيفتي بالأمر؟

- الوصيفة هي... أنت تعرفين مولاتي، في القصة الأولى كانت هي السبب.

- كلا، كانت الخادمة.

- عذرًا مولاتي، ولكن في اللغة القديمة خادمة ووصيفة لهما نفس المعنى.

حملقت به صامتة وفكرت فيما قالته شبان توًا، إذن لم يتحولوا جميعًا مرة واحدة، بدأ الأمر بالنساء، حدث شيء لهن فقتلن أطفالهن ثم خرجن يصرخن في الشوارع، بعدها بعض الرجال تغيروا وقاموا بارتكاب أمور بشعة لا يقوى لسان أحد على قولها، ثم ماذا حدث ليتحول الجميع إلى وحوش؟ وجد السكان الوقت لاستشارة السيد تكارون الذي أخطأ، الجميع مُسخوا إلى وحوش حتى من لم يكن له علاقة بالقصر أو باللعنة.

تفحصت المكان حولها، الدكاكين تغلق أبوابها، بدت أمامها منطقة شاسعة تخلو من كل شيء إلا بحيرة صغيرة، تعجبت منها؛ كانت الشيء الوحيد الموجود قبل إبطال اللعنة وما زالت قائمة، نظرت حولها فوجدت منزل القائد راين في نهاية الوادي بين جبلين.

اقتربت من الجندي: «ماذا يوجد خلف هذا المنزل؟».

أشارت إلى منزل راين.

الجندي: «لا أعرف مولاتي، لكني سأكتشف إن أعطيتني الأمر».

رونيم: «كلا ليس الآن، لنعد إلى القصر ونبعث بعض الجنود لرؤية ما خلف المنزل، واجعلها مهمة سرية».

هز الجندي رأسه وعادا معًا إلى القصر، اتجهت لغرفتها لكن في منتصف الطريق وجدت القائد راين أمامها، هَمَّ بقول شيء ما لكنها أسرعت في الابتعاد وكأنه غير موجود، استشاط غضبًا من فعلتها خاصة وأنها وقعت أمام رجاله وخادمتها، سارعت إلى غرفتها وأمرت الخادمة بإغلاق الباب.

الخادمة المرتعشة: «سيدتي، ربما علينا الذهاب إلى القائد و...».

رونيم غاضبة: «مولاتي وليست سيدتي، وأنا لا أذهب إلى أحد، هو مَن عليه انتظار دوره ليقابلني لا أن يقف في منتصف الممرات منتظرًا ظهوري».

أسرعت الخادمة تجثو على ركبتها وتعتذر.

شعرت بالذنب تجاه الخادمة: «تعالي هنا اجلسي بجانبي...».

جلست الخادمة وهي تنظر إلى الباب بتوتر.

رونيم: «ما اسمك؟».

وقفت الخادمة مسرعة: «الجميع يدعونني مول».

ابتسمت رونيم: «الجميع يدعونكِ بـ «مول» ولكن ما اسمك الحقيقي؟».

نظرت الخادمة للباب وقالت بشرود: «أُدعى موزرانيان».

رونيم: «موزرا، يا له من اسم طويل، إذن «مول» دعينا نتحدث قليلًا».

جلست مرة أخرى بجانبها ولكنها تركت مسافة كبيرة بينهما، ففهمت أنها ربما خائفة منها.

- ما الأمر؟ لِمَ أنتِ خائفة من القائد راين؟

- كلا، لست خائفة منه، كل ما في الأمر، أنه سريع الغضب.

- ليذهب للجحيم هو وغضبه، لا تخشيه أنتِ في حماية الملكة.

نظرت مول لها: «كلا، القائد راين شخص جيد، إنه فقط سريع الغضب، وعندما يغضب فإنه...».

رونيم مسرعة: «فإنه ماذا؟ ماذا فعل أمامكِ وجعلكِ تخشين غضبه؟».

ترددت الخادمة قليلًا: «حسنًا، زوجي عمل في مطبخ القصر قبل اللعنة مولاتي».

رونيم: «آه.. حقًا!».

هزت الخادمة رأسها وأكملت: «كان من أوائل الرجال الذين تحولوا، في البداية ظل يصفعني بقوة حتى فقدت وعيي ثم استيقظت لأجد طفلي اختفى».

- أخذه زوجكِ إلى أين؟

- لا أعرف، لقد أغشي عليَّ ولم أشعر بشيء، استيقظت على صوت زوجي يدخل المنزل مغطى بالدماء و...

بدأت في البكاء ثانية، اقتربت رونيم: «وماذا حدث بعد ذلك؟».

- ظللت أبحث عنه لكني لم أجده، عدت للمنزل وواجهت زوجي، عندها فتحت أبواب الجحيم، ظل يضربني ومزق ملابسي و...

فهمت رونيم ما حدث لم تحتج لشرح المزيد.

رونيم: «وما دخل القائد راين بذلك؟».

- حسنًا، القائد أنقذني، استمر الأمر يومين، يضربني و.. القائد اقتحم المنزل ليكيل له الضربات حتى قتله ثم حملني لمعالجة الوادي، أظنه أنقذ حياتي.

فهمت رونيم الأمر، تلك الخادمة رأت الوجه الآخر للقائد، تخشاه لكنها تحترمه؛ في النهاية أنقذ حياتها.

ابتسمت رونيم: «مع من تعيشين الآن؟».

مسحت الخادمة دموعها: «مع أخي الأصغر، يدعى زوبال لا بد وأنكِ تعرفينه، إنه مساعد القائد».

هزت رونيم رأسها بالنفي: «لا يعقل أن أعرف كل سكان الوادي في يوم واحد».

قالتها وهي تنظر للخادمة التي فهمت أنها مزحة وضحكت قليلًا.

رونيم: «حسنًا، أنت الآن في أمان».

هزت مول رأسها ثم استأذنت للمغادرة.

اتجهت للشرفة تتأمل الوادي فسمعت أصواتًا أسفل الشرفة، وجدت راين يتحدث مع بعض الرجال مشيرًا لأعلى، تلاقت أعينهما فدخلت مسرعة، لا تعرف لماذا فعلت ذلك لكنها لم ترد رؤيته أو بالأحرى أن يراها وهي تراقبه.

***

استسلمت للنوم وهناك كان كل شيء موجودًا: غرفتها القديمة، المكان السري في الحديقة الخلفية، كتابها المفضل، وهو يقف بعيدًا لم تتبين ملامحه لكنها عرفت هذا الرجل هو حبيبها، لم تتعرف عليه بعد، للوهلة الأولى ظنته «روبيم» لكنها تذكرت أختها فتخلصت من تلك الفكرة، التفت أخيرًا

فرأت وجهه، كلا ليس هو، لا تعرف لِمَ تملكها الغضب فجأة ثم صرخت عليه، لم تكن تريده، كلا إنها تريد زوجًا غيره.

فتحت عينيها بصعوبة لتجد الشرفة، تمنت لو رأت ضوء الشمس لكن الليل الطويل يقبع بالخارج، اعتدلت مفكرة في الحلم الذي رأته توًا، تكاد تقسم أنها ظلت طوال الليل تحلم أم طوال النهار، لم تعد تستطيع التحديد، ارتدت ملابسها ثم غادرت الغرفة، القصر هادئ هذا الصباح أم أنه ما زال المساء، تذكرت الشيء الذي هاجمها في الممر المظلم فارتعشت قليلًا ثم استمرت في السير لتجد مجموعة من الجنود المرافقين لها من المملكة يتهامسون.

الجندي: «مولاتي، هل الأمور بخير؟».

- نعم.. نعم، أين الجميع؟

- ما زالوا نائمين مولاتي؛ إنه منتصف الليل.

- هاه، حقًا؟! لكن لماذا أنتم مستيقظون؟

الجندي هامسًا: «سيدتي، المهمة».

- آآآآه، حسنًا تذكرت، بالتوفيق إذن.

ابتسم الجندي وهمت بالمغادرة ولكنها توقفت: «أريد مرافقتكم».

تبادل الجندي النظرات مع زملائه: «سيدتي، لا أظنها فكرة جيدة».

رونيم مسرعة: «لم أطلب إذنك».

اعتدل الجندي سريعًا: «عفوًا مولاتي، نحن تحت تصرفكِ».

رونيم: «حسنًا هيا بنا».

التفوا خلف المنازل الصغيرة لأهل الوادي ليمروا بحشائش البسكان، وضعت يدها على أنفها من الرائحة الكريهة، شعرت بالضيق لمجرد النظر إليها فأسرعت خلف الجنود، بضع دقائق ثم وصلوا إلى الجبل الأول، صعدوا جميعًا ثم توقفوا، لم يستطيعوا رؤية شيء، مجرد بقعة سوداء. نظرت للجندي، فقال: «لا تقلقي مولاتي لقد جئنا مستعدين».

telegram @
yasmeenbook

ناوله زميله قطعة قماش تفوح منها رائحة نفاذة، أشعلها الجندي ثم أطلقها في السماء، لحظات ثم أنيرت السماء خلف منزل القائد راين واستطاعت الرؤية، لكن ما رأته جعلها مضطربة أكثر.

تذكرت ما قالته الخادمة عن موقع الميناء في نهاية الوادي بالتحديد خلف منزل راين، لكنها الآن تنظر إلى حفرة كبيرة سوداء، لا بد وأن مياه البحر انحسرت وخلفت تلك الحفرة العميقة، خافت من النظر إليها كي لا تبتلع روحها.

شعرت بالإعياء فتراجعت قليلًا: «حسنًا، هيا بنا نعد لقد رأيت ما يكفي».

قال أحد الجنود محدثًا زميله: «أين قاع تلك الحفرة؟».

أمسك قطعة قماش مشتعلة ولكن تلك المرة أطلقها للأسفل، شعرت رونيم بالفضول وألقت نظرة، نظرة جعلتها ترتعد خوفًا؛ الحفرة بلا نهاية، مجرد فوهة من السواد تمتد لأميال وأميال، شهق أحد الجنود وقال شيئًا ما لم تتبينه فألقى جندي قطعة قماش مشتعلة ثم ركز الجميع أنظارهم، اللعنة هناك كائنات تتحرك خلال الحفرة من جهة لأخرى، كائنات ضخمة سوداء اللون، صرخ أحد الجنود يأمرهم بالانسحاب إلى القصر.

الجندي: «سيدتي، ماذا سنفعل؟».

نظرت لهم رونيم وصدرها يعلو ويهبط، لم تعرف بما تجيبه، إنها القائدة الآن وعليها أن تقرر.

رونيم: «لا شيء، لن نفعل أو نقول أي شيء حتى نعرف ماهية تلك الكائنات».

أحد الجنود: «هل يعرف أهل الوادي بتلك الكائنات؟».

ردَّ أحدهم: «ربما تلك الكائنات وحوش مثل أهل الوادي وتنتظركِ سيدتي لتعود لهيئتها البشرية».

همَّت رونيم بالإجابة ولكن أَسرع جندي آخر: «هل القائد راين يعرف بوجودها؟ أعني منزله قريب للغاية، وإن عَلِم فلِمَ لا يحذرنا؟ وإن لم يعلم فربما علينا تحذيره».

حاولت رونيم التحدث ولكن كل جندي له رأي خاص به يريد مناقشته، إن لم يستيقظ سكان الوادي الآن على أصواتهم فهم بالتأكيد موتى.

صرخ قائدهم بهم عندما لاحظ محاولاتها الغير موفقة في التحدث، صمت الجنود أخيرًا وهم ينظرون إليها في خجل.

رونيم وهي تضغط على أسنانها: «كما قلتُ، لن نقول أو نفعل أي شيء، نحن في بلد غريب، الإله وحده يعلم كم تلك الأرض غريبة، لذلك سنلزم الصمت، اذهبوا الآن لتحظوا بقسط من النوم».

أغلقت غرفتها ثم وقفت في الشرفة، حالتها النفسية لا تسمح لها بالنوم؛ تلك الكائنات التي تسبح في فضاء الحفرة جعلتها ترتجف، ماذا إذا قررت الهجوم عليهم؟ هل يعرف بها أهل الوادي؟ ماذا لو كانوا ينتظرون لحظة الانقضاض عليها وعلى جنودها؟ وهل يعرف القائد راين بتلك الكائنات؟ مرت تلك الفكرة برأسها ثم بطريقة آلية ألقت نظرة على منزله عندها تسارعت ضربات قلبها، استطاعت رؤيته بوضوح واقفًا في شرفة منزله محدقًا بها، وما إن تأكد أنها رأته حتى دخل إلى منزله مغلقًا مصباحه.

عادت لغرفتها متسائلة عما رآه، هل شاهد كل شيء أم تصادف وقوفه عندما خرجت؟ كلا هي لا تؤمن بالصدف، اللعنة ماذا سيظن بها الآن وماذا سيفعل بها غدًا؟

***

شعرت رونيم بيد تهزها، مرت لحظة حتى استيقظت فزعة مما جعل الخادمة مضطربة.

- مولاتي الأمور بخير، انتصف اليوم ولم تستيقظي بمفردكِ سيدتي.

حاولت رونيم تهدئة نفسها أمام الخادمة، لا تعرف لماذا هي خائفة هكذا.

رونيم: «حسنًا لقد استيقظت يا مول، جهزي لي ماءً ساخنًا لأستحم».

الخادمة مبتسمة: «تتذكرين اسمي يا مولاتي؟».

- بالطبع، أنا ذاكرتي جيدة تجاه الأسماء، لكن مستقبلًا لا تتركيني أستغرق في النوم.

- حسنًا، فكرنا أنكِ ما دمتِ نائمة لا بد وأنكِ تحتاجين الراحة.

- كلا أنا فقط كسولة.

اقتربت مول منها وقالت بصوت هامس: «في الحقيقة سيدتي لقد أيقظتكِ عندما طلب القائد راين مقابلتكِ، فكرت أنها فكرة سيئة جعله ينتظر».

مرة أخرى يجتاحها خوف غير مبرر، القائد راين يريد مقابلتها، لماذا؟ بالتأكيد بسبب ما فعلته بالأمس، لقد رآها، لقد رأى كل شيء وسيعنفها بالتأكيد، لكن لماذا هي خائفة منه؟ إنها الملكة وهو مجرد قائد جيشها، لماذا الخادمة تشعرها وكأن عليها تلبية دعوته مسرعة، مَن هو صاحب الدماء الملكية هنا؟ ومَن مجرد رجل من العامة حتى وإن كان قائدًا؟

رونيم غاضبة: «لينتظر إذن».

شعرت الخادمة بغضب سيدتها فانصرفت، تراجعت رونيم وقررت مقابلته لتبديد قلقها أفضل من حالة الترقب، لذلك أسرعت تستدعي الخادمة.

***

نظرت لانعكاسها في المرآة، لبست فستانًا أصفر بلون طائر الكناري، أحد أفضل فساتينها. التفت حول نفسها ثم قررت أنها جاهزة.

القائد ينتظرها منذ وقت طويل، لا بد وأنه يحترق من الغضب، جيد، توقفت للحظة لتفكر لِمَ تريد جعله غاضبًا؟ الأمر غريب بعض الشيء.

فتح لها الحارس باب الغرفة التي يجلس بها القائد فدخلت ومن خلفها شبان ومول.

ألقت نظرة واحدة عليه فعرفت أنه يشتعل غضبًا، أسرعت إلى أحد المقاعد وجلست ثم وضعت ساقًا على أخرى: «ماذا تريد؟».

نظر لها القائد ولم ينطق بل ظل يراقبها في صمت مستندًا على إفريز النافذة، حدَّق إلى ساقيها فشعرت بالخجل فاعتدلت مكررة: «كيف أخدمك اليوم؟ سيدي».

ارتسمت ابتسامة على فمه: «أريد التحدث معكِ على انفراد».

قالها ثم أشار للوصيفة والخادمة، أسرعت الخادمة في التحرك لكن شبان وقفت تنظر لرونيم.

ألقت نظرة غاضبة على خادمتها: «حسنًا، انتظراني بالخارج».

خرجتا فالتفتت إليه لتجده ما زال يحدق إليها غاضبًا.

رونيم: «حسنًا ما الأمر؟».

خرج صوتها مرتعشًا، فهي تخشى الأسوأ.

راين: «هل تعرفين منذ متى وأنا أنتظركِ؟».

رونيم: «هل تعرف أني لا أهتم؟».

هجم عليها راين ففزعت وأسرعت إلى الباب ظنًا منها أنه سيضربها، لكنه أمسك ذراعها ثم قذفها إلى الحائط المقابل.

راين: «عليكِ الاهتمام لأن كل شيء تفعلينه يؤثر عليَّ وعلى سكان الوادي الذين لا يستحقون كل تلك اللعنات».

ارتعش جسدها بين يديه فدفعته: «هل جننت؟! أنا الملكة، لا تتحدث معي هكذا، من تظن نفسك؟ كلمة واحدة مني ويُقطَع رأسك أيها الوغد».

نظر لها مبتسمًا: «أخبريني، مولاتي».

قالها وهو ينحني لها ساخرًا: «أخبريني مولاتي، كيف تنوين الخروج من الغرفة لتستدعي الحراس لـ... لقطع رأسي؟».

حاولت الإفلات منه لكنه أمسك بها ثانية: «ماذا كنت تفعلين ليلة أمس مع جنودكِ خلف منزلي؟».

لم تعرف بما تجيب؛ لقد رآها، الأمر منتهٍ إذن، لتخبره الصدق وتنجو من هذا المأزق.

رونيم: «أردت رؤية الميناء، أخبرتني الخادمة عنه وأردت استكشافه كي... آه، أبعث لأبي ليساعدني على إحيائه تجاريًا».

قالت تلك الكلمات ثم بدأت في البكاء.

تراخت قبضته على ذراعها ثم ابتعد: «كان عليكِ إخباري بخطتكِ، لأساعدكِ».

نظرت له ثم بكت أكثر، شعر بالندم لما فعله وهَمَّ بقول شيء ما لكنها ابتعدت خائفة.

رفع يديه ليطمئنها: «آسف، أنا فقط أخاف عليكِ، أنا مسئول عن سلامتكِ وأنتِ متهورة وكأنكِ لا تأبهين لحياتكِ، ألا تعرفين ماذا سيحدث لنا إن وقع مكروه لكِ؟ ماذا سيحدث لي؟».

ربت على شعرها في حنان فتسارعت ضربات قلبها، بدا عليه الخوف والاهتمام بها لكنه اعتدل: «عليكِ الانتباه جيدًا لحياتكِ؛ أنت عرضة للخطر، سأضع حارسًا خارج غرفتكِ، أنتِ لا يجـ...».

لم يكمل جملته بل ظل صدره يعلو ويهبط من فرط التنفس، ثم دون سابق إنذار توجَّه إلى خارج الغرفة، أسرعت شبان ومول إلى الداخل فمسحت رونيم دموعها سريعًا ثم غادرت.

***

حبست نفسها طوال اليوم، لم تعرف ماذا تفعل أو تقول، لم تتناول الطعام ورفضت مقابلة أحد، ذراعها تؤلمها من أثر يديه لكنها لم تستطع إخبار أحد، شعرت بالغضب مما فعله ورغم ذلك لم تستدعِ الحراس لمعاقبته.

ليس له الحق في التحدث ولمسها بتلك الطريقة، تذكرت تربيته على شعرها فارتبكت أكثر، هل كان يتحرش بها، أم أنه خائف عليها حقًّا؟

شعور يخنقها ولا تعرف ما الخطوة التالية، هل تبعث لأبيها تخبره؟ كلا سيحول الوادي لرماد لو عرف أنه لمسها ربما تخبر الجنـ...

ظهرت خادمتها على الباب ومن خلفها القائد راين مقتحمًا غرفتها.

اعتدلت سريعًا تفكر في سبب ظهوره ثانية، هل ينوي فعل شيء آخر بها؟

انحنى بتهذيب: «مولاتي، هل يمكنني التحدث معكِ ثانية؟ على انفراد».

هَمَّت بالصراخ واستدعاء الحراس لإلقائه في السجن لكنه بدا وكأنه يوشك على البكاء، لذلك أعطت إشارة لخادمتها لتتركهما.

اعتدل القائد: «لقد أخطأت بحقكِ مولاتي، هلا تغفرين لي؟».

قالها ثم جثا على ركبة واحدة، لم تعرف رونيم ماذا تقول أو تفعل، إنه متكبر ومع ذلك يعتذر.

- مولاتي، هلا أطمع في مسامحتك؟

أشاحت رونيم بوجهها وقالت هامسة: «اخرج».

قطب القائد راين جبينه مقتربًا منها، فصرخت: «فقط، اخرج».

أراد التحدث لكنه انحنى ثم خرج مسرعًا، اجتاحتها نوبة بكاء لا تعرف سببها.

خرج غاضبًا من غرفتها ليجد الخادمات ينظرن إليه ويتهامسن، فكر قليلًا في الأكاذيب التي سينسجنها الآن مما ألهب غضبه أكثر.

وصل إلى مكتبه وأغلقه خلفه بقوة، الآن رجاله سيتجنبونه طوال اليوم، فكر بذلك وهو يرتمي على أريكة ضخمة، ربما عليه التحلي بالذكاء في التعامل معها؛ إنها... كلا اللعنة لا تشغل بالك بها، لا تهتم بها كالأحمق الآخر الذي دمر كل شيء، كلا أنت لست مثله، فقط التزم بمهمتك.

***

أحست بالاختناق أكثر من أي يوم آخر، لا يمكنها رؤية السماء، لم تعرف أهمية الشمس حتى جاءت إلى هنا، شعرت بالحنين لوطنها وأبيها وحديقتها السرية لكنها تذكرت أختها وأمها فأمرت نفسها بالتحلي بالقوة. هذا وطنها الآن لتتقبل الفكرة وتظهر القوة كما أنها أشياء يمكن إحضارها إلى هنا؛ يمكنها أن تأمر الرجال أن يصنعوا لها حديقة مثل حديقتها، كلا؛ لا شيء ينمو في تربة الوادي، تذكرت ذلك، وبالطبع لا تستطيع إحضار أبيها أو الوزير، حسنًا على الأقل كتبها موجودة، صديق وَفِيٌّ لا يفارقها.

تذكرت ما حدث مع راين فارتعش جسدها، هل هو صادق حقًا؟ وهل يخشى إصابتها بمكروه؟ لم يتعمد إيذاءها أو مضايقتها، ربما عليها إذابة الثلج بينهما، لتتحدث معه وتعرف لماذا فعل ذلك، لقد جاء واعتذر، حسنًا ليعتذر منها ثانية.

استدعت خادمتها لتساعدها على ارتداء ملابسها، سترتدي شيئًا آخر، انتقت فستانًا أحمر اللون ثم توجهت إلى غرفة مكتبه، أمرت الحارس بفتح الباب لتجده يجلس على الأريكة مقطبًا جبينه، رآها فاعتدل سريعًا وأخذ سترته ليرتديها.

راين: «سيدتي».

وقف حائرًا ينظر لها ولخادمتها وللحارس الذي لم ينبِّهه أولًا.

- أريد التحدث مع القائد على انفراد.

خرج الجميع من الغرفة وأغلقوا الباب خلفهم.

تجولت في غرفته ثم نظرت إليه: «لقد أخطأت في حقي كثيرًا أيها القائد».

هَمَّ راين بقول شيء ولكنها أسرعت: «اعتذرت لي، لكني لم أتقبل اعتذارك وقتها».

حدق إليها راين محاولًا فهم ما تقصده.

رونيم: «اعتذر لي ثانية».

اقترب راين فظنت أنه سيعنفها لكنه انحنى: «آ... آسف مولاتي».

تنفست الصعداء ثم جلست على أقرب مقعد، لم تعد ساقاها تتحملانها الآن.

- حسنًا، قبلت اعتذارك، لكن احذر المرة القادمة سآمر الحراس بقطع يدك قبل أن تمسني، بل قطع رأسك، هل تسمعني أيها القائد؟

- نعم مولاتي.

أرادت تعنيفه أكثر، إنها فرصتها فهو مغرور متكبر ويحظى باحترام وحب ساكني الوادي على عكسها، لكنها توقفت، جربت حظها مرة ونجحت لا داعي للمجازفة فهو كالثور الهائج عندما يغضب.

رونيم: «حسنًا، لندع الماضي خلفنا، كلانا يهتم بالوادي ولذلك عليك معرفة شيء ما».

جلس على أقرب مقعد لها، غضبت قليلًا لأنها لم تسمح له بالجلوس.

رونيم: «الرحلة التي قمتُ بها مع الجنود، لـ... هل رأيت ما بداخل الحفرة؟».

راين مقطبًا جبينه: «أي حفرة!».

- الحفرة خلف منزلك.

راين متعجبًا: «ماذا؟! لا توجد حفرة خلف منزلي بل أميال وأميال من الطين اللزج، ثم المحيط الشاسع».

رونيم بحدة: «كلا، هناك حفرة هائلة خلف منزلك و... وكائنات سوداء ضخمة تسبح في الفراغ».

- سيدتي، انـــ...

وقفت غاضبة: «لماذا تنظر لي هكذا وكأني مجنونة؟، استدع أحد الجنود لتتأكد منه».

وقف راين: «سيدتي، لا أقصد التقليل منكِ، كما من غير المناسب أن أُشهِد عليكِ أحد جنودكِ، ربما من الأفضل لو ترين بنفسكِ ما يوجد خلف منزلي، هل تسمح سيدتي بدعوتها على العشاء؟».

خفق قلبها: «كلا، لا يمكنني قبول دعوتك».

ابتسم راين: «حسنًا سألغي الدعوة، ولكن لتري بنفسك ما يقبع خلف منزلي».

رونيم مترددة: «حسنًا».

- هلا تتقدمين الطريق، مولاتي؟

لم تستطع إخفاء شعورها بالغضب؛ الطريقة التي يقول بها «مولاتي» وكأنها طفلة أو امرأة مجنونة.

خرجا من القصر والجميع يحدق إلى فستانها الأحمر وشعرها الأسود الطويل الذي ينساب خلف ظهرها، تقدم راين ليسير بجانبها ثم مد ذراعه أمامها، نظرت له غاضبة ثم تأبطت ذراعه فابتسم.

غمغمت رونيم: «مجنون».

- ماذا مولاتي؟ ماذا قلتِ؟

- لا شيء، فقط لنسرع.

تقدم صاعدًا درجات منزله يفتح لها الباب، تفحصت المنزل بإمعان هذه المرة، بدا ككوخ صغير بين كفين من الحجر، غريب الشكل من الخارج بشرفته التي تطل على الوادي، صعدت درجات السلم الطويل ثم نظرت خلفها تحديدًا إلى القصر، إذن يمكنه رؤية غرفتها، مد يده وجذبها للداخل ثم أغلق الباب، المكان مظلم لكنه أسرع وأضاء عدة مصابيح، تجولت في منزله الصغير والمرتب بعناية. تركها وصعد سلمًا ضيقًا قائلًا: «هلا تتبعينني سيدتي؟».

- إلى أين؟

- إلى غرفة نومي؛ بها شرفة تكشف البحر، أو ما كان.

تجمدت رونيم ولم تتحرك، فنظر لها مستنكرًا.

- هل سيدة المنزل متواجدة؟

- أمي ميتة منذ كنت طفلًا.

رونيم غاضبة: «أعني زوجتك».

هبط راين بضع درجات ليواجهها: «أنا أعزب، هل تريدين استدعاء وصيفتك كي لا تبقي بمفردكِ معي؟».

خفق قلبها وفكرت كم هو وقح: «كلا، لا داعي؛ أنت صغير الحجم يمكنني التغلب عليك بمفردي».

ضحك راين وهي تتقدم نحوه كانت في نصف حجمه، صعد لغرفة نومه وهي من خلفه تجذب فستانها الضخم بصعوبة بسبب السلم الضيق، أضاء مصباح الغرفة، عرفت أن المنزل مكون من طابقين: غرفة بالأسفل بها المطبخ والصالة، وغرفة نوم ضخمة ودورة مياه صغيرة. تفحصت المكان باهتمام غير عابئة براين الواقف بجانبها.

راين بسخرية: «هل تبحثين عن شيء ما، مولاتي؟».

- كلا، يعجبني منزلك، إنه صغير، لكنه محبب.

ابتسم ثم أشار: «الشرفة من هنا».

فتح الشرفة ليضرب الهواء البارد وجهها، تقدمت أكثر وهي تخشى من تلك الكائنات، ثم قفزت في رأسها فكرة مجنونة، ماذا لو استدرجها ليدفعها إلى تلك الكائنات، ارتعدت خوفًا.

أسرع راين وأضاء مصباحًا ضخمًا ثم جذب الحبال فابتعد المصباح باتجاه البحر ليضيء المكان أكثر، عندها استطاعت الرؤية: راين محق، إنه البحر ولكن ماءه جف وظهر قاعه المتشقق، هناك بركة طينية كل بضعة أميال، لكنه محق، أين الحفرة السحيقة؟ أين الكائنات التي تسبح في فراغها؟

تقدمت أكثر واستندت على حافة الشرفة ثم رفعت جسدها ونظرت إلى الأسفل.

أسرع راين ليمسكها من خصرها: «الآن ليس الوقت المناسب للانتحار، سأقبل باعتذار صغير».

ابعدت يده في عنف: «عليك اللعنة».

راين مستنكرًا بسخرية: «مولاتي، هل تسبين؟!».

أرادت ضربه في تلك اللحظة ولكنها تماسكت: «أنت أحمق، أنا لم أرَ الحفرة بمفردي، هناك ما يقرب من خمسة جنود رأوها أيضًا، يمكنك التحدث معهم».

- ليس من اللائق البحث عما قلتِه أو فعلتِه، خاصة مع رجالك؛ ستبدين كشخص لا يحظى بثقة قائده، مولاتي.

توجهت رونيم إليه غاضبة: «عليك اللعنة، لماذا تتحدث معي بسخرية؟ كل مرة تقول مولاتي، تشعرني... تشعرني...».

اختفت ابتسامته: «أشعرك بماذا؟ مولاتي».

رونيم صارخة: «وكأني طفلة، كأنك لا تحترمني، و... وكأني لا أستحق الحكم».

أسرع راين: «وهل تستحقينه حقًّا؟».

تجمدت مكانها، إنها تشكك في حكمها لماذا لا يفعل هو؟ حاولت قول شيء ما لكن الكلمات لم تساعدها بل ظل قلبها يخفق، ابتعدت عن الشرفة متوجهة إلى فراشه وسقطت؛ استهلكت قواها، أرادت البكاء لكن الوقت لم يكن مناسبًا.

رونيم هامسة: «إذن أنت تظن أني لا أستحق الحكم، حتى بعد إبطالي للعنة».

- جزءٌ من اللعنة.

لم تتمالك رونيم نفسها وبدأت دموعها في الانهمار: «حسنًا أريد العودة إلى القصر».

تراجع راين: «لم أقصد، أنا فقط غاضب من...».

- من ماذا؟

راين صارخًا: «منكِ، غاضب منكِ، لماذا لم ترفعي اللعنة بشكل كلي؟ لماذا ظللنا في الظلام طوال مائة عام؟ ولماذا تأخرتِ في الظهور؟ أين كنتِ؟ انتظرتكِ طويلًا».

توقف عن الحديث ثم سقط على أقرب مقعد، أخرج ما بصدره، إنه يعلم: هذا ليس خطأها، في الحقيقة لا يعلم خطأ مَن.

راين: «لم أقصد مضايقتكِ، هيا بنا نتناول العشاء».

مسحت رونيم دموعها: «لا يمكنني قبول دعوة رجل من العامة».

حدق إليها غاضبًا: «أنتِ تجلسين على فراش رجل العامة هذا».

قطبت رونيم جبينها ونظرت لفراشه: «حسنًا، أنا جائعة، لم أتناول شيئًا طوال اليوم».

***

وضع راين الأطباق أمامها وهي تتفحص جدران منزله باهتمام بالغ.

راين ساخرًا: «لو تحبينه إلى هذا الحد يمكننا إجراء تبادل: أنت تأخذين المنزل، وأنا آخذ القصر».

- والحكم؟

- ماذا؟!

- لا يمكنك أخذ القصر دون الحكم، هذا ما تريده حقًا؟! حكم المملكة؟

- أنا لم... إنها ليست مملكة، إنه فقط الوادي.

- أعترف أنه مكان صغير ولكنه أثار جلبة لا بأس بها، إذن تظن أنك أفضل مني لحكم المكان؟

قطب راين جبينه: «أنا لم أقل هذا».

- لم تحتج إلى قول أي شيء، أنت تظن أني لا أستحق الحكم لسبب ما، أو ربما تظن أنك الأولى بالحكم، لقد عرفت ما فعلته لبعض سكان الوادي وكيف أنقذت البعض من مصير مظلم.

أنهى وضع أطباق الطعام: «كنت أؤدي مهمتي، ليس أكثر».

- مهمتك، ليس مجرد عملك.

قطب راين جبينه وفكر كم هي ذكية: «لا أملك ضغينة ضدكِ، أنا فقط أكره طريقة التوريث تلك».

حدقت إليه لثوانٍ: «وما ضغينتك ضد النظام الملكي؟».

جلس أمامها: «كل شيء، ألا ترين كل شيء خاطئ حدث بسبب طريقة الحكم تلك؟ أخبريني مولاتي: أي المؤهلات يملكها طفل كي ينصَّب حاكمًا على مملكة بها رجال أشداء؟ وكم مملكة حكمها ملك مجنون لمجرد أن دماءه ملكية؟».

- لا أنكر أن للملكية العديد من الأخطاء لكن في القصور يربى الجميع على الحكم، دعني أخبرك، في الأعوام المائة الماضية شهدت الكثير من الممالك صعود رجال من العامة للحكم.
- والنتيجة.
- كوارث على كل الأصعدة، أحدهم قتل ما يقرب من ثلاثة آلاف امرأة، وكتب التاريخ تزدحم بالكثير من القصص المأسَوية لرجال ظنوا أنهم أجدر بالحكم ولكن ما إن جلسوا على المقعد حتى تبدلوا ليصبح شاغلهم جمع المال والنساء.
- وهناك كتب تزخر بقصص الملوك المجانين الذين نهبوا وقتلوا ممالك لا حصر لها.
- لا أنكر هذا، لكن لا يمكنك المقارنة بين مَن تربى في القصور على السياسة وبين مَن تربى في الحظائر.

راين غاضبًا: «وخطأ مَن تَرْكُ العامة لتربى في الحظائر؟».

رفعت رونيم يدها: «حسنًا، أنت محق؛ يتبارى الحكام في منع شعوبهم من تحصيل تعليم لائق لذلك أبي جعل التعليم إجباريًّا لمن تعدى العاشرة من عمره».

- ربما أبوكِ أولى بالحكم منكِ، كلا انتظري أبوكِ لم يترعرع في قصر ملكي.

ابتسمت رونيم بغيظ: «ولكنه نشأ في أسرة ملكية».

- ما تقولينه يثبت وجهة نظري، مولاتي.
- تذكَّر أيها القائد راين، أنا مَن رفعت اللعنة ولست أنت، تذكَّر في المرة القادمة التي تحاول فيها التقليل مني والسخرية من لقبي.

غمغم راين بشيء ساخرًا، فصرخت رونيم: «ارفع صوتك».

- حسنًا، تريدين سماع ما أقوله، أعتقد بأن لك طفولة صعبة، هل اعتادت الملكة الأم تعنيفكِ الدائم للاقتداء بأختكِ الكبرى، عرفت قصتكِ مع خطيبكِ الذي ترككِ وذهب مسرعًا إلى أحضانها، لا بد وأنكِ تستميتين لإثبات نفسكِ، الأمر مرهق، أليس كذلك؟ خاصة وإن كانت هي الأجمل والأذكى، وتستحق المُلْك بحق، لا بد وأنكِ تشعرين بالغيرة والحقد طوال الوقت.

ارتعش جسدها وتساءلت: مِن أين عرف بكل هذا؟ حدقت إليه للحظات وصدرها يعلو ويهبط ثم غادرت مسرعة لم تعرف بما تجيبه، لم تكن تلك المرأة التي يتحدث عنها، القصة أعمق من مجرد فتاة تحقد على أختها وتحسدها وتشعر بالضعف الدائم وانعدام الثقة، ولكن كيف تخبره بذلك؟ لم تسعفها كلماتها يومًا خاصة في المواقف السيئة، لذلك غادرت.

قطعت الوادي بهدوء لم تشأ جذب الأنظار إليها، صعدت لغرفتها وجلست على فراشها، أرادت البكاء والصراخ لكن لسبب ما لم تفعل، تعجبت من قوتها وهي تدور داخل غرفتها، صوته يتردد في رأسها، لامت نفسها؛ هي من بدأت الحديث بقسوة لكنه تعدى حدوده، ما يؤلمها أنه عرف قصتها، لم تكن تريد رؤية الشفقة في عين أحد لذلك رحلت عن مملكتها لكن كيف عرف؟ لا يهم، إنه فقط وقح و... محق، نعم يؤلمها أنه محق، هي بالفعل أقل جمالًا من أختها لكنها لم تخلق نفسها، والأقل ذكاءً لكنها تملك ما يكفيها... و... نعم أمها قاسية معها، لكنها قاسية مع الجميع، وروبيم... حسنًا ليست أول امرأة تفقد حبيبها، الجميع يفشل في قصص حبه، هذا شيء لا يقلل منها إنها فقط حساسة بعض الشيء، فكرت بذلك ثم تساقطت دموعها، راين محق؛ إنها ضعيفة ولديها ماضٍ معقد و... ولا تثق بنفسها و... حسنًا كل تلك الصفات، لكنها ليست الصفات الوحيدة التي تملكها، هي تملك العاطفة والمثابرة،

وتحوز ما لا يملكه أحد: الحكم. لتتعلم إذن، لتكن جيدة، راين يعرف كل شيء عن الوادي، لتتعلم، راين يحظى بالحب والاحترام يمكنها أن تحظى بهما أيضًا، لكنها تحتاج النصيحة، بالتحديد نصيحة أبيها.

توجهت إلى مكتبها الصغير ثم أمسكت بورقة وريشة وبدأت في الكتابة، أخبرت أباها كل شيء، ليس بالطبع ما قاله راين، ولكنها لمَّحت أن أحدهم يحظى بسلطة تفوقها مما يزعجها، أو بالأحرى يقيد حكمها. أبوها حكيم، سيعطيها نصيحة جيدة تخرجها من هذا المأزق، عليها فقط الوثوق بنفسها.

***

وقف راين ينظف الصحون، لم تتناول شيئًا من الطعام، تذكر ما قاله فكسر الصحن بين يديه، نزفت يديه فأسرع إلى خزانة الحائط يخرج منها ضمادة، لم يقصد قول تلك الأشياء، لم يتعمد إهانتها بتلك الطريقة وتذكيرها بماضيها، ليس ذنبها أن خانتها أختها وحبيبها، لم تستحق منا ذلك خاصة وأنها لم توجه له أي إساءة، إنها سليطة اللسان بعض الشيء، ولكن كلا... إنها محقة، لولا دماؤها وشجاعتها لظل الجميع يتجول في الوادي كالوحوش إلى يومنا هذا، ليذهب ويعتذر لها، اللعنة ربما تأمر الحراس هذه المرة بإعدامه، ليترك الأمور تهدأ قليلًا ثم يعتذر لها، ربما يبتاع لها بعض الزهور -لا توجد زهور بالوادي- يستطيع أن يأمر رجاله بالذهاب إلى القرية القريبة وابتياع باقة من الزهور، ليشترِ لها هدية، نعم فليفعل هذا؛ النساء يحببن الهدايا، وهي امرأة رغم كل شيء، أيقظه من أفكاره صوت طرقات على باب منزله، أسرع يفتحه ويجد أباه أمامه، نظر له وعرف، لقد اكتشف أبوه ما قاله للملكة.

السيد تكارون: «كيف حالك يا ولدي؟».

راين متململًا: «بخير يا أبي».

- والعمل، كيف أخبار العمل؟

وقف راين غاضبًا: «حسنًا، أنا آسف، ما قلته كان قاسيًا لكنها سليطة اللسان، يمكنك توفير الخطبة التي تنوي إلقاءها، أعترف أني أخطأت سأذهب للاعتذار غدًا، ربما أشتري لها هدية وباقة من الأزهار، لذلك وفِّر أنفاسك».

أمسك السيد تكارون رأسه: «ماذا فعلت بالضبط؟»

- رونيم.. لماذا أنت هنا؟

- نعم، الملكة.. ماذا فعلت بها؟

تهاوى على المقعد وعرف أنه أفسد الأمور.

- لم أقصد.. تحدثت معها بقسوة بعض الشيء.

- ماذا قلت؟

أشاح بوجهه بعيدًا: «ربما ذكرت بعض الأمور من التقرير.. عن ماضيها.. مع..».

- التقرير السري؟

هز رأسه، فصرخ السيد تكارون: «التقرير الذي بعثته لك كي تفهمها وتحسن معاملتها لا أن تستغله في إهانتها؟!».

- أبي، أنا...

- أنت؟ أنت ماذا؟! هل تعرف أنك غير كفء لتكون قائدًا؛ أنت تكرر نفس المصير.

هب راين واقفًا: «أبي من فضلك، إنه خطأ بسيط وسأصلحه بنفسي غدًا، لا داعي للإهانة».

- حقًّا؟ لا تريد مني إهانتك لكن من الرائع أن تهين الملكة، إنها الملكة، اللعنة أنت ستفسد كل شيء، أنت ستفسد كل شيء.

كرر السيد تكارون تلك الكلمات مغادرًا منزله، أصبح شعوره سيئًا حقًا؛ لقد أفسد الأمور هذه المرة.

حاول النوم لكن عينيه لم تغفلا بل ظل يفكر في كلماته، لم يقصد، ليقسم بذلك أمام الجميع، أراد أن -نعم، ماذا أَرَدْتُ؟- قالها لنفسه وهو يعتدل، تريدها أن تعرف أنك تعلم بماضيها فلا تتكبر عليك؟ أم أردت إهانتها لأنها أهانتك أولًا؟ ماذا أردت يا راين؟! لأنك الآن تفسد الأمر على الجميع، ماذا لو حكمت بمعاقبتك؟ ماذا لو قررت عزلك عن منصبك؟ ماذا سيحدث للوادي وسكانه؟

ذهب لخزانة ملابسه وأخذ بذلته العسكرية سيذهب ويعتذر؟ لا يمكنه إفساد الأمور، كلا ليس هو، لا يمكنه تكرار نفس أخطائه.

أسرع نحو القصر ثم أمر أحد رجاله ليخبر خادمتها برغبته في رؤيتها، انتظر بضع دقائق في مكتبه ثم ظهرت وصيفتها.

شبان: «تحياتي لك أيها القائد، الملكة غير مستعدة لمقابلة أحد بعد، لو أصررت على رؤيتها فاكتب أسباب الزيارة في مخطوطة وانتظر الرد...».

رمت الوصيفة تلك الكلمات ثم غادرت مسرعة فاشتعل رأسه غضبًا، لكنه توقع شيئًا كهذا، يمكنه الذهاب الآن واقتحام غرفتها و... كلا، ليعطها مساحتها لتهدأ ثم يتحدث معها بعقلانية، لا يمكنها البقاء في غرفتها للأبد، إنه القائد سيأتي يوم وتحتاج إليه وعندها ستضطر إلى التعامل معه.

***

حبست نفسها لأيام في غرفتها تقرأ كل شيء عن الوادي واللعنات، أما في المساء فاختلطت مع سكانه تبتاع أشياء لا تحتاجها لتسعدهم.

مرت بضعة أيام ثم تلقت خطابًا من أبيها؛ أسرعت لغرفتها وبدأت تقرأ الرسالة، عرفت أنه كتبه بنفسه ولم يكلف حاجبه:

«عزيزتي رونيم...

بعد التحية والسلام ومباركة الإله الواحد الأحد أطمئنكِ يا ابنتي على أحوالي وأحوال أمكِ وأختكِ والمملكة كلها، بل الممالك الثلاث، الجميع بخير؛ توقفت البراكين والأعاصير، توقفت الكوارث وحل السلام، كل هذا بفضل عزيمتكِ يا صغيرتي، لزم عليكِ معرفة تلك الأخبار لذلك يحزنني ما كتبتِه لي يا صغيرتي، يقلقني حيرتكِ وعدم إيجاد صوتكِ الخاص، ورغم كل هذا لا يزعجني القائد الذي يحظى بسطوة أكبر منكِ، التعامل معه سيكون بسيطًا للغاية فلا تتكدري، ما يغمني حقًا هو المراقب -الرجل الكهل- عليكِ الحذر منه؛ لديه حكمة مائة عام ومعلومات تحطم ممالك، لتبحثي عن علاقته بقائدكِ، لا بد وأن هناك رابطًا يجمعهما.

كما أخبرتكِ لتحذري من المراقب فمهمته المراقبة تأكدي بأن يحظى بمحبتكِ كي لا يشكل خطرًا عليكِ وتخلصي منه متى سنحت لك الفرصة، أما بخصوص القائد هناك بعض الأساليب المتبعة للتعامل معه: أولًا يا صغيرتي

عليكِ الرفع من شأنه أمام الوادي، ليعرف الجميع أنه يحظى باحترامكِ ومحبتكِ، اعقدي اجتماعًا أو حفلةً ضخمة لتكريمه أمام الوادي كله».

توقفت رونيم لتعيد قراءة آخر كلمة: تكريمه!

أكملت القراءة لعلها تكتشف ما الذي يقصده أبوها: «نعم يا صغيرتي، كرِّميه في حفل كبير، لا يمكنني إحصاء عدد الرجال الذين تحدَّوا سلطتي وكانوا يحظون بمحبة شعبنا الكريم لكنني لم أيأس بل رفعت من شأنهم عاليًا ثم يومًا ما دفعتهم من فوق برجهم المرتفع.

لكن تذكري قبل تكريمه عليك إضعاف سلطته، كيف؟ سأقول لك: أولًا هو يملك مفاتيح المملكة لذلك قومي بتوزيع المفاتيح على أكثر من شخص، ليتولَ شخص ما الأمور العسكرية وآخر حراسة القصر. صغيرتي إنه قائد عسكري، انزعي منه تلك الميزة، جرِّديه من مصدر قوته، شرف الرجل العسكري في بذلته لذلك أجبريه على خلعها، كما قلت لكِ سابقًا كرميه، أعطيه بعض الميداليات والنياشين العسكرية ثم رقِّيه، ليكن مثلًا مستشاركِ، سيظن أنكِ ترفعين من شأنه لكنكِ في الحقيقة تبعدينه عن رجاله ومصدر فخره، ستزداد محبة أهل الوادي لكِ وتقل رؤيتهم له، يومًا بعد يوم سينسونه ولا يوجد مانع من دفعه لفرض ضريبة أو قانون متعسف، واختاريه المتحدث باسمكِ، عندها سيقذفونه بالحجارة والبيض الفاسد، تحلَّي بالصبر، أنت أقوى مما تظنين، فلا يمكنني تخيل نفسي واقفًا في منتصف جبل مظلم فاتحًا ذراعيَّ لمجموعة من الوحوش الممسوخة.

في النهاية عليك الحذر؛ أنت سريعة الثقة بمن حولكِ، احتفظي بأفكاركِ لنفسكِ ولا تشاركيها مع أحد، إن كنت تحتفظين بيومياتكِ دمريها، مثلها مثل هذا الخطاب. رونيم، صغيرتي، إياكِ والاحتفاظ بهذا الخطاب ولو لدقائق، ما كتبته لكِ يعتبر خيانة؛ أنتِ تستعينين بملك من مملكة أخرى ليقيد سلطة قائدكِ العسكري لذلك احذري، خاصة من هذا المراقب أظنه عليمًا بالأمور السحرية وهذا يجعل أنفاسكِ محسوبة عليكِ، تصرفي بذكاء وحرص وفي النهاية أشتاق إليكِ، أنت أقوى مما تتخيلين، لا أقول هذا لأنكِ ابنتي ولكني أقوله لأنك ابنتي».

تساقطت دموعها وهي تقرأ خطاب أبيها للمرة الثانية، أرادت الاحتفاظ به، تشعر أنها لا تستطيع تذكر كل تلك النقاط، كما أحبت ما يقوله عنها، كلماته تضيء قلبها وكم تحتاج إلى كلماته التشجيعية لكنه محق.

أسرعت للمدفأة تلقي الخطاب، راقبته حتى تحول لرماد ثم قررت: حان وقت مقابلة القائد.

***

رضت عن اختيارها للثوب الأزرق الداكن وهي تتفحص انعكاسها في المرآة، أشارت لوصيفتها ثم توجهت لمكتبه، ستنفذ نصيحة أبيها لها.

وجدته يجلس وأمامه أحد رجاله، هبَّ واقفًا وانتبه الرجل ليفسح المكان لها.

راين: «مـــ.. مولاتي، هل كل شيء بخير؟».

لم تعلِّق رونيم بل نظرت للرجل بجانبه.

راين مسرعًا: «هذا مساعدي زوبال».

نظرت له رونيم وتذكرت خادمتها: «آه.. نعم.. أعرف، أريد التحدث معك أيها القائد».

تبادل زوبال مع قائده النظرات ثم أسرع للخارج.

نظر راين لوصيفتها ففهمت أنه يريد التحدث معها على انفراد ولكنها لم تهتم.

تجولت في غرفته ثم قالت دون النظر إليه: «لديَّ مهمة حساسة لك، لا أعرف الكثير عن الوادي لكني أنوي تحويله لمملكة عظيمة وأريد مساعدتك في تقديم رجال صالحين لتولي مهام غاية في الأهمية».

- وما نوع تلك المهام سيدتي؟

- أريد أن يتولى أحدهم أمور التجارة والصناعة، وآخر للزراعة.

راين مبتسمًا: «سيدتي، تربة الوادي لا تصلح للزراعة فنـــ...».

قاطعته: «سنرى في هذا الأمر، لكن أسرع أريد ما طلبته غدًا».

همت بالمغادرة، لم يعرف ماذا يقول ولكنه أسرع خلفها: «رو... مولاتي».

توقفت غاضبة: «ما الأمر؟ ألا تستطيع تأدية المهمة؟ يمكنني الطلب من إحدى الخادمات».

ضغط على أسنانه غاضبًا: «كلا سيدتي، أنا فقط...».

اقترب منها كي لا تسمع وصيفتها شيئًا: «أريد التحدث معكِ عن أمر آخر، أنا...».

قاطعته بصوت مرتفع: «حسنًا يمكنك تحديد موعد مع وصيفتي».

غادرت سريعًا مما أشعل رأسه غضبًا، عاد لمكتبه وعرف أنه أساء لها حقًا، ليكن حذرًا في المرة المقبلة، دخل زوبال إلى المكتب: «يا إلهي إنها جميلة حقًا!».

رفع راين رأسه: «مَن؟».

- الملكة، ألا تتفق معي؟ إنها رائعة الجمال.

- حسنًا كما تقول.

***

تعلمت الكثير عن الوادي: قديمًا كان مدخلًا لمملكة «الميورآرك» من جهة الغرب يفتحها على باقي الممالك، أما الآن مجرد مضيق صغير يرمز لمملكة هلكت منذ زمن، لكنه لم يكن بهذا الحجم الضئيل بل كان أكبر ولاية، لذلك خاف منها الملوك الثلاثة وقرروا إعطاء حكمها لمن يثقون به.

أما عن مملكة الميورآرك فهي كانت كبرى الممالك في المنطقة وأقواهم كذلك، معظم ساكنيها يمتهنون السحر -ربما هذا ما أودى بها- لكنهم في الغالب مسالمون، إلا عندما بدأ حاكمها الملك «أريدان» في غزو الممالك المجاورة مستخدمًا سحره، في النهاية هلكت المملكة، وبقي هذا المكان شاهدًا على عصر اندثر، الغريب في الأمر هو صمود الوادي كل هذا الوقت، لماذا لم يفنَ؟ لماذا لم يُحتل ويضم لباقي الممالك؟ وجدت إجابة سؤالها في أكثر من كتاب؛ جميع الكُتَّاب أجمعوا أن الأرض بها شيء من السحر أو ربما ملعونة لكنها أيضًا محمية، أرض الوادي ولاؤها الأول والأخير لمملكة الميورآرك، لذلك قاوم الوادي أضف إلى ذلك اللعنات المتكررة عليها وعلى حكامها.

رفعت رأسها متسائلة عن كل تلك اللعنات، لماذا ظلمت لأرض فتيات بريئات كل جريمتهن أنهن تواجدن في الأماكن الخاطئة في الوقت الخاطئ؟ هل أجبرت اللعنة الرجال على قتل الفتيات حقًا أم أنها مجرد صدف؟ ربما أول قصة هي السبب؛ الفتاة الأولى. نعم تلك الفتاة التي أجبرها ابن عمها على تولي حكم الولاية ليهرب من التزوج بها ولكنـ...

تذكرت شيئًا مهمًا، قصتهما تتشابه قليلًا هي أيضًا تمت خيانتها من قبل المقربين لها، الفتاة أحبت قائدها، وقفت فجأة وأخذت تهز رأسها كأنها تطرد الفكرة من رأسها، تحب هذا الوقح راين؟! كلا إنها ليست تلك الفتاة، لم يجبرها أحد على الرحيل، هي اختارت هذا؛ قررت إنقاذ الوادي لتتذكر ذلك، إنها ليست مجرد فتاة بسيطة تهيم بأي شاب أمامها، إنها ملكة سليلة ملوك.

بدأت في كتابة ما تريد قوله للرجال في حال أحضرهم راين، رجال تنوي مدهم بالسلطة لجعلهم منافسين له، بالطبع لا يعلم هذا ولكنها خطتها أو بالأحرى خطة أبيها. ستقيد سلطته أولًا ثم تزيحه من أمامها، توقفت عن الكتابة وهي تفكر: ربما هذا ليس صحيحًا، القائد رغم وقاحته فإنه أفضل شخص لتولي تلك المهمة؛ مهمة الدفاع عن المملكة، لكنه لا يؤمن بها ليذهب للجحيم إذن.

***

لم يعد السيد تكارون شابًا في الحقيقة، هو ينتظر موته منذ أكثر من نصف قرن، ظل يراقب لمائة عام، يرصد كل شيء، يسمع عواء ولده الوحيد في البراري، يرى الأمور الشنيعة التي أجبر على فعلها بسبب طبيعته البرية، كما شاهد بكاءه كل ليلة متألمًا، لطالما اختلف راين منذ طفولته، لم يلعب كثيرًا مثل باقي الأطفال، جاد طوال الوقت، ربما لكونه يتيم الأم، إنه لا يعرف السبب كل ما يعرفه أنه مختلف حتى عندما تحول لوحش؛ الوحيد الذي يبكي بعد الفتك بفريسته، لقد سمع وبصر كل تلك الأشياء لكنه للأسف ليس الوحيد، سمع باقي التكارونين براين، ولده ليس أحمق، لكنه مندفع بعض الشيء و... وللأسف لا يحسن التعامل مع الملكة، التعامل مع البشر نقطة ضعفه، لطالما كان كذلك.

تم استدعاؤه لمجلس مصغر يضم المراقبين الآخرين، السيد تكارون والسيد تكارون، جميع المراقبين يلقبون بـ «السيد تكارون»، لقد نسي اسمه الأصلي، الشيء الوحيد الذي يربطه بتلك الأرض هو ولده الذي دار الاجتماع حوله، راين الذي لا يحسن معاملة الملكة مما يجعلها حزينة، الأحمق، الآن المراقبان الآخران خائفان من تكرار نفس المأساة، لقد حذره ولكنه...

استطاع توفير بعض الوقت له، وعد المجلس أنه سيحسن التصرف، ولكنه يعلم، سيسيء التصرف أكثر والمجلس يعلم أيضًا لكنهم وافقوا بعد إلحاح منه ليمهلوه بعض الوقت على الأقل حتى يجدوا بديلًا يتناسب مع مكانته.

الفصل الثالث

(الصديق المريب)

أغلق راين مكتبه بعد الانتهاء من يوم طويل ومرهق، أوكلت له الملكة مَهمة مُهمة، اطمأن على الجنود وتغيير نوبات الحراسة ثم اتجه إلى منزله، لا يعرف لماذا لكنه تذكرها تجر ذيل فستانها الأحمر وابتسم، تذكر ترددها في الصعود معه ليغمره شعور الذنب بسبب ما قاله، فتح باب منزله ولكن قبل أن يدلف نظر لشرفتها ما زالت مغلقة، أضاء المصباح ثم خلع سترته وشهق ذعرًا.

أمسك صدره محاولًا التنفس وهو ينظر إلى أبيه.

- أبي، أفزعتني.

- آه.. لم أعلمك تخاف بسهولة.

ابتسم: «لا أخاف لكن عليك رؤية وجهك في المرآة».

- حقًا، لتعتد وجهي إذن، خاصة إن لم تحسن إلى الملكة.

قطب جبينه: «ما الأمر؟ أنا لم أفعل أي شيء جديد لها».

- يبدو أننا لم ننتهِ من القديم.

قالها ثم توجه إلى ولده: «راين هل عنَّفت الملكة دافعًا جسدها إلى الحائط؟».

فتح فمه ليتحدث لكنه أغلقه متذكرًا ما فعله عندما عرف برحلتها المجنونة مع جنودها خلف منزله.

- أنا اعتذرت منها، وقبلت اعتذاري. أنت تتحدث عن حادثة قديمة.

أمسك السيد تكارون رأسه فتوجه إليه ولكنه أسرع ورفع يده كي يوقفه: «راين، أريد منك التفكير بصوت مرتفع، قائد المملكة، عنف الملكة في غرفة خاصة ودفع جسدها إلى الحائط و...».

توقف السيد تكارون عن الحديث فقد لمعت في رأسه فكرة ما، إن أخطأ راين فلِمَ لا تعاقبه الملكة؟ لِمَ صمتت عن تلك الإساءة المهولة في حقها؟ هل بدأت تميل له؟ أم أن اللعنة تتكرر؟

- أبي، أنا...

- زوبال.

قطب جبينه: «ماذا؟».

- زوبال مساعدك سيتولى مهامك مع نهاية الشهر، أمهلني مجلس المراقبين بعض الوقت، لكني لا أرى جدوى من الأمر؛ أنت لن تتغير، أنت فقط تكرر الماضي.

- أبي، أرجوك.

- راين أنت ولدي وأنا أحبك لكن لدي مسئولية تجاه الوادي، صدقني يا ولدي أنا أحميك من نفسك ومن اللعنة.

قال السيد تكارون تلك الكلمات ثم غادر مسرعًا، تطلع إلى أبيه محاولًا قول شيء ما لكن فات الوقت، سقط على مقعد قريب ووضع رأسه بين يديه. الآن... فقد كل شيء.

أخطأ أكثر من مرة وظن ألا أحد يعرف ورغم ذلك لا يستطيع التخلص من شعور الألم، كأنه طُعن بخنجر. أراد الصراخ لينفس عن ألمه لكن عليه التماسك، لا أحد يعلم عن قرار أبيه إلا الملكة، لكنه سينفذ أوامره على أية حال ويعد زوبال مساعده ليتحمل المسئولية، إنه شاب ذكي وسيتعلم سريعًا، في الحقيقة زوبال لا يختلف كثيرًا عنه؛ قبل اللعنة هو أيضًا كان مساعدًا لقائد الحرس قبل حدوث الكارثة، رأى بنفسه القائد والأميرة الصغيرة، حاول تحذير صديقه أكثر من مرة لكن الأخير لم يستمع له وحدثت المأساة، الآن يكرر الماضي لكن أباه حل الأمر. سيرحل وتتوقف اللعنة، استسلم لمصيره،

لم يحاول حتى تفسير موقفه لأبيه أو سبب تعنيفه لها، حركه خوفه عليها، شعر أن سلامتها مسئوليته خاصة مع تهورها وجنونها، أي ملكة تذهب في مهمة سرية مع مجموعة من الجنود خلف أحد الجبال في أرض ملعونة؟! ألم تخشَ أن يظهر لها وحشٌ ما؟! ألم تَخَفْ أن يحاول أحد الجنود مضايقتها و... و...؟!

طرد الفكرة من رأسه، لكنه لم يتخلص من الألم خاصة أنها أخبرت أباه بما حدث كأنها أفشت سرًا من أسرارهما، ربما أبوه محق، بدأت تجتاحه مشاعر تجاهها، أبوه محق في محاولة إبعاده عن هذا كله.

***

لا تعرف ما أصابها، حلَّت كل مشاكلها تقريبًا ومع ذلك لا تستطيع التخلص من الشعور بالضيق، لا تكف عن التفكير في راين وما فعله، تؤمن أنه يستحق الشنق لكنها متهورة أيضًا.

هزت رأسها: «كلا، إنه يستحق ذلك وأكثر».

لتتصرف بذكاء، ستقيم له حفل تكريم ثم يتقدم باستقالته لأنه يحتاج للراحة، نعم فكرة جيدة لكن هل سيصدقها سكان الوادي؟ عليهم اللعنة جميعًا، أنا الملكة سأفعل ما أريد، توقفت لتتذكر كلمات أبيها: الملك بحق عليه احترام شعبه ورغباته حتى وإن ألقت بهم إلى الهاوية.

جلست إلى مكتبها تتفحص مجموعة من الأوراق، أولهم خطاب من أبيها يطمئنها على أحوال المملكة ويبعث لها بتحيات الجميع خاصة الوزير أسطبون الذي تعرض لوعكة صحية بسيطة لكنه بخير الآن.

أنهت قراءة خطاب أبيها ثم وضعته بعيدًا وأخذت الخطاب التالي لترى ممن كتب، لم تصدق عينيها وهي تنظر لاسم المرسل: روبيم.

«عزيزتي رونيم...

أم جلالة الملكة الآن؟ لا أعرف حقًا طريقة مخاطبتكِ، هذا لو سمحتِ لي بمخاطبتكِ، لا أستطيع تجاهلكِ

وتجاهل مصيركِ، أرجو أن تكوني بخير، أعرف بالطبع أنكِ على ما يرام فجلالة الملك لا يترك مناسبة إلا وتحدث عن شجاعتكِ وحنكتكِ في إدارة أمور المملكة الجديدة، لكن اسمحي بإخبارك سرًا: القصر لم يعد كما كان؛ هناك شيء ما تغير لا أعرف ما هو، جو من الكآبة يخيم على الجميع لم يعد أحد متحمسًا لفعل شيء أو ربما هذا مجرد شعوري أنا فقط.

أكتب لأقول إني اشتقت لكِ، كنا يومًا أصدقاء، بل كنا أفضل الأصدقاء، هل تتذكرين رحلاتنا معًا عبر الغابة؟ تتذكرين هتافنا لأسران عندما بارز هذا المحارب الضخم الذي لا أتذكر اسمه؟ هل تتذكرين الحديقة السرية الخاصة بكِ؟ كل تلك الأشياء أفتقدها حقًا، أو ربما ببساطة أفتقدكِ، أصبحت أعيش على الذكريات، مللت نوعًا ما من طلب مسامحتكِ، أبي أخبرني أنكِ سامحتني، لكن الملك لم ولن يسامحني، رغم ذلك لم أعد أهتم، أنا فقط أعيش اليوم بيومه كل ما أريده العودة أصدقاء ثانية، مجرد أصدقاء نراسل بعضنا بعضًا، ففي تلك الأرض الغريبة لا بد وأنكِ تحتاجين لصديق، اكتبي لي عن مملكتكِ الجديدة، اكتبي لي، أتوسل إليك».

روبيم

طوت الخطاب ووضعته فوق خطاب أبيها لكنها عادت لتقرأ خطاب روبيم ثانية؛ رسالة غريبة بحق، يخبرها كل شيء لكنه يخفي الكثير: لم يذكر

ميرانا مرة واحدة، أبوها يحيل حياته لجحيم، هي تعرف معنى غضب الملك من أحدهم، الجميع يتحاشون التعامل معك يمتنعون عن دعوتك لحفلاتهم، يتجنبون مصادقتك، بل يهملون إلقاء التحية عليك أو الوقوف بجانبك على قارعة الطريق، روبيم يعاني فهل علي الشعور بالأسى من أجله؟

تركت الخطاب يسقط من يدها وتجولت بالغرفة قليلًا، لم تعد تكره روبيم أو غاضبة منه، فقط لا تريد تذكره، لا تريد تذكر أي شيء يربطها به، ربما يعيش على الذكريات لكنها لا تريد أيًا من ذكرياتهما معًا.

زفرت بقوة، ثم قررت كتابة خطاب قصير ومقتضب عما تفعله هنا؛ إنه محق في شيء واحد: هي تحتاج لصديق هذه الأيام.

***

تأمل راين الورقة بيده للمرة العاشرة، عليه تحري الدقة، تلك أول مهمة تطلبها الملكة وآخر واحدة بالنسبة له، فليؤدها على أكمل وجه ثم يرحل.

ارتدى سترته محدقًا إلى الورقة وكأنه يحفظ ما فيها، لم يقترح مجموعة الأسماء فقط بل عاد إلى الأشخاص ليعرف رأيهم في تولي المهام الموكلة إليهم، البعض رفض والبعض الآخر رحَّب، لذلك اقترح المزيد من الأسماء ليعرف آراءهم، حتى انتهى إلى تلك القائمة التي تقبع أمامه ثم صنع ملفًا لكل شخص وأرفق به مؤهلاته ومعلومات عنه وعن أسرته، لم تكن مهمة صعبة لكنها مرهقة، سعيد أنها انتهت، أمسك بالأوراق متوجهًا إلى غرفة الاجتماع.

وجد الملكة تجلس خلف مكتبها منهمكة في كتابة بعض الأوراق، رفعت رأسها ثم أكملت الكتابة، بضع لحظات مرت وراين لا يتحرك.

رونيم: «هل أنهيت المهمة أيها القائد؟».

- نعم جلالة الملكة.

- حسنًا اجلس وأخبرني.

وضع الأوراق أمامها ثم بدأ في شرح كل ملف ومميزات كل شخص وعيوبه، تحدث وأنصتت إليه باهتمام لكنها تجنبت النظر إليه مما ضايقه أكثر وأفقده تركيزه، انتهى من مهمته ثم تطلَّع إليها تقلِّب في آخر مجموعة من الأوراق.

أبعدت الأوراق ثم نظرت إليه لأول مرة: «جيد، سأتولى المهمة من هنا، شكرًا لك، يمكنك الرحيل».

عادت لما تفعله، تأملها وود لو سمحت له بالاعتذار، وقف لدقائق ثم عاد لمكتبه، خلع سترته غاضبًا من نفسه أو ربما منها؛ إنها تتجاهله، لا يريد الرحيل دون الاعتذار لكن ما باليد حيلة؛ إنها لن تسمح له.

دخل أحد الحراس إلى مكتبه مؤديًا التحية العسكرية: «أيها القائد الملكة تريد التحدث إليك في أمر مهم».

أسرع متسائلًا عن السبب، هل فعل شيئًا خاطئًا أم أنها تريد مناقشته في العمل؟ دخل للغرفة لكن تلك المرة كانت تنظر له بثبات.

رونيم: «تفضل بالجلوس، نسيت إبلاغك بقرار مهم، أولًا أنت تعلم أن تلك آخر مهامك».

شعر بالضيق عندما ذكرته بذلك.

أكملت: «قررت إقامة احتفال على شرفك؛ أعطيت للوادي الكثير ووجب علينا تكريمك».

هز راين رأسه: «مولاتي لا داعي، أنا... فقط».

رونيم بحزم: «إنه قراري».

ابتسم راين: «أليس لي رأي في الأمر؟!».

- كلا.

وقف راين: «حسنًا كما تأمر مولاتي، لكني أود إخبارك بأسفي عما بدر مني».

أشاحت بوجهها بعيدًا: «ألا تظن اعتذارك متأخرًا بعض الشيء؟».

اقترب من مكتبها: «حاولت الاعتذار أكثر من مرة لكنكِ تصدينني دائمًا».

حدقت إلى وجهه: «حسنًا يمكنك المغادرة الآن أيها القائد، ستسلم مهامك لمساعدك مع نهاية الشهر وستقام حفلتك في آخر يوم عمل لك».

- مولاتي، أنا...

- أنت ماذا؟ ما الذي يمكنك قوله لتمحو إهانتك لي؟

- لا أعرف ما عليَّ فعله لأحصل على مغفرتكِ، أخبريني وسأقوم به على الفور.

- لا شيء، فقط ارحل.

قبل خروجه من الغرفة قالت رونيم: «كيف عرفت بكل تلك الأمور عني؟».

نظر لها: «الأخبار تتناقل».

- أخبار؟!

- حسنًا، أنتِ ذكية بما يكفي لتعرفي أن أبي من أخبرني.

قطبت رونيم جبينها: «ومن أبوك أيها القائد؟».

- ألم تكوني تعرفين؟! اللعنة، أنتِ حقًا لا تعرفين. حسنًا، أبي هو السيد تكارون.

تعجبت مما يقوله لكنها تذكرت ما كتبه أبوها لها.

- كلا، في الحقيقة لم أكن أعرف، لكن كيف عرف السيد تكارون بتلك الأشياء؟

- إنه المراقب، إنه يرى الماضي أحيانًا.

- عن طريق السحر؟

هز راين رأسه، مرة أخرى أبوها محق.

رونيم: «شيء غريب حقًا».

- لماذا؟ ألم تري السحر من قبل؟!

- نعم، أنا لم أرَ ساحرًا قط؛ مملكتنا تعتمد على العلم فقط.

- السحر نوع من أنواع العلوم، وأبي ليس ساحرًا بالمعنى المتعارف عليه.

- سحر مدمر.

- لا أستطيع معارضتكِ مولاتي، انظري ماذا فعل السحر بنا.

- حسنًا يمكنك المغادرة.

- كلا.

رونيم بغضب: «ماذا؟».

- أريد التحدث معكِ أكثر؛ أعرف أنكِ ستتجاهلينني في المستقبل.

- ليس لدي المزيد، اخرج وإلا أمرت الحراس بإلقائك خارجًا.

جلس راين: «لا أظنكِ ستفعلين هذا، نويتِ إخباري شيئًا مهمًّا لكنكِ توقفتِ لسبب ما».

- حسنًا، يمكنك الجلوس هنا، سأتجاهلك لمائة عام.

راين مسرعًا: «كلا، ليس لمائة عام، أي عدد إلا المائة».

نظرت له ولم تعلق بل ظلت تطلع على الأوراق أمامها.

مرت دقائق وكأنه يجلس على جمر مشتعل، همَّ بالغادرة لكنها أوقفته: «لماذا حكمت عليَّ بتلك الطريقة؟».

قطب جبينه: «لا أفهم».

بصوت مرتعش: «كيف أصدرت حكمًا بأني مجرد امرأة قبيحة تحقد على أختها».

- أنا لم أقل يومًا إنكِ قبيحة، أنا...

- أنت ماذا؟ هل نبع حكمك من حديث أبيك عني؟ أم من خلال التعامل معي؟

- كلا، هذا ليس منصفًا...

- اخرج.

خرج راين مسرعًا، لم يعرف ماذا يقول، لقد جرحها أكثر من مرة ولا يستطيع محو ذلك.

قررت عدم مسامحته، إنه لا يعرفها، كيف يحكم عليها بتلك الطريقة؟ دعك من أنها ملكته ولا يمكنه محادثتها بتلك الطريقة، ربما تتفهم موقفه لكنها بالتأكيد لن تغفر له.

***

انتهت من مقابلة كل قائمة القائد، تحتاج للتفكير أيهم مناسب لأي منصب.

استيقظت في اليوم التالي وقد قررت، استدعت أولهم السيد «تمرون» رجل في الخمسينيات من عمره قررت أن يتولى وزارتي التجارة والصناعة

معًا؛ الوادي صغير والرجل يبدو محنكًا، انتهت من مقابلته بعد أن أقسم بالولاء والطاعة وخدمة الوادي بشرف، شكرته ثم ودعته.

كررت الأمر مع أكثر من وزير، حيث اختارت السيد «ماكرن» لرئاسة المسطحات المائية، ربما لا تتواجد الآن لكن بزوال اللعنة ستحتاج لواحد.

قابلت السيد «طركون» وأعطته وزارة الهندسة والإنشاء،تعلم أن تغييراتها محدودة لأن الوادي صغير، لكنها بحثت معه عن توسيع الوادي ليستوعب المزيد من السكان، أعطته مهمة أخرى وهي التنقيب عن ثروات ضائعة داخل الجبال المحيطة، ترفض فكرة أن تحاط بكل تلك الجبال ولا تستغلها، وخططا معًا للمدينة الجديدة في المستقبل، انهمرت الأفكار على رأسها، أرادت فعل كل شيء وأي شيء كي يعود الوادي لمجده.

تركت للنهاية أكثر المرشحين قوة السيد «أقروم» للزراعة، تعرف أن تربة الوادي لا تصلح للزراعة لكنها فكرت في تأمين الغذاء فوضعت بعض الخطط مثل تأجير أراضي زراعية من القرى القريبة واستخدامها لسد العجز أو محاولة استصلاح أراضي داخل الوادي، بدا الرجل متحمسًا وسعيدًا.

كل شيء بخير رغم ذلك لم تستطع إبعاد شعور الضيق الذي لازمها، لا تعرف سبب حزنها وعصبيتها الزائدة، فكرت في الكتابة لروبيم ربما يريحها الأمر قليلًا لكنها عدلت عن تلك الفكرة، آلمتها حقيقة وحدتها في مكان منعزل كهذا، كم تحتاج إلى صديق تخرج له مكنونات صدرها، ربما ريحها وينصحها.

***

أنهى راين أعماله وبدأ في لملمة أشيائه، أمامه الكثير من العمل ليفسح المجال إلى مساعده، أدى آخر مهمة له بنجاح لذلك راضٍ عن نفسه، رحل جميع موظفيه باستثناء الحراس المكلفين بحراسة القصر سينتهي من غلق مكتبه ويرحل بعد يوم طويل ومرهق، حمل أشياءه متجهًا لخارج عندما فُتح باب مكتبه على مصراعيه.

راين: «زوبال، ألم ترحل بعد؟!».

انتظر ظهور مساعده محدقًا في الظلام، تذكر أنه أمر بضرورة إبقاء المصابيح مشتعلة طوال الوقت؛ لا يحب أن يبقى ركن واحد مظلمًا بالقصر،

خرج من الغرفة ليجد الحارس المكلف بحراسة مكتبه اختفى، شيء آخر يدعو للقلق، ناداه لكنه لم يتلقَ ردًا.

«ربما هو وقت تغيير نوبة الحراسة»

قالها قاطعًا الممر المظلم، عندها رآه، الرجل أو الكائن، لا يعرف ما الذي يطلقه عليه، رونيم محقة، بدا كرجل إلا أنه طويل ونحيل للغاية، بدأ يقترب أكثر فوضع يده على خصره مخرجًا سيفه لكنه تذكر أنه ترك حزامه في المكتب، نظر حوله ثم أمسك بتمثال صغير ليستخدمه كسلاح، عندها توقف الشيء عن التحرك وعاد إلى الظلام، أسرع خلفه صارخًا في الحراس، اجتمع بعض الرجال فأمرهم بالانتشار حول القصر بعد أن وصفه لهم، ثم توجه بعدها إلى غرفة الملكة ليطمئن عليها.

***

شعرت بنسمة هواء على وجهها فتحت عينيها ببطء لتجد شخصًا يقف أمامها لم تستطع تبين ملامحه لكنه اقترب من فراشها مما أفزعها، اعتدلت سريعًا ثم أطلقت صرخة، ما رأته مخيفٌ بما يكفي كي تهرول إلى الباب، تحرك الشيء باتجاهها فاستطاعت رؤيته على ضوء المصباح الضعيف، وجه لا يحمل أي ملامح إلا جرحًا قطعيًّا مكان فمه أما جسده أقرب إلى جسد عنكبوت ضخم بأرجل طويلة مكنته من الوصول إلى الباب قبلها، طوَّحها الكائن بعيدًا فارتطمت بالحائط ثم سقطت أرضًا، غرس أحد أطرافه بجسدها فأطلقت صرخة مدوية، ثم رفع جسدها وطوَّحها إلى الحائط ثم همَّ بالانقضاض عليها لكنه أطلق صرخة أقرب إلى العواء.

غرس راين سيفه بجسد الوحش ثم طوَّحه ليصيبه ثانية، أطلق الوحش صرخة أخرى ثم تقهقر، توجه راين مسرعًا ليرى الدماء فوضع يدها على الجرح ثم رفعها، واتَّجها معًا ناحية الباب، عندها قفز الوحش ليقطع الطريق عليهما وطوحه بعيدًا فارتطم بالحائط وسقط، صرخت رونيم محاولة الوصول إليه لكن الوحش وقف بينهما، تراجعت ضاغطة على جرحها الذي بدأ ينزف بغزارة، وصلت إلى الشرفة، حاولت الإفلات منه لكنه سد الطريق عليها، هم بالانقضاض فقفزت على الأقل ستكون لها فرصة في النجاة.

سقطت على بعض الشجيرات الصغيرة مما خفف الصدمة، أسرع إليها أحد الحراس مع مجموعة من سكان الوادي ليعينوها فصرخت بهم ليبتعدوا مشيرة إلى شرفتها حيث الوحش يهم بالقفز خلفها، حملها الحراس ثم ابتعدوا، قفز الكائن متوجهًا إليها غير مهتم بباقي سكان الوادي الذين يركضون أمامه، عندها ظهر المزيد من الحراس مع الجنود من مملكتها وبدؤوا في رميه بالسهام والرماح، تقهقر الوحش إلى حشائش البسكان ثم اختفى، عندها وقعت أرضًا فاقدة الوعي.

***

زوبال: «اختفى رجلان آخران سيدي».

راين: «اللعنة».

أكمل زوبال: «بحثنا في الحشائش عن هذا الوحش، لكننا لم نستطع التقدم، آسف سيدي لكني أمرت الجميع بالانسحاب، لا يمكننـــ...».

راين بشرود: «كلا أحسنت، لا يمكننا فقد المزيد من الرجال».

- هناك أمر آخر.

- ماذا؟

- لا أظنه وحشًا واحدًا، هناك أكثر من وحش يتخفى في تلك الحشائش.

تذكر راين على الفور حديثه مع والده عندما تساءل عن مصير باقي سكان الوادي، الآن يعرف ما حدث لهم، لقد بقوا كوحوش، على عكسه والآخرين لا يوجد أمل في عودتهم.

زوبال: «سيدي ماذا نفعل؟ لا يمكنني أن آمر الرجال بالعودة إلى الحشائش».

- كلا لكن قسِّم الرجال إلى دوريات حراسة، لا يدخل أحد إلى الحشائش؛ بل حراسة من الخارج، الدورية الواحدة تتكون من رجلين، لا أريد مجازفات حمقاء، هل تسمعني؟

- أوامرك يا سيدي.

انتهى زوبال من توجيه تعليماته للرجال ثم انطلقوا يحملون أسلحتهم، اقتربت امرأة عجوز من راين: «سيدي القائد، ماذا سيحدث لنا؟ لا يمكنني النوم في منزلي؛ أشعر بالخوف».

اقترب مبتسمًا: «لا تخافي سيدتي، سنفعل المستحيل كي يعود الأمان إلى الوادي ثانية».

قالها ثم أمسك يدها مشيرًا لأحد الجنود: «فلترافق تلك السيدة لمنزلها ولا تترك بابها أبدًا».

ظهرت السعادة على وجه المرأة والجندي يداعبها ضاحكًا، مسح بعينيه الوادي ليتأكد من هدوء الجميع، خفق قلبه لما وقعت عيناه على بقعة الدماء الخاصة برونيم، همس لأحد الجنود ليحضر خادمة تنظف المكان.

راقب الخادمة تزيل طبقة تلو أخرى من التربة الملوثة بدمائها عندها لاحظ الوصيفة تشير له، أسرع إليها ثم تذكر أن يبدو ثابتًا من أجل رجاله، فمشى معتدلًا حتى اقترب: «ألم آمركِ بعدم مغادرتها؟!».

شبان: «حالتها سيئة وما زالت تنزف، أنا خائفـ...».

دفعها داخل القصر، لم يرد لأحد أن يراها باكية حتى لا يظن الأسوأ.

راين: «هل جاء السيد تكارون؟».

مسحت شبان دموعها: «لقد حضر توًا».

- حسنًا انتظري هنا.

توجه مسرعًا لغرفة الملكة، الكثير من الحراس يقفون أمام الباب والكثير من الخادمات يخرجن حاملات ضمادات ملطخة بالدماء، عرف أن الأمر سيئ وبدأ الخوف يجتاحه؛ ماذا سيحدث لهم إن ماتت رونيم؟

تنفس ليهدِّئ من نفسه ثم دلف للغرفة، ممددة على فراشها الذي اكتسى بلون الدم، بدت وكأنها ميتة، تطلع إلى أبيه الذي وقف يناقش المراقبين الآخرين والخادمات من حولهم يحملن الماء الملوث بالدماء.

اقترب محدقًا إلى جسدها: «أبي، هل ستكون بخير؟».

- لا أعرف أيها القائد، لا أعرف.

عرف أن أباه غاضب؛ ما دام يناديه بالقائد فبالتأكيد غاضب، لكن غاضب مِمَّن؟! ولماذا؟!

المراقب الآخر بصوت ضعيف أقرب إلى الهمس: «هل أمسك رجالك بالوحش سيد راين؟».

- كلا

السيد تكارون: «والهزة الأرضية التي حدثت هل خفت أي كوارث؟».

راين: «كلا، كل شيء بخير، لكني هنا لهذا السبب،لماذا حدث زلزال؟ وما تفسيره؟».

السيد تكارون: «آه.. أنت هنا من أجل الزلزال. حسنًا، لم نعرف شيئًا بعد».

لاحظ نبرة التهكم في صوت أبيه، إنه هنا من أجلها، بالطبع يعرف ذلك لكنه هنا أيضًا من أجل الوادي، سلامتها تهم الجميع، ألقى على جسدها نظرة أخيرة ثم رمى أباه بنظرات غاضبة وغادر.

***

ليلة طويلة حقًا، قرر افتراش أريكة مكتبه ليبقى قريبًا من رجاله أو ربما قريبًا منها. موعد استقالته غدًا، لكنه لا يستطيع تركها وإن أمرته بهذا، تقلب على الأريكة مفكرًا في الأحداث التي وقعت منذ مجيء رونيم إلى الوادي، تغير كل شيء اعتاد كونه بشريًا، يخشى الرجوع لهيئة الوحش وتلك الهزة الأرضية ما تفسيرها؟ كل شيء اهتز حولهم: الأرض، المنازل، القصر، حتى الحشائش، مباشرة بعد حملهم لجسد الملكة، هل سيُضمس الوادي ثانية؟ وما هذا الوحش؟! هو واثق الآن أنه من سكان الوادي، لكن لماذا لم يتحول مثلهم؟ لماذا بقي على تلك الهيئة المخيفة؟ وما الكائن الذي تابله قبل سماع صراخ رونيم؟ هل هو وحش؟ أم أنه شيء مختلف؟ لم يحاول الهجوم عليه، بل ابتعد عندما حاول ضربه مثلما حدث معها.

تذكرها فتسارعت ضربات قلبه، يعرف أنه يهتم بها ليس لأنه يحبها لكنها أصبحت مهمة لنجاة الجميع، لا يعرف متى لكنه استغرق في نوم عميق تخللته بعض الأحلام التي تدور حول الملكة حيث استطاع هذه المرة حمايتها من الوحش ولم يصبها أذى.

***

مستغرقًا في نوم عميق شعر بجلبة في الخارج، حاول فتح عينيه لكن ضوءًا أصفر منعه، خفق قلبه متذكرًا ما حدث أمس.

«رونيم»، قالها ثم اعتدل فجأة، شعر بالإعياء لأنه تحرك سريعًا فأمسك رأسه لبضع لحظات ثم نظر حوله، ضوء يأتي من خارج النافذة ينير المكان، لا يعرف من أشعل النار خارج القصر لكنه سيُعاقب بالتأكيد، فُتح باب غرفته وظهر زوبال وعلى وجهه سعادة غامرة: «سيدي القائد، الشمس، بالخارج».

لم يفهم راين ما يقوله، الشمس، هل جن أم ماذا؟ لكنه أسرع إلى النافذة وفتحها، يا إلهي، زوبال محق؛ قرص الشمس في السماء ينير الوادي، نظر إليه ضاحكًا: «كيف؟ ظننت اللعنة... إنها الملكة».

قال الكلمة الأخيرة ثم أسرع إلى جناحها يخشى الأسوأ، هل ماتت لذلك ظهر قرص الشمس؟ وصل لغرفتها وفتحها عنوة ثم توقف.

تسارعت ضربات قلبه عندما رآها مبتسمة جالسة على فراشها، تراقب الخادمات وهن يرقصن فرحًا حولها.

لم يدخل إلى الغرفة بل ظل واقفًا على الباب، لاحظت رونيم وجوده لتقول بصوت واهن: «هه.. أيها القائد، شكرًا لمحاولة إنقاذي الفاشلة».

ابتسم ولم يتحرك من مكانه، ود لو اقترب منها أكثر أو على الأقل احتضن يديها ولكنه تخلى عن تلك الأفكار وتسمر مكانه قائلًا: «آسف مولاتي، لقد.. حاولت».

لم تعلق لكنها أشاحت بوجهها لتنظر إلى الشرفة.

راين: «ربما من الأفضل لو يراكِ سكان الوادي».

نظرت له فأكمل: «كي يطمئنوا أنكِ بخير يا مولاتي».

- أنا، لا...

- هيا سأساعدك على النهوض.

سحبها بلطف من ذراعيها، أسرعت إحدى الخادمات إليهما لكنه أشار لتبتعد، أمسكت بجسده حتى استطاعت الوقوف أوصلها للشرفة وسندها على حافة السور، تأملت الوادي، جميع السكان بالخارج منهم من يرقص فرحًا

ومن يركض صارخًا كالمجنون ومن يقف ثابتًا ينظر إلى السماء كأنه يستحم بضوء الشمس.

رونيم بصوت واهن: «هل اللعنة كلـ...».

راين مسرعًا: «لطالما كنا ملعونين بشكل أو بآخر...».

تساءلت عن سبب حزنه من المفترض أن يسعده هذا التغير.

أشار لإحدى الخادمات لتمسك بها ثم غادر مسرعًا، قطع الممر الطويل حتى وصل مكتبه، لم يرد لأحد رؤيته هكذا، عليه الشعور بالسعادة لكنه تذكر إن أُبطلت اللعنة كلها فرونيم سترحل، أراد هذا سابقًا أما الآن...

«لماذا لا تحتفل في الخارج».

رفع رأسه ليجد أباه يقف على باب مكتبه.

telegram @
yasmeenbook

- لدي الكثير من العمل، و...

- وماذا؟ لماذا أنت حزين؟

رفع راين رأسه: «ماذا؟ أنا.. لست حزينًا، أنا فقط...

- تحسنت صحة الملكة، ظننتك ستسعد.

لم يعلق على جملته الأخيرة فهو يظنه يكن مشاعر لها.

حاول تغيير الموضوع: «لماذا ظهرت الشمس الآن؟ هى انتهت اللعنة أخيرًا؟».

- لا أعلم، أظن الأمر له علاقة بهجوم الأمس، هلا تقص لي ما حدث بالضبط؟

- كما أخبرتك، هذا الشيء، هاجم الملكة، حاولت إنقاذهالكن...

توقف مسترجعًا ما حدث: «أبي أتذكر الآن، رونيم نزفت على أرض الوادي».

السيد تكارون باستنكار: «تعني الملكة!».

راين غاضبًا: «نعم يا أبي الملكة نزفت على أرض الوادي، هل تظن أنه السبب؟».

- لا أعرف سأراجع المخطوطات، لكن عليك حمايتها، وأعد مساعدك ليتولى مهامك.

أشاح بوجهه بعيدًا: «حسنًا سيدي».

***

«مر أسبوع منذ الحادث وصحتي تتحسن، استطعت الخروج إلى الوادي الليلة الماضية، أما بالنسبة للمملكة كل شيء بخير، الشمس تسطع حتى منتصف اليوم ثم تبدأ في الغروب ليظهر القمر، شيء آخر لم يلاحظه أحد، القمر عاد ينير السماء، الأمور هادئة في القصر، القائد يتجنبني ولا أعرف لَمِ هو صامت طوال الوقت، أجلت تنحيه عن وظيفته لبعض الوقت، لا أريد إحداث بلبلة بالوادي الآن، سأنتظر اللحظة المناسبة، رغم ذلك قررت إقامة احتفال ضخم، أريد من باقي الممالك السماع به لذلك أبي العزيز أريد مساعدتك».

أنهت رونيم خطابها القصير ثم قامت بختمه، نادت الخادمة لتستدعي أحد الجنود -إنه جندي أمين يذهب كل أسبوع من وإلى مملكتها حاملًا الأخبار- وضعت الخطاب في يده ثم انطلقت عائدة إلى غرفتها تباشر جولتها الليلية، فكرت كم أصبح الليل قصيرًا لكنها لا تمانع، هي شخص محب للشمس والضوء.

ارتدت فستانًا أبيض ثم أشارت لوصيفتها لتتبعها، بدأت في شراء أشياء لا تحتاجها والخادمة من خلفها تحمل أشياءها، الجميع حولها مبتسم يتمنى لها الشفاء السريع.

وجدت نفسها في نهاية الوادي أمام منزل راين، التفت سريعًا متذكرة ما حدث منذ بضعة أسابيع عندما قبلت دعوته على العشاء، همت بالعودة للقصر لكنها تسمرت أمام البحيرة الصغيرة، لطالما تعجبت من موقعها الغريب، الشيء الوحيد الذي لم يتغير سواء قبل أو بعد اللعنة بالطبع مع حشائش البسكان، اقتربت أكثر من البحيرة وكلما اقتربت، زاد اضطراب الماء حتى ظنت أنها ستنفجر، لكنها هدأت فجأة، اقتربت أكثر ثم لمست الماء بأطراف أناملها، عندها أمسكها شخص ما من خصرها مبعدها عن البحيرة، صرخت رونيم وانتبه الحارس فأسرع إليها.

التفت لترى من أمسكها لتجده راين، همت بتوبيخه لكنه لم يهتم بها بل أبعدها وشق طريقه إلى البحيرة يتأملها وكأنه يراها لأول مرة، حملقت في البحيرة كذلك عندها لاحظت ظلًا أسود يتحرك تحت الماء ليظهر وجه بشري -وجه امرأة بالتحديد- بدا وجهها غريبًا أبيض بلون الخزف وشعرها أحمر بلون الدم تضع على رأسها تاجًا ذهبيًا.

ارتعش صوت رونيم: «مَن هذه المرأة؟».

نظرت لها المرأة باهتمام شديد فتوقفت رونيم عن الحركة.

راين: «إنها.. هذا مستحيل، لقد ماتت احترقت جثتها، أليس كذلك؟».

خفق قلبه وهو ينظر حوله كالمجنون، لم تفهم رونيم ما الأمر لكنها اقتربت منه وأمسكت يده لتطمئنه: «الآن اهدأ وأخبرني مَن تلك المرأة؟».

عندها أصدرت المرأة صوتًا مفزعًا؛ أسرع راين مبعدًا رونيم عن البحيرة.

صمتت المرأة قليلًا ثم فتحت فمها لتتحدث: «أخبرها أيها المساعد من أنا».

لم ينطق راين بل ظل ينظر لها زائغ العينين.

رونيم: «راين، مَن تلك المرأة؟».

المرأة: «نعم، أخبرها من أنا أيها الصغير راين».

بصوت مرتعش: «إنها هي، الأميرة المحترقة، سبب اللعنة».

ألقى راين تلك الكلمات دون توضيح الأمر، لم تعرف ماذا تفعل، هل تأمر الحراس فيخرجوها أم يقتلعوا رأسها؟ لذلك بادرت بسؤالها: «إن كنت الأميرة حقًا.. فمـــ.. ماذا تريدين؟».

مرة أخرى أصدرت صوتًا مزعجًا أرغمهما على وضع أيديهما على آذانهما.

ضحكت المرأة: «هل تريدين معرفة ما أريد؟ اقتربي وسأقول لكِ، كي لا يسمع الفتى».

أمسك راين بيدها وصدره يعلو ويهبط، تعجبت رونيم من فعلته، إنه لا يظن أنها ستقترب منها حقًا.

رونيم: «تحدثي يا امرأة وإلا قطعت رأسكِ».

ضحكت المرأة كثيرًا ثم قالت بصوت لعوب: «أيتها المسكينة، هل تريدين معرفة لماذا أنا هنا؟ حسنًا، أنا هنا لأعيد الوادي وعاهراته إلى الظلام، أنا هنا لأجعل الأم تأكل وليدها والأب يشعل بمنزله النار، أنا هنا لأنتقم».

تبادلت رونيم النظرات معه، ثم تقدمت إلى البحيرة مبعدة راين المعترض عن طريقها: «أيتها الأميرة، لترقد روحكِ بسلام؛ تحققت أمنيتكِ وتم معاقبة سكان الوادي لمائة عام تحولوا فيها لوحوش، أنا الملكة رونيم حاكمة الوادي الجديدة ابنة الملك يسرجين أمير جزيرة تسوميرين وحامي حمى مملكة مورينان آمرك بالمغادرة أرقـ...».

لم تكمل رونيم جملتها لأن المرأة بدأت في الاهتزاز بقوة داخل البحيرة مما جعل الماء يتناثر حولها، ثم فجأة توقفت وقالت ضاحكة بسخرية: «اللعنة عليكِ وعلى من أنجبكِ إن وقفت بيني وبين انتقامي».

رونيم غاضبة: «هل أنت معاقة؟ لقد أخبرتكِ توًا، انتُقِم لكِ لمائة عام، الآن من بقي من ساكني الوادي ليس لهم يد فيما حدث، لذلك ارحلي».

المرأة: «أقسم لكِ إني سأحطم كل شيء بنيته من أجل أولئك الأوغاد».

رونيم: «لماذا لا تخرجين وتحاولين؟».

نظرت لها المرأة بغضب ثم تحركت، تراجعت رونيم خلف راين الذي أسدل سيفه سريعًا، تحركت الأميرة وكلما اقتربت من حافة البحيرة، ظهر المزيد من جسدها العاري تمامًا إلا من شعرها الأحمر الطويل الذي يخفي أجزاء من عورتها حتى توقفت عندما وصل الماء إلى الجزء السفلي من جسدها، لأنها لم تملك ساقين بل نصف جسدها بدا كذيل سمكة.

توقفت المرأة وقالت باسمة: «حسنًا ما رأيكِ أيتها الملكة الموقرة بأن تأتي أنتِ لي؟».

خرجت رونيم من خلف راين: «حسنًا، حاولي الانتقام الآن أيتها الغبية».

عادت المرأة إلى البحيرة حتى أخفت جسدها كله: «حسنًا ربما لن أنتقم بنفسي لكني سأرى الوادي يتحول إلى رماد، صدقيني أيتها الأميرة الصغيرة ستأتين لي يومًا وخنجر خيانتهم بصدركِ».

رونيم: «حسنًا الجميع يعرف الآن من سيأتي إلى الآخر، من يملك الساقين».

رفعت رونيم فستانها لتكشف عن ساقيها لتغيظ الحورية بالبحيرة، رمقتها بنظرة غضب وغاصت إلى الأعماق.

تأكدت رونيم من رحيلها ثم التفتت إلى راين فوجدت صدره يعلو ويهبط والغضب يملأ وجهه.

- ما الأمر؟

راين غاضبًا: «لِمَ جعلتها عدوة لكِ؟».

- حقًّا؟ وهل عليَّ مصادقتها؟ ربما أحدد موعدًا لشرب فنجان من الشاي.

لم يعلق راين بل أسرع إلى أحد الحراس يتحدث معه مشيرًا إلى البحيرة، ثم عاد إليها: «حسنًا، إلى القصر».

رونيم بثبات: «لا يحق لك إعطائي أوامر أيها القائد».

عندها استبد الغضب به فأمسك ذراعها وجرها خلفه أمام سكان الوادي.

صعد بها إلى غرفتها ثم دخل وأغلق الباب خلفه، شعرت رونيم بالخوف؛ إنه يفقد منطقه عندما يغضب.

تنفس راين وظل يتحرك كالمجنون وهي تراقبه في صمت خائفة من إصدار أي صوت.

توقف أخيرًا ونظر لها: «إنها ميتة أو بالأحرى محترقة، لماذا تظهر الآن؟ ولماذا تظهر بالبحيرة؟».

لم تعرف رونيم إجابة أي من أسئلته لكنها قالت: «عليها اللعنة لن ترهبني أنا أو أيًا من سكان الوادي، لقد عانى الجميع بما يكفي».

راين بشرود: «حقًا».

قطبت جبينها: «نعم أيها القائد، ألم تعانوا بما يكفي».

عندها سقط على أقرب مقعد ووضع رأسه بين يديه قائلًا بصوت منخفض وكأنه يحدث نفسه: «ولكننا نستحق الانتقام».

جثت أمامه لتبعد كفه عن وجهه وتنظر إلى عينيه: «ربما فيما مضى استحق الجميع لعنة أمها لكن.. الآن مر مائة عام من العقوبة ومن حق سكان الوادي أن ينعموا بالسلام والأمان».

نظر لها راين ثم انحنى وغادر، قاومت رغبتها في الركض خلفه واحتضانه لتطمئنه لكنها طردت الفكرة سريعًا من رأسها.

***

بعث لها أبوها بخطاب أسعدها كثيرًا، سيتكفل بكل الحفل ليُقام في الوادي لمدة ثلاثة أيام لكنه لن يستطيع الحضور، لا يريد ترك القصر في هذا الوقت الحساس كما أسماه، فكرت رونيم أن الأمور ليست بخير في المملكة.

قال إنه سيتكفل بالحفل ماديًا وسيقوم أيضًا بإرسال الدعوات للضيوف على شرفه، ستقام الحفلة بعد أسبوعين من الآن لذلك عليها الاستعداد، أسرعت وأبلغت وصيفتها لتبلغ رجال المملكة والقائد راين؛ على الجميع الاستعداد.

لم تمر إلا بضعة أيام حتى وصلت أول سفينة من مملكتها محملة بكل التجهيزات، باشرت بنفسها الإعداد للحفلة، تريد للوادي الظهور بشكل جيد.

بضعة أيام وأنهى الجميع مهامهم، تأملت الوادي من شرفة غرفتها والفخر يملؤها؛ أنجزت المهمة بمفردها بالطبع ساعدها سكان الوادي لكنها رؤيتها هي، لم تسمح لها أمها بتغيير أي شيء داخل القصر أما الآن فهي تشعر بالسعادة، متعبة لكنها راضية.

تمددت في فراشها مفكرة كم الحكم رائع، عرفت منذ طفولتها أن العرش لميرانا، تلخصت حياتها في خدمة مصالح المملكة أو بالأحرى مصالح أختها، أمها تواصلت مع أمراء الممالك الأخرى لتجد زوجًا مناسبًا يخدم مصلحة ميرانا والعرش أما الآن فهي حرة تفعل ما تشاء.

***

غمرتها السعادة ما إن فتحت عينيها؛ إنه يوم الاحتفال، تأملت فستانها المعلق أمامها بألوانه المتدرجة بلون السماء، لم تكن يومًا جريئة في اختيار ملابسها لكنها أرادت أن تبدو مختلفة اليوم، تحسسته مبتسمة، تأملت انعكاسها بالمرآة: كل شيء سيكون مثاليًا اليوم.

انتقت فستانًا أخضر بأكمام طويلة لحضور الإفطار ثم توجهت للقاعة الكبيرة، أمرت الحراس بفتح الأبواب فوقف الجميع ينظرون لها: «صباح الخير، آسفة على تأخري».

في الحقيقة لم تكن آسفة على الإطلاق بل انتظرت في حجرتها وصول الجميع قبلها لتتبع نهج أبيها في الوصول متأخرًا، الأمر الذي ضايقها كثيرًا لأن والدتها أجبرتها على الجلوس مع الضيوف والترفيه عنهم.

بدأت في تناول طعامها ليتبعها الجميع، تلك هي عادات أرضهم، هي المضيفة والآمر الناهي حتى وإن جلس إلى طاولتها أشد الملوك قوة وحنكة.

استقبلت خلال الأيام الماضية وفودًا ملكية وإن خلت من الملوك، وفود محملة بالهدايا الثمينة والخطابات المهنئة، بالطبع أصيبت بخيبة أمل لأن جميع الممالك قررت إرسال أمرائها ووزرائها، جميع الممالك باستثناء الملك «أنمار» ملك مملكة معيوران، بالطبع لم يلبِ الدعوة حبًا لها لكنه جاء يستطلع الأمر، الآن الوادي آمن ربما يفكر في ضمه لمملكته وخاصة هي الأقرب من جهة الغرب، رجل ذكي صغير الحجم لكنه داهية، حذرها أبوها من كلامه المعسول لكنها رغم ذلك استقبلته بحفاوة غير عادية، فرغم كل شيء إنه الملك الوحيد الذي لبى الدعوة، لذلك جعلته ضيف الشرف للحفل.

جاء المساء سريعًا وتألق الوادي بإضاءته المبهجة، الأعلام ترفرف مع كل نسمة هواء، والموسيقى الفرحة تحرك الجميع معها، ألقت نظرة أخيرة على الوادي من شرفة غرفتها ثم تأملت انعكاسها في المرآة فشعرت بالخجل، إنها أول مرة ترتدي فستانًا عاري الكتفين لكنها قررت أن تبدو مختلفة، أشارت للخادمات ففتحن باب غرفتها مسرعات، وصلت إلى الدرج ثم ألقت نظرة على نهايته، وقف هناك ينتظرها ببذلته العسكرية وبجانبه مجموعة من رجاله.

- إنه هناك مولاتي.

أشارت وصيفتها إلى الملك أنمار رفعت رأسها ثم رسمت على شفتيها ابتسامة وهبطت الدرج تتأبط ذراع الملك.

أبهجتها فقرات الحفل، الأعلام الملونة والرقصات المتنوعة، فرحت بوصول بعض الفلاحين من القرى المجاورة يدفعهم الفضول والأصوات الصاخبة للحفل، نظرت للقائد ثم همست بجانب أذنه: «سأنزل الآن للرقص وسط الوادي».

قطب راين جبينه ثم أشار لمجموعة من الرجال يقفون حول المنصة، تعرف أن فعلتها ستغضبه لكنها اتفقت معه على رغبتها بالاستمتاع ورغم

تحذيراته المتكررة لها أن الحفل في مكان مفتوح مما يشكل خطرًا على حياتها فإنها أرادت الحرية الليلة، كما أنها أرادت إغضابه.

ابتسمت للملك أنمار الذي وقف مراقبًا حشائش البسكان باهتمام شديد: «مولاي، هلا نرقص؟».

انتبه الملك لها فتحرك سريعًا ممسكًا بيدها ثم معًا هبطا إلى الوادي، خفضت الموسيقى ليشكل الجمع دائرة كبيرة. ابتسمت له ثم بدآ معًا في التمايل على أنغام الموسيقى، لحظات وانضم لهما باقي المدعوين.

تنقلت طوال الليل بين مراقصة وزير لممازحة مستشار ثم العودة للملك أنمار حتى لا يشعر بالإهمال، لم تغفل عن التحدث مع سكان الوادي والترحيب بفلاحي القرى المجاورة، أرادت نشر الأمر الوادي آمن الآن، فعلت كل ذلك وراين خلفها مقطبًا جبينه، في رأيه هي مهملة لا تأخذ حذرها وهذا أغضبه خاصة مع شعوره أنها تتعمد تلك الأفعال لإغاظته، يضايقه عدم قدرته على حمايتها لكن الحفل سينتهي قريبًا، ستشير للموسيقيين ليتوقفوا وتشكر الجميع ثم تصعد لغرفتها ويستريح هو، كانت تلك هي الخطة.

بالفعل أشارت الملكة إلى الفرقة الموسيقية ليتوقفوا: «الليلة أسعد ليلة بحياتي، كل شيء مثالي اليوم، وخاصة أنتم يا ضيوفي الأجلاء».

تصاعدت موجة من الهتاف والتصفيق انتظرت حتى انتهت ثم أكملت: «اليوم رائع، ولكن ما سيكون أكثر روعة هو رؤيتي لكم كل يوم».

ضحك الجميع وتعجبوا من قولها هذا فأكملت: «يؤسفني حقًا رؤيتكم تغادرون لكني أعلم أنكم ستتذكرون الليلة لما تبقى من حياتكم، في النهاية أشكر كل شخص قد غامر بالمجيء إلى هنا».

تعالت موجة من التصفيق فأشارت الملكة بيدها: «وعلى رأسهم بالطبع عزيزي الملك أنمار».

قالتها ثم أشارت إليه بطريقة مسرحية، ابتسم الملك ورفع يده وسط موجة أخرى من الهتاف والتصفيق.

الملك أنمار: «آه عزيزتي، أنا سعيد بتواجدي معكِ في الوادي، نصحني مستشاري بعدم الحضور، لكني سعيد حقًا برؤيتكِ ورؤية إنجازاتكِ بهذا المكان الخلاب، شكرًا لكِ عزيزتي».

- أنا سعيدة بتواجدك معنا، كنت ضيف الشرف لهذا الحفل، لكن في الحقيقة الحفلة مقامة من أجل شخص آخر.

تعجب الجميع وبدأ الحضور في التهامس.

نظرت رونيم حولها لتجد القائد راين مستندًا على أحد الأعمدة الخشبية يراقبها في صمت، فأكملت بصوت جهوري: «هذا الحفل مقام لتكريم القائد راين».

ارتفعت أصوات الهتاف وبدأ الجميع في الاقتراب من القائد لتهنئته، بدت الدهشة الممزوجة بالغضب على وجهه مصافحًا المدعوين، رمقها بنظرة غاضبة ثم سار نحوها مسرعًا، أراد ضرب رأسها على الأرض، لكن ما إن اقترب حتى قالت: «كما قلت هذا الحفل مقام على شرف القائد راين، لطالما دافع عن سكان الوادي ببسالة».

تفحصته يرسم ابتسامة أقرب إلى التكشير عن أنيابه؛ لم يحب يومًا تركيز الأضواء عليه، تلك الأمور تجعله يفقد تركيزه ولن يستطيع حمايتها.

أكملت رونيم: «والآن مع هدية رمزية اعترافًا منا بفضله على الوادي».

تحركت الخادمات ليحضرن درعًا فضيًا ثم وضعنه بيد الملكة.

اقتربت رونيم من الملك أنمار: «يشرفني أن تكرم قائدي معي».

ابتسم الملك أنمار: «بل يشرفني أنا يا مولاتي».

اقترب كلاهما من القائد ثم سلماه الدرع معًا، ارتفعت أصوات المدعوين بالتهليل واشترك معهم رجاله ثم دوت السماء بالألعاب النارية، رفع الجميع رؤوسهم لرؤية الأشكال التي كونتها الألعاب، ألقت رونيم نظرة عليه لتجده يحدق إليها غاضبًا.

تحرك نحوها بعد أن ألقى هديته لزوبال، أسرعت نحو الملك أنمار قائلة بدلال: «هلا تشرفني برقصة أخيرة يا مولاي؟».

نظر لها أنمار ثم للقائد الذي توقف: «آه عزيزتي، أنا رجل عجوز، لِمَ لا تكون آخر رقصة مع القائد؟».

قالها مشيرًا إلى راين الذي توقف عن التنفس، تلاقت أعينهما فابتسمت بتكلف: «سيدي، لا داعـ...».

ارتفع صوت الملك: «ستكون الرقصة الأخيرة للملكة مع قائدها الشجاع، لتبدأ الموسيقى».

أوشكت على الانفجار وهي تلتفت له، تأملته لم يكن أفضل حالًا منها لكنه تحرك سريعًا وجذبها من خصرها ثم بدآ التمايل مع أنغام الموسيقى.

«هل أنتِ سعيدة الآن؟»، قالها ضاغطًا على أسنانه.

- كنت سعيدة قبل مراقصتك.

ابتسم راين ثم طوح جسدها بعنف: «فعلتِ كل شيء حذرتكِ من فعله».

رونيم مبتسمة: «آه أنا الملكة أفعل ما أريد وما أنت إلا قائد من العامة تستجيب لأوامري فقط».

عندها طوحها بعيدًا ثم جذبها بقوة أوشكت على خلع ذراعيها، كتمت الألم وحولته لضحكة مرتفعة.

- كيف رتبتِ لتكريمي دون علمي؟

- كما قلت، أنا الملكة ويمكنني فعل أشياء في الخفاء.

راين بسخرية: «آه.. ربما العلن ما عليكِ الحذر منه».

قطبت جبينها: «ماذا تقصد؟!».

- أقصد تمايلك طوال الليل مع رجال بالكاد تعرفينهم و.. ورداءكِ الفاضح هذا، ألا تخجلين من نفسك؟».

توقفت عن الحركة غاضبة لكنها تذكرت أين هي فابتسمت: «تمايلي مع الرجال؟! حسنًا إنه ليس تمايلًا، أنا ببساطة أعقد تحالفات، لكنك رجل من العامة لا تفقه شيئًا عن السياسة، كما أن فستاني الفاضح لا يعنيك بشيء أيها القائد».

أمسكها من خصرها ورفعها عاليًا ثم وضعها أرضًا وحرك جسدها، تحرك بسرعة جعلتها تشعر وكأنها طائر لا يلمس الأرض.

راين: «حسنًا، لأني قائد عسكري من العامة فأنا أكره الأمور المشبوهة، خذي حذركِ من هذا الرجل».

تركها فجأة لأن الموسيقى توقفت، صفق الحضور للملكة فابتسمت وانحنت، أما هو رحل دون النطق بأي كلمة، وجب عليه الانحناء لها لكنه رحل وتركها بمفردها، كأنه تحين انتهاء الرقصة والتخلص منها.

خفق قلبها وهي تشاهده مغادرًا، ودَّت لو صرخت بوجهه لكنه تحكمت في غضبها والتفت للملك أنمار الذي راقبهما بتمعن، تحدثت معه قليلًا ثم تمنت ليلة طيبة له وللحضور وتوجهت إلى غرفتها.

****

استيقظت في اليوم التالي مصابة بألم في رأسها مما جعلها سريعة الغضب، لم تتحمل حديث أحد أمامها وصرفت الجميع، عرفت أن علاجها الوحيد النوم لذلك أمرت ألا يزعجها أحد وأن يلتزم الجميع الهدوء حول غرفتها، بضع ساعات مرت وهي نائمة ثم بدأ هواء بارد يضرب وجهها، خيل لها أنها تنام في العراء، تقلبت في فراشها ودفنت رأسها تحت الأغطية لكنها ما زالت تشعر بتيار من الهواء البارد، نظرت للشرفة فوجدتها مغلقة يتخلل ضوء الشمس من فتحاتها الصغيرة، سرى الخوف في عروقها، الغرفة باردة كالثلج لكن الشرفة مغلقة.

دفعت الأغطية وخرجت من الفراش لكن رداء نومها تطاير، نظرت إلى يمينها لتجده، باب ضخم موارب بعض الشيء بجانب فراشها وفي غرفة نومها، باب أول مرة تراه وهي تنام هنا منذ بضعة أشهر، تسمرت مكانها محدقة إليه أو بالأحرى تحملق في الظلام داخله.

مر بعض الوقت وهي لا تتحرك، صدرها يعلو ويهبط محاولة الفهم، هل هي تحلم أم ماذا؟ عندها بدأ شيء ما بالظهور، نقطة ضوء صغيرة بدأت تكبر شيئًا فشيئًا حتى وصلت إلى الباب، ارتعشت وهي تنظر للرجل الطويل النحيف، الكائن الذي ظهر في الممر في أول يوم لها في القصر، ظهر حاملًا مصباحًا صغيرًا.

أرادت الركض إلى الباب الغامض لتغلقه، ودت لو أسرعت لباب غرفتها منادية الحراس، رغبت في فعل الكثير لكنها كالمشلولة لا تتحرك، اقترب الرجل الطويل ذو الملامح المبهمة أكثر من الباب حتى وقف على أعتابه ثم وضع يده على الباب ليوسع فتحته ثم انحنى ليدخل إلى الغرفة.

- تحياتي إلى الملكة المقدسة.

قالها بصوت ضعيف لا يتناسب مع طوله.

فتحت رونيم فمها لتصرخ لكن الرجل دخل إلى الظلام قائلًا: «هلا تتبعينني يا مولاتي؟».

لم تعرف ماذا تفعل، ليست ساذجة ليظهر رجل مخيف الشكل في غرفتها فتتبعه بكل غباء، وضعت رداءً فوق جسدها ثم توجهت لباب غرفتها، راقبها الرجل وهي تنظر له ثم فتحت الباب ووقفت مذهولة.

«السيد تكارون»، صرخت بهلع.

نظر لها السيد تكارون ثم أمسك باب غرفتها وأغلقه خلفه ليلقي نظرة على الرجل الغريب الواقف أمام الباب المجهول وينحني بأدب قائلًا بصوته الهزيل: «آه صديقي العزيز».

فتحت فمها بدهشة محاولة التحدث لكن السيد تكارون قال: «مولاتي، هلا جلستِ؟».

***

جلست رونيم على طرف فراشها والسيد تكارون على مقعد أمامها، أما الرجل الغريب ما زال ممسكًا الباب بيد ومصباحه الصغير باليد الأخرى، عيناها معلقتان بالرجل وكأنها تنتظر هجومه في أي لحظة.

السيد تكارون: «عزيزتي لا تقلقي إنه غير مؤذٍ».

رونيم بغضب: «إنه مَن هاجمني بالممر».

السيد تكارون: «تذكري معي هل هاجمكِ حقًا؟ جل ما فعله هو محاولة الاقتراب منكِ في صمت».

همت بقول شيء لكنها تذكرت ما حدث حقًا، لم يهاجمها فقط ظهر لها، بدأ صدرها يعلو ويهبط ثم قالت فجأة كأنها وجدت كلامًا يقال: «وراين.. حاول مهاجمته».

- حسنًا، القائد مَن بدأ مهاجمته، أما صديقي العزيز هذا انسحب في هدوء.

- صديقك، حقًا؟! إنه.. مخيف بعض الشيء، ما.. هو؟ وما الذي يريده بحق الجحيم؟

رفع السيد تكارون يده ليهدئها: «مولاتي، إنه في صفنا، لا ينوي أذيتكِ بل يريد الأفضل لكِ».

وقفت صارخة: «حقًا، لا ينوي أذيتي، كدت أموت خوفًا».

السيد تكارون بحزم: «ليس له يد في هيئته، هو مخلوق مسالم».

نظرت له رونيم صامتة، السيد تكارون محق، لطالما عانت من كلمات أمها الجارحة بسبب هيئتها غير الجميلة في نظرها.

- مَن صديقك هذا وماذا يريد؟

- صديقي هذا لا يتحدث، إنه.. حسنًا إنها قصة طويلة.

جلست رونيم ولكنها ألقت نظرة متشككة على الرجل الطويل الواقف أمام الباب.

السيد تكارون: «حسنًا، القصة تعود إلى مائة عام أو ربما أكثر بقليل، بالتحديد قبل بضعة أشهر من اللعنة، ظهر لي صديقي هذا من أحد الممرات المظلمة وقام بإمساك يدي، عندها صرعت».

- إذن من عادته الظهور لإفزاع الناس.

- بل لتحذيرهم، صديقي أمسك يدي ليريني المستقبل، أخبرني بما سيحدث في القريب العاجل، اللعنة وتحول أهل الوادي لوحوش، أبصرني بكل شيء، وأنا.. أنا حاولت تحذير الجميع، لكنهم لقبوني بالمجنون، بالطبع الشخص الوحيد الذي صدقني هو راين.

قاطعته رونيم: «ابنك».

ابتسم السيد تكارون: «نعم، كان وقتها مساعد القائد رومين، حاول تحذيره، وأخبره كل شيء، سخر القائد منه ولقبه بالمجنون، كان لا يهتم بالأميرة وقتها، فما بالك بقتلها بسبب الغيرة؟».

رونيم مسرعة: «ربما ما أخبرك به صديقك سبب اللعنة».

نظر لها مقطبًا جبينه فأكملت: «ربما ما أخبرك به جعلك تخبر راين ليخبر قائده، مما جعل القائد ينتبه للأميرة ويحبها، وبذلك سبَّب اللعنة».

نظر لها مبتسمًا: «إنه القدر عزيزتي، هو فقط حذرني ليس لإبطال اللعنة لكن لاحتوائها».

- احتوائها! كيف؟

- اللعنة كانت قدرنا لكن ما فعلته أنا.. حسنًا أنا أيضًا أطلقت لعنة خاصة بي.

تسارعت ضربات قلبها: «لعنة خاصة بك؟!».

مسح السيد تكارون جبهته وقال بصوته الضعيف: «حسنًا، اللعنة لم تكن لتحويلنا إلى وحوش فقط، بل أسوأ، اللعنة لإطلاق تلك الوحوش إلى الأرض وتدمير كل شيء، ثم تأتي باقي الكوارث لمن نجوا: زلازل، أعاصير، فيضانات، طاعون، كل تلك المصائب رأيتها عندما أمسك صديقي بيدي، السيدة «منازوان» امرأة شريرة أو ربما أم تتألم لابنتها، لكن احتواء عقلها على معرفة كتلك، إنه شيء مظلم يدنس روح المرء».

- حسنًا، جل تلك الأشياء قدر لها الحدوث، لكن ماذا فعلت أنت سيدي؟

- على القدر أن يأخذ مساره، لكني آمنت أن ظهور صديقي لي قدر أيضًا، اللعنة قدرنا، لكن هناك أملًا في الإنقاذ، لذلك أطلقت لعنة خاصة بي، لعنة معقدة، لا داعي لإدخالك في تفاصيل لن تفيدكِ مولاتي ولكني سأبسطها لكِ: إنها لعنة حفظ، حفظ لكل شيء داخل الوادي، العالم ليس له ذنب فيما فعلناه هنا.

قالت بشرود: «لعنة حفظ، لذلك لم أستطع تغيير كل شيء و.. وأنت، لمتني على ذلك».

وقف السيد تكارون ثم انحنى: «مولاتي أعتذر لكِ، فأنا أبحث عن خلاص الوادي».

- عليَّ معاقبتك، جعلتني أمر بأسوأ أيام حياتي وأنا أفكر: أين أخطأتُ؟

- أنا على استعداد لتلقي عقابي يا مولاتي.

- عقابك لن يفيد أحدًا، الآن فهمت، أبطلت اللعنة الأولى، لعنة السيدة منازوان لكن لم تستطع إبطال لعنتك أنت لعنة الحفظ، أليس كذلك؟!

- بلى يا مولاتي.

- لذلك كل شيء متوقف هنا، الشمس، البحر، الـ...

بدأ صدرها يعلو ويهبط عندما تذكرت الحفرة المظلمة خلف منزل راين، أرادت سؤاله عن كنهها لكنها تخلت عن تلك الفكرة.

رونيم: «حسنًا، أبطلت اللعنة عندما نزفت على تربة الوادي كما أخبرتني سابقًا، أليس كذلك؟!».

- بلى مولاتي، لكن يؤسفني إخبارك: إن اللعنة لم ترفع بالكامل، سواء لعنة السيدة منازوان أو لعنتي.

- اللعنة، حسنًا ما الخطة؟

تفاجأ السيد تكارون من رد فعلها كأنها تتحمل مهمة إبطال اللعنة وحدها، لعنة كان عليه إبطالها لولا تخاذله.

ابتسم السيد تكارون: «مجرد وجودكِ بالوادي يبطل كل اللعنات مولاتي».

- أنت فقط تعاملني بلطف زائد سيدي.

ابتسم السيد تكارون ولم يعلق، لذلك اتجهت إلى الرجل الغامض الواقف على الباب: «أعتذر لك سيدي، لقد أخطأت في حقك، هلا تسامحني؟».

نظر إليها الرجل ثم إلى السيد تكارون وأحنى رأسه.

رونيم: «لكن هذا لا يفسر ظهور باب غامض في منتصف غرفتي وخروج صديقك منه».

- آه، صديقي أتى محذرًا لنا من أمر ما، أمر لا أفهمه بعد.

- حسنًا، لنسأله إذن.

- أخبرتكِ مولاتي، إنه لا يتحدث.

نظرت له ثم للرجل الغامض: «ولكنه تحدث معي».

حدق إليه السيد تكارون: «حقًا!»

- طلب مني اتباعه.

قطب السيد تكارون جبينه محدثًا صديقه الغامض: «أنت تتحدث! لماذا لم تتحدث معي منذ البداية؟ لدي الكثير من الأسئلة».

نظر إليه وكأنه لا يفهم ما يقوله، حدق إليه السيد تكارون غاضبًا ثم التفت إليها: «حسنًا.. إذا طلب منكِ اتباعه، فلتتبعيه».

- حسنًا، ليس الأمر أني لا أثق بك وبقصتك التي أخبرتني بها منذ قليل، ولكني ما زلت لا أثق بكليكما.

السيد تكارون بيأس: «هل يطمئنكِ إن ذهبت معكِ؟».

رونيم مسرعة: «نعم».

السيد تكارون محدثًا صديقه: «هل يمكنني القدوم؟».

لم يعلق الرجل الغامض بل التفت ودخل إلى الظلام حتى ابتلعه.

نظرت رونيم إلى السيد تكارون: «مِن بعدك سيدي».

أسرع السيد تكارون إلى الباب ومن خلفه رونيم: «سيد تكارون، كيف عرفت بوجود صديقك بغرفتي؟».

- أخبرني، أو بالأحرى أراني.

رونيم هامسة كي لا يسمعها الرجل: «ألم يستطع الظهور لي في مكان آخر، أوشك قلبي على التوقف خوفًا».

السيد تكارون: «المسكين حاول مرتين: مرة لك ولراين، وكلانا يعرف ماذا حدث، لذلك فضل الظهور بشكل شخصي في غرفتكِ بعيدًا عن راين، شعرت بخوفه منه».

قال السيد تكارون جملته الأخيرة بصوت منخفض كي لا يسمعه صديقه وهو يتحرك في الظلام، ظلام يغلف كل شيء، لم ترَ رونيم حوائط أو أي شيء، فقط ظلام يتحرك معهم ما يبدده ضوء المصباح الصغير الذي يحمله.

رونيم: «لكن لماذا ظهر لي؟ هل هناك كارثة أخرى توشك على الحدوث، وما كنهه؟ إنه يبدو كرجل لكنه ليس كذلك».

- حسنًا، إنه كائن أعلى درجة منا يرى ما لا نراه.
- هل يعرف المستقبل أو شيئًا كهذا؟
- كلا لا أظن ذلك، حسنًا إن كنت تقفين على أحد الجبال المرتفعة ورأيت جيشًا ضخمًا قادمًا لتدمير الوادي ثم هبطت مسرعة لتحذير الجميع، هل أنت ترين المستقبل أو خارقة؟
- كلا، بالطبع لا، كنت في موقع أفضل من الجميع.
- حسنًا هذا صديقي، إنه في موقع أفضل منا، لا يرى المستقبل لكنه على تلٍ مرتفع.
- حسنًا، وماذا يريد مني؟
- حسنًا، أن يريكِ هذا النفق، لا أعلم بعد، لكن لا تهملي نصائحه سيدتي.
- حسنًا أنا في النفق، الآن ماذا؟!

توقف الرجل الغامض فجأة ثم التفت إليهما وأشار إلى يسارها، نظرت مع السيد تكارون إلى ما يشير إليه الرجل، باب يظهر من العدم، بتردد أمسكت بمقبض الباب ثم أدارته، ألقت نظرة غير مصدقة عينيها، دون تردد دخلت تبعها السيد تكارون طالبًا منها التمهل.

السيد تكارون: «ما هذا المكان؟».

دارت حول نفسها تنظر إلى السماء الصافية فوقها: «إنه مكاني المفضل، حديقتي السرية يا إلهي، لا أصدق عيني».

نظر السيد تكارون حوله: «هل هذا المكان بمملكتك يا مولاتي؟».

- بل مكاني المفضل في العالم، لكن نعم هذا منزلي، وتلك مملكتي.

نظر السيد تكارون إلى الباب حيث وقف صديقه: «ما معنى هذا؟ وما هذا النفق؟».

بالطبع لم ينطق الرجل لكنه انسحب وبدأ في العودة إلى الممر المظلم ثانية، نظرت رونيم للسيد تكارون ثم أسرعا كلاهما خلفه.

بضع خطوات أخرى في الظلام ثم توقف وأشار إلى باب آخر، أسرعت تفتحه بقوة، أصيبت بخيبة أمل؛ توقعت رؤية غرفتها القديمة أو حتى المكتبة لكن بدلًا من ذلك وقفت في مكتب أبيها تحديدًا أمام الخريطة التي تظهر الممالك الأربع، دلفت إلى الغرفة وخلفها السيد تكارون.

السيد تكارون: «هل هذه غرفـــ...».

- بل لأبي.

وقف صديقه كعادته على عتبة الباب دون الدخول إلى الغرفة: «لماذا هذا المكان؟ أعني حديقتي، أفهم لكن لماذا هنا؟».

مرة أخرى لم يعقب وعاد إلى الممر.

بدأ الغضب يتملك منها؛ إنها لا تفهم شيئًا، والرجل بجانبها الذي يعرف كل شيء في الممالك الأربع أيضًا لا يفقه شيئًا، إنه حتى لا يعرف ما كنه صديقه.

عادت تتبع الرجل الغامض مع السيد تكارون، استغرق بعض الوقت حتى توقف في نهاية الممر حيث يقبع باب خشبي ضخم، تلك المرة الباب لم يظهر بل كان موجودًا من قبل.

اقترب الرجل الغامض ثم أدار مقبض الباب ووقف بجانبه، اقتربت بحذر ثم ألقت نظرة خاطفة، قطبت جبينها غاضبة: «الآن لا أفهم.. أنت تتحدث، أخبرني عما تريده».

نظر لها الرجل واختفى. سقط المصباح الصغير على الأرض فأسرعت إليه ظنًا منها أنه سينطفئ ويغرق كلاهما في الظلام ولكنه لم ينطفئ.

رفعت المصباح بيدها: «اللعنة، ما الذي يريده؟ هل تفهم شيئًا؟».

نظرت إلى السيد تكارون.

- كلا يا مولاتي، أنا مثلكِ هذه المرة لا أفهم شيئًا.

اقترب من الباب، لم يكن يعرف ما خلفه لكنه ظن أنه مكان آخر خاص بماضي الملكة، ارتعشت يداه، كان ينظر إلى داخل غرفة نوم راين، في المرتين السابقتين الغرف تخص الملكة، غرف لديها فيها ذكريات خاصة لكن لماذا الممر يظهر لها غرفة نومه؟

غرقت في أفكارها محاولة فهم ما يريده منها، ما عرفته أن الرجل عبارة عن نذير للكوارث، ولكن أي كارثة ستحدث؟ والغرف الثلاث ما علاقتها ببعضها؟ إنها لا تفهم تلك الجزئية أيضًا.

رونيم: «سيد تكارون، ألا توجد طريقة لاستدعاء صديقك هذا؟».

السيد تكارون بشرود: «كلا يا مولاتي، يختار الظهور كل مرة».

- لماذا غرفة نوم القائد؟ ما الذي يقصده؟

السيد تكارون بغضب: «إذن تعرفين أنها غرفة نومه؟!».

- ماذا.. آه... أنت لا تعرف، حسنًا.. ظننتك تراقب كل شيء.

ضحكت محاولة الهرب من الموقف المخجل لكن وجه السيد تكارون الغاضب جعلها تتوقف عن الابتسام ببلاهة.

رونيم: «حسنًا، الأمر ليس كما تظن، صعدت إلى غرفته لأريه شيئًا ما».

صرخ غاضبًا: «ماذا؟».

استطردت قائلة: «أقصد أراد أن يريني شيئًا، حسنًا الأمر ليس كما تظن، حسنًا ربما من الأفضل أن يروي راين تلك القصة».

أمسك السيد تكارون برأسه: «أنتما الاثنان ستكونان السبب في دمار الوادي».

- لا تضخم الأمر يا رجل، ليس وكأننا كنا نتـــ...

توقفت عن الحديث بسبب تبدل وجهه وطأطأت رأسها خجلًا: «حسنًا لنعد إلى غرفتي».

قالتها ثم أغلقت الباب، وما إن أغلقته حتى تبدد ظلام النفق وظهرت ملامحه، أطلقت رونيم صرخة وسقط المصباح من يدها لأنها ظنت أن الأمور المخيفة توقفت مع رحيل الرجل الغامض.

أمسك السيد تكارون بيدها وتناول المصباح: «اهدئي سيدتي كل شيء بخير».

رونيم صارخة: «كلا، لا شيء بخير، أنا خائفة ظهر باب غريب بغرفة نومي، وخلف الباب ممر مخيف، لا داعي لذكر صديقك المرعب».

لم يجبها السيد تكارون بل كان يفحص حوائط الممر.

اقتربت رونيم هي الأخرى وتلمست الحائط، مصنوع من القراميد الأبيض نُقشت عليه رموز غامضة.

رفع السيد تكارون المصباح لينير أكبر قدر من الطريق أمامهما ثم توجه إلى أحد الحوائط وسحب شيئًا ما ثم أعاد وضعه، وذهب ليتفحص مكانًا آخر.

«إنها شعلة، متى وُضعت هنا؟»، قالتها رونيم.

- حسنًا مع كل شيء غريب حدث منذ قليل لا أتعجب إن ظهرت ضفدعة راقصة لذلك لا تندهشي مولاتي.

مد ذراعه لتتأبطها استسلمت للأمر وسارا معًا، كل بضع خطوات يترك ذراعها ليشعل مشعلًا آخر، نظرت حولها: الممر الآن مضيء بشكل جيد يمكنها من رؤية حوائطه البيضاء غريبة الشكل، لكن لا توجد أبواب، فقط باب غرفة راين في نهاية الممر يقابله باب غرفتها في البداية لا أبواب أخرى، لا باب حديقتها، ولا باب غرفة مكتب أبيها، ما دلالة ذلك؟ الأسئلة التي تدور في رأسها توشك على خنقها.

وصلت لباب غرفتها فألقت نظرة أخيرة على الممر قبل أن يغلقه السيد تكارون.

جلست على طرف فراشها محاولة ترتيب أفكارها، قطع صوت السيد تكارون حبل أفكارها: «مولاتي، من الأفضل ألا يعرف أحد عن هذا الباب».

رفعت رونيم رأسها: «كيف؟ الخادمات ووصيفتي، أعني إنه مميز عن باقي الغرفة».

- نعم، حسنًا، فقط حاولي ألا تدعي أحدًا يدخله.

هزت رأسها في استسلام لكنها اعتدلت فجأة متذكرة شيئًا مهمًّا: «راين.. أعني القائد، مَن سيخبره عن وجود باب غريب في غرفة نومه؟».

- حسنًا، سأتولى تلك المهمة.

- حسنًا و.. ماذا ستخبره بالضبط؟

لم يعلق السيد تكارون بل انحنى في أدب: «لتحظي ببعض الراحة مولاتي».

خرج وتركها، نظرت للباب الغامض وقالت محدثة نفسها: «كيف؟ كيف سأحظى بالراحة وهذا الشيء في غرفتي؟ اللعنة إنه بجانب فراشي».

تمددت على فراشها وعيناها معلقتان على الباب، وكأنها تنتظر خروج وحش آخر منه.

***

وقفت تودع آخر عربة ملوحة بيدها، أخيرًا رحل الملك أنمار، بضعة أيام مضت منذ انتهاء الحفل وكأنها سنوات، خاصة بعد ظهور ذلك الممر الغامض، شَيَّعَت وفود الممالك الأخرى خلال الأيام القليلة الماضية، كما تجنبت راين خلال كل ذلك، لم تشأ التحدث معه والشيء الغريب أنه فعل المثل حتى لو وُجِدَ شيء يستدعي تواجدهما معًا أرسل مساعده زوبال، رأسها يؤلمها طوال الوقت لأنها لا تستطيع الاستغراق في نوم عميق مع وجود الباب الغامض وخوفها الدائم من خروج شيء ما منه.

راقبت آخر عربة وهي ترحل مخلِّفة سحابة من الغبار.

شبان: «سيدتي، هل أنت بخير؟».

- نعم.. أنا بخير، فقط.. أريد النوم.

- حسنًا، ولكن هناك شيئًا أخيرًا، السيد تكارون يريد مقابلتك، هل أصرفه لوقـــ...

رونيم بشرود: «كلا، سأتحدث معه».

توجهت إلى غرفة مكتبها، تبادلا التحية لتجده يحملق بها بطريقة غريبة مما دفعها للتساؤل: «هل كل شيء بخير؟».

- آه.. نعم، كنت أطمئن عليكِ يا مولاتي.

ضيقت عينيها وعرفت أن هناك سببًا آخر خلف زيارته المفاجئة.

رونيم: «حسنًا أنا بخير، كل شيء بخير».

- والقائد راين؟

- ما به القائد؟

- كلا لا شيء، أعني.. لم تتحدثي معه بخصوص الممر؟

- كلا، لا أعرف ما أقوله فأنا لا أعرف شيئًا.

- حسنًا.. عدت لمكتبتي القديمة واستطعت جمع معلومات قيمة عن هذا الممر أو كما أطلق القدماء عليه «راهرو».

- مـــ.. ماذا أُطلق عليه؟

- حسنًا، لست الملكة الأولى التي يظهر لها هذا الممر.

جلست رونيم على أقرب مقعد ممسكة رأسها: «من هي الملكة التي ظهر لها هذا المـــ.. «الراهرو»، ولماذا؟».

- حسنًا، أنا لم أنتهِ من جمع المعلومات بعد، لكن هناك بعض المخطوطات عن ملكة قوية حكمت الأرض قديمًا وبرعت في فنون السحر والشعوذة تُدعى الملكة إلينور.

- ملكة وساحرة أيضًا؟!

- نعم، كانت قوية بحق وبدأت في ضم الممالك من حولها مما أيقظ الحرب، اتخذت قائد جيوشها زوجًا، وفي إحدى المرات وقع تحت

حصار كاد أن يفتك به وبجيشه، لذلك قامت باستدعاء كل نواها لصنع هذا الـممر، أو «الراهرو» للوصول إلى زوجها وجيوشها المحاصرة.

رونيم بصوت هامس: «أمر رائع».

- ماذا؟!

- أمر رائع، أعني الحب يدفع الناس أحيانًا لصنع المعجزات.

هز السيد تكارون رأسه في عدم اكتراث، مما أثار تساؤلها: «هل أحببت يومًا سيد تكارون؟ أعني لقد تزوجت وأنجبت، هل هناك قصة حب سرية في حياة المراقب؟».

رفع السيد تكارون رأسه: «حسنًا، زوجتي وأم راين، ابنة حطاب، وأبي كان سكيرًا يقترض من الجميع ولا يستطيع تسديد ديونه لذلك تدخل الحطاب ودفع ديونه بشرط أن أتزوج ابنته، وتم الأمر ثم أنجبت راين».

- حقًا، يا لها من قصة! ألم تحب يومًا؟ أعني أحببت زوجتك على الأقل بعد الزواج.

هز السيد تكارون كتفيه: «حسنًا، مكثت معها لمدة أسبوع ثم قام القصر باستدعائي لأكمل دراساتي، وعندما عدت بعد عام كانت أمي تحمل راين وزوجتي ماتت».

نظرت له رونيم: «هل يعرف راين تلك القصة؟».

السيد تكارون بفخر: «بالطبع»

- اتركني أُعِدْ صياغة السؤال، هل أخبرته تلك القصة بنفس الطريقة؟

لم يفهم السيد تكارون ما تقصده ولكنه هز رأسه بنعم.

رونيم: «الآن عرفت لِمَ شخصيته معقدة».

- إن ولدي ليس معقدًا، إنه فقط مميز.

- مميز حسنًا، إنه.. كلا، لا فائدة لا يمكنني لومه لكن سأخبرك نصيحة: المرة القادمة التي يسألك فيها راين عن والدته أخبره تفاصيل أكثر، أعني كيف كانت، هل هي كريمة محبة جميلة، اذكر صفاتها الحسنة.

- لكني لا أتذكرها، مكثت معها أسبوعًا واحدًا فقط، أنا حتى لا أتذكر هيئتها.

- اكذب إذن، تخيل امرأة جميلة وصِفْها له.

- لا أفهم أهمية هذا الموضوع لكِ يا مولاتي.

- إنه.. حسنًا.. ليس مهمًّا، أكمل، أين الكارثة؟

- أي كارثة؟

- كنت تخبرني عن الممر والملكة التي صنعته، لكنك لم تخبرني ما الكارثة التي حدثت بعد ذلك، بالطبع هناك كارثة.

ضيق السيد تكارون عينيه وقال بطريقة درامية بعض الشيء: «أنت حادة الذكاء يا مولاتي، هناك بالفعل كارثة حدثت بسبب هذا الممر».

- أخبرني.

- حسنًا، أحد أبنائها دخل الممر وهو صغير فقام بابتلاع روحه.

- يا إلهي، كم كان عمر الطفل عندما مات؟

- ولكنه لم يمت.

- ماذا؟! لقد قلت توًا إنـ...

- الممر قام بابتلاع روحه، لكن جسده بقي.

- ماذا! هل يمكن للمرء العيش دون روح؟

- عزيزتي الملكة الكثير منا يعيش دون روح، بل أظن الأطفال فقط من يملكون أرواحًا، لذلك الوادي ليس به أطفال.

تعجبت رونيم من قول المراقب، إنه محق، لم ترَ طفلًا في الوادي.

رونيم: «ألم يأتك أي أخبار عن النساء؟ أعني كون إحداهن قد حملت طفلًا داخل أحشائها».

- كلا يا مولاتي، لا توجد أي امرأة في الوادي يمكنها الإنجاب.

- أي أن اللعنة لم ترفع.

- اللعنة أو عقاب إلهي، لا أعرف بعد.

- والطفل، ماذا حدث له؟

- أصبح ملكًا وقام بارتكاب جرائم لا حصر لها، ففي النهاية هو جسد يمتلك السلطة لكن دون روح أو ضمير.

- علينا الحذر في استخدام هذا الممـ.. «الراهرو».

- نعم، وهذا هو السبب الحقيقي الذي جئت من أجله.

- حقًا!

- نعم.. راين.. يريد دخوله منذ أن عرف به، ولا أستطيع منعه، لكن...

رونيم بغضب: «لكن ماذا؟ أنا أستطيع منعه!».

- كلا، لا أعني هذا، إنه يتساءل: لماذا ظهرت نهاية الممر في غرفته بالتحديد؟

أشاحت رونيم بوجهها بعيدًا: «إنه ليس الوحيد الذي يتساءل».

- الأمر في رأيي واضح؛ إنه قائد جيشك كما أنه المسئول عن أمنكِ وسلامتكِ لذلك ظهر الممر له.

- حسنًا، يمكنني إقناعه بذلك.

- كما أنه...

توقف السيد تكارون عن الحديث وهو ينظر لها ثم استجمع شجاعته: «إنه يطلب منكِ مرافقته إلى الممر».

تعجبت رونيم من طلبه خاصة أنه يتجنبها طوال الأيام الماضية، تعجبت أكثر أن السيد تكارون بنفسه يطلب منها مرافقته، خاصة وأنه دأب على التفريق بينهما.

رونيم: «لماذا لا يطلب مني بنفسه؟».

- حسنًا، يظن أنه ليس من المفضلين لكِ، أعني تصرف في بعض الأحيان بطريقة غبيـ...

رونيم ساخرة: «في بعض الأحيان؟! تعني طوال الوقت».

- نعم، لكن...

وقفت غاضبة: «إن أراد القائد شيئًا ليطلبه بنفسه».

وقف السيد تكارون: «نعم بالطبع مولاتي، لكن، هل ستوافقين؟».

ابتسمت: «حسنًا، ليطلب أولًا وسنرى».

لم تشأ إراحة بال راين بل إذلاله خاصة بعد طريقة رحيله من الحفل التي قللت منها أمام ضيوفها.

انحنى السيد تكارون بأدب وهم بالمغادرة لكنها أوقفته: «شكرًا لك سيد تكارون، أتطلع للمزيد من المعلومات عن هذا الممر».

- في خدمتكِ مولاتي.

غادر تاركًا سحابة من الأفكار فوق رأسها، تعجبت من الممر وكيفية صنعه، كما أن راين مغرور حقًا، يبعث أباه ليطلب منها مرافقته، هل هو في الخامسة؟ ليكن رجلًا ويطلب بنفسه، عندها ستقوم بإذلاله.

***

لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى جاء مساعده زوبال يطلب الإذن لمقابلته، أرادت تأجيل الأمر قليلًا لتغيظه، ولكنها وافقت على الفور كي لا يصرف النظر، أرادت رؤية وجهه عندما تقوم بإحراجه، بضع دقائق ووقف راين أمامها.

جلست في شرفة غرفة الاستقبال تحيط بها الخادمات ووصيفتها، وما إن دخل راين حتى وقف الجميع، لا أحد يعلم ذلك لكن الأمر يغضبها كثيرًا؛ الاحترام الذي يكنه الجميع له.

لم تلتفت له: «ليغادر الجميع».

رحل الجميع باستثناء الحارس الذي وقف أمام باب الشرفة مانعًا أحدًا من الدخول.

انحنى راين في أدب: «مولاتي».

نظرت له لأول مرة منذ بضعة أيام، بدا عليه التعب كأنه لا ينام، هل يخشى هجوم وحش آخر أم أنه ببساطة مرهق؟

رونيم: «يمكنك الجلوس».

جلس أمامها ورفع بعض خصلات شعره فانعكس ضوء الشمس على عينيه ليبرز لونهما الأزرق أكثر، مما أربكها. حاولت تركيز انتباهها على شيء آخر فنظرت إلى الكتاب بيديها: «كيف أخدمك اليوم أيها القائد؟».

لم يتحدث بل ظل يحدق إليها كأنه يراها لأول مرة.

رونيم: «لماذا تنظر لي هكذا؟».

انتبه راين: «حسنًا، عذرًا مولاتي، أنا مرهق قليلًا».

- حسنًا، ماذا تريد؟

- النوم يجافيكِ.

وضعت الكتاب على الطاولة بجانبها: «مـ.. ماذا تقصد؟».

- حسنًا، أخشى على حياة مولاتي، جئت لكِ اليوم أطلب منكِ تغيير غرفة نومكِ، أتوسل إليكِ، لا أستطيع النوم من كثرة التفكير، ماذا لو هاجمك وحش آخر؟

خفق قلبها بقوة لم تعد تسمع شيئًا آخر، أخذت نفسًا عميقًا: «أنا.. حسنًا، لم أفكر في تغيير غرفة نومي، ولكـ...»

اقترب يجلس بجانبها: «دون لكن، مولاتي أتوسل إليكِ غيري الجناح الملكي إلى مكان أكثر أمانًا، لا أعلم ماذا سيحدث للوادي لو حدث مكروه لكِ».

قطبت رونيم جبينها: «آه.. الوادي نعم بالطبع، ما زلت تخشى رجوع جميع سكان الوادي لوحوش لو قضيت نحبي».

- نعم...

تعجب من ملامحها التي تحولت إلى الغضب ثم انتبه إلى ما قاله، هل تظن أنه يهتم بسلامتها من أجل الوادي فقط؟

راين: «حسنًا قصدت.. أعني أنا مسئول أمام الجميع عن سلامتكِ».

قاومت البكاء: «بالطبع».

أراد تصحيح فكرتها، لم يعنِ ذلك بل في الحقيقة يهتم بها كثيرًا، إلا أنه غير رأيه، لا يمكنه إخبارها بذلك، الأمر خطير، ربما يعرف أبوه ويأمره بالاستقالة، عندها لن يكون بجانبها.

راين: «أعتذر لكِ إن كنت سببًا في حزنك، لكني أحتاج مرافقتكِ إلى الممر».

بدا صوته أكثر جدية بعد أن كان ينضح بالحنان، ودت لو رحل من أمامها قبل أن تبدأ دموعها بالتساقط، لطالما عرفت أنه يهتم بها فقط من أجل اللعنة إلا أن سماع كلماته تلك آلمها.

رونيم: «حسنًا، يمكنك المجيء إلى غرفتي الليلة والذهـ...».

- عفوًا مولاتي سنثير الشبهات ربما من الأفضل استخدام الممر.

- حسنًا، كما تريد.

انحنى لها ثم غادر، أخذت نفسًا عميقًا، تعلم أنه لا يطيقها لماذا تشعر بالحزن يمزق قلبها؟

***

أخطأ ثانية فمزق الورقة بعنف ثم بدأ يكتب من البداية، نظر له زوبال: «هل أنت بخير سيدي؟».

راين غاضبًا: «نعم.. أنا بخير، لماذا لن أكون بخير؟».

قال مبتسمًا: «لأنه منذ عودتك من مقابلة الملكة وأنت غاضب تتحدث مع نفسك وتمزق الكثير من الأوراق».

- أنا لست غاضبًا، أنا فقط...

زوبال مبتسمًا: «نعم.. أنت ماذا سيدي؟».

انتبه راين إليه: «أنهِ عملك أيها المساعد ثم ارحل؛ اليوم انتهى».

ابتسم زوبال في خبث وقال بصوت منخفض: «أنت دائمًا تعود من عندها مستثار المشاعر».

وقف راين غاضبًا: «ماذا تقصد؟».

رفع زوبال يده: «لا أقصد شيئًا سيدي، أعني عادة ما تأتي بحال مختلف بعد مقابلة الملكة».

جلس راين محاولًا التحكم في مشاعره؛ زوبال نكي سريع الملاحظة، لا يريد أن يخطئ أمامه.

راين: «حسنًا.. كنت أناقش أمرًا مهمًّا مع رونـ.. املكة».

- يمكنك دعوتها باسمها الأول أمامي، أنا أعرف أنكما صديقان.

قطب راين جبينه: «نحن لسنا صديقين».

- راين لا تقلق لست مثل باقي سكان الوادي، أنا..

راين غاضبًا: «القائد راين، ما زلت مساعدي».

استسلم زوبال: «آسف سيدي».

عاد يطالع الأوراق أمامه: «حسنًا، ماذا تقصد بكوننا صديقين؟ نحن لسنا صديقين».

زوبال سريعًا: «ولِمَ لا، أنتما تقضيان الكثير من الوقت معًا أعني بسبب طبيعة عملك وكونها الملكة».

- آه.. حسنًا نحن لسنا صديقين، هذا ما عليك معرفته.

- حسنًا، كما تريد.

راين غاضبًا: «ليس كما أريد؛ إنها الحقيقة نحن لسنا صديقين، هل تعرف ماذا؟ أنا لا أطيقها حتى».

قال جملته الأخيرة بصوت مرتفع مما جعل زوبال يرفع يده ليهدئه: «حسنًا، حسنًا».

عاد ينظر لأوراقه ثانية ثم رفع رأسه ناحية الباب، هاجمه هاجس غريب أنها تقف في اللحظة التي أعلن فيها عن كرهه لها، لا يريد تعقيد الأمور بينهما، سيتقابلان في الممر الليلة ويمكنه التحدث معها دون مراقبة أبيه.

***

توقفت الخادمات أخيرًا عن طرح الأسئلة عن كنه هذا الباب؛ أخبرتهن أنه موجود من البداية ولكن كان هناك تمثال ضخم يخفيه، البعض رفض التصديق، لكنها لم تهتم حقًا، طمأنها أن الباب لا يستجيب إلا لها مما قلل توترها من أن تفتح خادمة فضولية الباب وتكتشف غرفة راين في نهايته.

بضع دقائق ثم تحرك الباب وخلفه راين يحمل سيفًا في يده.

راين: «مولاتي، آسف على التأخير».

- لا تقلق، هيا بنا.

حاول إمساك ذراعها لكنها توجهت مباشرة إلى الممر.

راين: «أخبرني السيد تكارون بكل شيء حـ...».

- تعني أباك.

- نعم، حسنًا.. هل أنتِ بخير؟

رونيم بحدة: «ولماذا لن أكون بخير؟ أردتني في الممر حسنًا، أنا هنا.. ماذا تريد؟».

شعر بغضبها وعرف أنه آذاها بحق.

راين: «حسنًا، أخبرني أبي عن غرف ظهرت لكِ، غرف خاصة بماضيكِ».

رونيم بنفاد صبر: «نعم أيها القائد».

- هل كانت أماكن حقيقية، أم مجرد ذكرى؟

قطبت رونيم جبينها: «ماذا تعني؟».

- أقصد هل تلك الأبواب توصلك إلى أماكن حقيقية، أم أن ما خلفها مجرد ذكرى تنسخ المكان؟

- لا أعرف.

- لذلك نحن هنا لاكتشاف المزيد عن هذا المكان.

لم تعقب رونيم، بل غرقت في أفكارها تلوم نفسها على عدم التفكير في تلك الفكرة.

أكمل راين: «كيف ظهرت لك الأبواب في المرة السابقة؟ هل فكرت في الأماكن التي تريدين رؤيتها؟ أم أنك ذكرت اسمها؟».

- لا هذا ولا ذاك، فقط ظهرت من العدم.

- هل تلك الأماكن تحمل ذكرى معينة؟ أعني الحديقة، هل اعترف لكِ خطيبكِ بحبه في هذا المكان أم عرض الزواج في غرفة المكتب؟

تسارعت ضربات قلبها: «لا هذا ولا ذاك؛ الحديقة قضيت بها معظم وقتي، وغرفة أبي دخلتها مرات معدودة طوال حياتي».

- حسنًا اقتربي، هلا وضعتِ يدكِ على هذا الحائط؟

اقتربت ووضعت يدها في المكان الذي حدده لها.

راين: «هلا تفكرين في حديقتكِ؟ أعني تذكري ذكرياتك بها».

أغلقت عينيها محاولة التفكير في حديقتها لكن وقوفه بجانبها لم يساعدها على التركيز، تشعر أنه يراقبها، فتحت عينيها ونظرت له؛ إنها محقة.

راين: «ما الأمر؟».

- لا أستطيع التركيز.

قطب راين جبينه: «لماذا؟».

رونيم بغضب: «بسببك أنت».

- لماذا؟ ماذا فعلت؟

رونيم بنفاد صبر: «لا شيء.. فقط لنرحل من هنا».

أمسك راين يدها: «هلا حاولتِ ثانية؟ أرجوك».

سحبت يدها خجلًا وودت لو اعترضت لكنها استسلمت واضعة يدها على حائط الممر.

بضع لحظات مرت: «حسنًا حاولت».

فتحت عينيها لتجده مبتسمًا بطريقة مريبة.

رونيم: «ما الأمر؟ هل جننت أم ماذا؟».

أمسك راين بكتفها ثم وجهها إلى الجهة الأخرى من الممر؛ باب يظهر من العدم.

تسارعت ضربات قلبها وخطت ناحية الباب، أمسكت المقبض ثم أدارته، ولكن قبل أن تفتحه وضع يده على يدها: «رونيم، إن وجدنا هذا المكان بقصرك القديم.. هلا..».

حدقت إلى يده ولم تلقِ بالًا بمحاولة الرد عليه وقاما معًا بفتح الباب.

«الحديقة مرة أخرى».

خطت على الحشائش الناعمة ثم نظرت إلى السماء: «حسنًا إنه الليل أيضًا في المملكة».

تفحص راين المكان حوله ثم أمسك بفروع أشجار يابسة ووضعها أسفل الباب كي يمنع انغلاقه، تأملته متسائلة.

راين: «إن أغلقنا الباب ربما يختفي ولا نستطيع العودة إلى الوادي».

ابتسمت رونيم له: «هل تخشى المكوث في أرض غريبة؟».

تطلع بوجهها: «عليكِ الحذر، للملوك عادة: أن يضموا إليهم الإمارات الضعيفة، ويؤلمني إخبارك أن الوادي ليس قويًا بعد».

رونيم ضاحكة: «يسعدني إخبارك أن أبي هو ملك تلك المملكة».

- وولية العهد هي أختكِ.

توقفت عن الابتسام وأشاحت بوجهها بعيدًا.

- أختي لن تقوم بالهجوم على الوادي واحتلاله.

- ربما لا لكنها ستطالبكِ بالخضوع لها.

- أنت تستبق الأحداث أيها القائد.

- من مهام الملك استباق الأحداث ليحمي شعبه.

- وأن تكون له نظرة متشائمة للمستقبل؟

- من الحمق الظن أن المستقبل يحمل ورودًا وطيورًا باسمة.

- قال أبي لي يومًا الملك الحق يكون متفائلًا، ولكن يعد للأسوأ.

- وهل تعدين للأسوأ؟

ابتسمت رونيم: «هل تحاول معرفة خططي المستقبلية؟».

انتهى راين من تثبيت الباب: «نعم، متى ستطلعين قائد حرسكِ وجيشكِ على خططكِ المستقبلية للوادي؟».

ابتسمت: «في المستقبل القريب».

همَّ بقول شيء لكنها أسرعت: «الآن ماذا نفعل؟».

نظر راين حوله: «الآن نختبر المكان: هل هو مجرد ذكرى أم مكان فعلي؟».

- كيف؟

- حسنًا، سنغادر الحديقة السرية ونرى: هل يوجد قصر أم مجرد الظلام؟

تحركا خارج الحديقة، نظرت حول المكان: «تلك هي الحديقة الرئيسية، إنها كالمتاهة لذلك اتبعني».

أمسك راين بيدها نظرت له ثم أكملت طريقها، لم يكن معتادًا السير خلف امرأة، في الحقيقة لم يكن معتادًا السير خلف أحد لكنه بعيد عن أعين أبيه الآن.

راين: «رونيم».

توقفت لتنظر له متسائلة.

بدأ صدره يعلو ويهبط وهو يفكر فيما سيقوله، اقترب منها أكثر، وقبل أن يفتح فمه سمع صوت صراخ. انتفض لكنه وضعها خلف جسده ليحميها.

راين صارخًا: «إلى الباب، الآن».

لكن قبل أن يتحركا بدأ حراس القصر في الظهور مشهرين سيوفهم.

صرخت رونيم: «إنها أنا الملـ.. الأميرة رونيم.. توقفوا».

توقف قائدهم ونظر إلى وجهها: «ليخفض الجميع أسلحتهم».

قالها ثم جثا على ركبتيه: «عفوًا سيدتي، لم أتعرف عليكِ في البداية».

- حسنًا، الأمور بخير أيها الحارس، هلا تركتنا نرحل؟

رفع الحارس رأسه: «عفوًا سيدتي لكن علينا إخبار الملك».

تبادلت النظرات مع راين وعرفت أن الليلة ستطول.

****

جلست في بهو القصر تنتظر استيقاظ أبيها، سيستغرق الأمر بعض الوقت، نظرت لرداء نومها وأطلقت سبة، أما أمكنها ارتداء فستان أو أي شيء آخر؟ وجدته يرتدي قميصًا فضفاضًا وبنطالًا، هو الآخر ليس بملابسه الرسمية، يبدوان وكأنهما كانا في خلوة، الآن تشبه الأميرات اللاتي تناقل العامة قصصهن الشائنة.

«اللعنة».

قالتها وهي تنظر إلى الحراس محاولة ضم ملابسها لتخفي صدرها، حاولت التخفي خلف جسد راين.

نظر لها مبتسمًا: «هل أخلع لكِ قميصي؟».

ضربت كتفه: «هل تظن الأمر مزحة؟ العودة إلى القصر مع رجل غريب بملابس نومي».

ضحك أكثر: «لم أطلب منكِ مقابلتي بملابس نومكِ».

همت بضربه لكن أباها دخل البهو، نظر لها ثم لراين، أسرعت رونيم إلى أحضان أبيها، ضمها محدقًا إليه مذهولًا.

رونيم: «أبي اشتقت إليك كثيرًا».

لم يتبدد تعجب الملك: «روني ماذا؟ كيف؟ لماذا لم تخبريني بقدومك؟ و..».

- أبي لندخل إلى إحدى الغرف، سأقص عليك كل شيء.

حملق في راين أكثر ثم قال: «أكرموا ضيفنا لقد جاء من مكان بعيد».

اقترب أحد الحراس وأشار له ليتقدم، شعر راين بالضيق؛ عليه مرافقتها، إنها ملكته وتقع مهمة حمايتها عليه.

انتهت من قص كل شيء على أبيها، الممر أو الـ «الراهرو، والرجل الغامض والغرف التي تظهر من العدم.

أنصت الملك لها حتى انتهت: «روني، ماذا يفعل القائد معكِ؟».

لم تعرف رونيم بماذا تجيب، أهملت الجزء حيث الراهرو ينتهي بغرفة نوم راين، أبوها سيحول الأمر إلى كارثة.

رونيم: «حسنًا، طلبت منه مرافقتي، لم أعلم ما الذي يقبع بالغرب و...».

- وماذا؟ ألم نتفق على تحجيم مشاركته في حياتك؟! أعطه لقبًا مشرفًا في المملكة واجعليه كالأعمى لا يعرف شيئًا عن أرضه.

- فعلت ذلك بالفعل، لكن الأمر...

- وما تلك الملابس؟! كيف ترتدين ذلك أمامه؟ ما الذي سيقوله سكان مملكتك.. روني.. لقد ربيتك أفضل من ذلك.

ضمت ملابسها والخجل يخنقها، لم تعرف ماذا تقول، إنه محق، ما كان عليها مقابلته بملابس نومها.

الملك: «روني.. أريـ...».

فُتح باب الغرفة فجأة لتظهر الملكة صارخة: «رونيم».

احتضنتها باكية، لم تشعر يومًا بالاشتياق لأمها، تشتاق إلى أبيها دومًا لذلك شعرت بالذنب.

- أمي، أنا بخير.

نظرت الملكة لها: «روني، لماذا أنت بملابس نومك؟! هل طردوكِ..أم أنـ...».

رونيم مسرعة: «كلا أمي أنا بخير، ربما من الأفضل أن يقص أبي عليكِ ما حدث، لكني أحتاج إلى فستان، الآن».

***

- شكرًا يا أمي.. كنـ...

الملكة: «نعم، كنت ماذا؟».

ابتسمت الملكة بركن فمها مراقبة راين من خلف الباب.

رونيم بغضب: «أمي من فضلكِ.. فقط...».

لم تكن تعرف ماذا تقول، الجميع محق، لم تكن نيتها، كيف تخبرهم أنه لا يطيقها، كيف تخبرهم أنه لا يحبـ...

الملكة: «إنه وسيم أعترف بهذا، هل هو جيد في الـ...».

صرخت رونيم: «أمي توقفي، إنه لا يحبني، أنت مخطئة».

أغلقت الملكة الباب ونظرت لابنتها: «هل أنت على علاقة برجل لا يحبك؟».

همت بالصراخ لكنها ضحكت يائسة من محاولة إقناع أمها بالعكس.

قطبت الملكة جبينها: «إذن، أنت لم تفعليها بعد معه».

نظرت لأمها ولم تعلق.

الملكة مبتسمة: «أنت لا تتغيرين».

- أمي من فضلك، أنا.. هل أنت بخير؟

- نعم بالطبع أنا بخير، وأختكِ التي لم تحاولي السؤال عنها بخير، الجميع بخير.

ابتسمت رونيم بطرف فمها: «كنت مشغولة بالدفاع عن شرفي».

الملكة: «المرة القادمة حاولي مقابلة قائدكِ بملابس رسمية وعندها لن تضطري للدفاع عن شرفكِ».

رونيم غاضبة: «أمي!».

ضحكت الملكة وفتحت الباب لتجد راين واقفًا ينتظر.

الملكة: «آه القائد راين، أليس كذلك؟».

- بلى سيدتي.

رونيم: «جلالة الملكة».

نظر لها راين.

رونيم: «الجميع يقول لأمي جلالة الملكة».

نظر راين لرونيم: «أنا لا أخضع إلا لملكة واحدة».

شعرت رونيم بالإهانة وهمت بالرد عليه لكن الملكة أسرعت: «من الجيد معرفة أنك تخضع لها».

قالتها ثم غمزت لابنتها وعلى شفتيها ابتسامة: «أعتمد عليك أيها القائد لحماية صغيرتي روني».

نظر راين للملكة وهز رأسه.

أكملت: «إنها -كما تعرف متهورة- لا تحترم الكثير من القوانين الملكية».

راين: «نعم اكتشفت ذلك بنفسي».

الملكة: «آه، أشعر بوجود قصة خلف تلك الجملة».

رونيم: «علينا الذهاب الآن أيها القائد».

نظر راين لها ثم للملكة: «نعم، من بعدكِ مولاتي».

أسرعت رونيم إلى أمها تحتضنها، ثم إلى أبيها الذي خرج توًا من غرفة مكتبه.

رونيم: «وداعًا يا أبي، علينا الرحيل قبل شروق الشمس».

هز الملك رأسه قائلًا: «نعم لكني أريد التحدث معكِ أولًا».

نظرت إلى راين ثم إلى أمها وهزت رأسها متبعة أبيها إلى غرفة مكتبه، ألقت نظرة أخيرة عليه بدأ التوتر يتملك منه.

الملك: «روني، تصرفتِ بطريقة مندفعة».

- أعرف يا أبي، أعرف.

- لا تخبري أحدًا عن الممر، خاصة هنا في المملكة، مهمتي كملك منح رعيتي الأمن والأمان، وأنت حطمت ذلك توًا.

نظرت متسائلة فأكمل أبوها: «حراسي إن عرفوا بالممر سيخبرون أصدقاءهم وعائلاتهم و... حسنًا الجميع في المملكة سيعرف، وسيعرفون أيضًا أنه في أي لحظة القصر مهدد باجتياح من قبل شعبكِ، خمني الذعر والتخبط، تخيلي معي إن عرف الناس هنا أن بعض سكان الوادي ما زالوا وحوشًا، تدبري معي الأمر».

سقطت رونيم على أقرب مقعد تلوم نفسها على غبائها واندفاعها.

الملك: «عزيزتي روني، لم أقصد مضايقتكِ لكن عليكِ التحلي بالذكاء».

- نعم يا أبي، لم أفكر مليًا؛ دفعني اشتياقي لكم.

- أعرف ذلك لكن حسنًا، حدث ما حدث لا داعي للومكِ طوال الليل، الآن أخبرتُ قائد الحرس أنكِ جئت عن طريق السحر لرؤيتي والملكة، وستغادرين بنفس الطريقة، وهذا السحر يجب إلقاؤه خارج حدود القصر.

- حسنًا، أنت سريع البداهة يا أبي.

ابتسم الملك: «خذي حذركِ من هذا الممر، لا تعرفين شيئًا عنه وتستخدمينه هكذا».

- هذا ما كنت أحاول فعله يا أبي، محاولة اكتشافه.

- فليكتشفه هذا الراين، أما أنتِ فابقي في مكان آمن.

- أبي «الراهرو» لا يخضع إلا لي، لا يمكن لأحد استخدامه.

تنفس الملك الصعداء: «لماذا لم تخبريني هذا منذ البداية؟ كنت أظن أنـ...».

- كنت تظن ماذا يا أبي؟ أنا لن أعرض وطني الحقيقي للخطر.

الملك مسرعًا: «كلا لستِ أنتِ، لكن سكان الوادي إن عرفوا بالممر ربما يحاولون أذيتكِ والوصول إليه».

- لا تقلق يا أبي إنهم مسالمون.

- حسنًا أنت ذكية وستتصرفين بحكمة.

رونيم باستسلام: «حقًا؟».

الملك غاضبًا: «بالطبع أنتِ ابنة أبيكِ، هل تظنينني وُلِدت بتلك الحكمة؟ بالطبع لا، تعلمتها وأنت أيضًا ستتعلمين الحُكْم والحكمة».

ابتسمت ووقفت تودع أباها: «حسنًا سأغادر الآن».

- وداعًا صغيرتي، لكن روني، هل تثقين بهذا الرجل؟

- نعم يا أبي أثق به.

زفر الملك: «لن أخبركِ كيف تتولين إدارة شئون بلادكِ لكنكِ ابنتي رغم كل شيء ولذلك آمرك بالتخلص منه في أقرب فرصة».

ابتسمت رونيم بركن فمها: «حسنًا، سأفكر في الأمر».

غادرت الغرفة لتجد راين واقفًا بجانب الباب وأمها تتحدث معه أو ربما تستجوبه.

رونيم: «حسنًا وداعًا يا أمي».

- وداعًا صغيرتي، ما زلت أريد إيقاظ أختكِ لتراكِ، ستحزن كثيرًا غدًا.

- سأزورها قريبًا.

نظرت الملكة لراين: «أو ربما نزوركِ نحن».

أشاح راين بوجهه بعيدًا.

ابتسمت رونيم لأمها ثم التفت إليه: «هيا بنا».

الملكة: «إلى أين ستذهبين؟ سأرافقكِ».

تأبطت ذراع راين مما جعله يجفل، كتمت رونيم ضحكتها وهي ترى نظرات أبيها الغاضبة لأمها.

الملك: «كما أخبرتك، سندور من الخلف كي لا يراك الحراس».

راين: «حسنًا، لنأمل ألا يغلقوا الباب».

وصل الجميع للحديقة السرية التي لم تعد سرية الآن، الجميع يعرف بها، فكرت رونيم بذلك وهي تدلف لمكانها المفضل، ودعت عائلتها ثم دخلت إلى الممر.

- هل أنتِ بخير.

رونيم بشرود: «نعم، أنا بخير».

راين مبتسمًا: «هل تعرضتِ للتوبيخ بشدة».

توقفت عن السير لتنظر له غاضبة: «أنت أحمق».

ضحك راين بشدة: «هل تتذكرين نظرة أبيك لما وجدكِ بملابس النوم برفقتي؟».

لكمته بقوة على صدره لكنها تألمت، توقف عن الضحك ثم أمسك بيدها: «آسف».

رونيم غاضبة: «أنت وغد، ما كان عليَّ الاستماع إليك، أبي يظن أني حمقاء للوثوق بك وأمي تظن أننا نتـ...».

توقفت عن الكلام وهي تنظر له.

راين مبتسمًا: «إنها لا تشبهكِ».

- نعم، أختي من تشبهها.

- لم أعنِ في الشكل، أقصد أنها ليست خجولة مثلكِ.

نظرت له وقلبها يخفق بقوة: «إنها الملكة لماذا ستخجل؟!».

- أنتِ أيضًا ملكة.

- نعم، لكن أمي ملكة منذ وقت طويل، لذلك لا تهاب شيئًا.

- هل ستكونين مثلها في المستقبل؟

- وهل هذا شيء سيئ؟

أكمل راين السير ثم التفت إليها: «نعم سيكون شيئًا سيئًا، لا أريدكِ مثلها».

رونيم بحدة: «تهذب وأنت تتحدث عن أمي أيها القائد».

نظر لها راين باسمًا: «آسف، لا أتخيلكِ تتحدثين بتلك الجرأة مع رجل قابلتِه توًا».

تسارعت ضربات قلبها وهي تتذكر طريقة أمها: «راين، عن ماذا تحدثت معك؟».

- لا شيء.

أمسكت رونيم بذراعه: «لا شيء؟! أخبرني ما الذي قالته؟».

أمسك راين خصرها وجذبها إليه: «أرادت معرفة إن كنا...».

أبعدته رونيم صارخة: «إن كنا ماذا؟»

- إن كنا أصدقاء.

- حقًا!

راين مبتسمًا: «لماذا؟ ماذا تظنين أنها قالت لي؟».

تذكرت حديث أمها معها في الغرفة فتقلصت معدتها: «أنا متعبة وأريد النوم، هيا بنا».

سارت مسرعة لغرفتها وخلفها راين حتى وصلت إلى الباب وأمسكت مقبضه لكنه وضع يده ليمنعها.

- رونيم من الأفضل ألا تخبري أحدًا بمغامرتنا تلك.

رونيم مبتسمة: «آه.. تعني أباك».

قطب راين جبينه: «نعم.. روني».

رونيم غاضبة: «لا تلقبني بهذا الاسم، أبي فقط من يناديني بهذا الاسم».

- آه.. حسنًا.

فتحت الباب ثم دلفت، عندها صرخ راين: «تصبحين على خير يا روني، أقصد مولاتي».

فتحت الباب لتسبه لكنه أسرع مغادرًا، لعنته غاضبة ثم أغلقت الباب للمرة الثانية.

ألقت نظرة على شرفتها ورأت أن الشمس لم تشرق بعد، تمددت على الفراش تتحسس رداء أمها ثم تذكرت وجه أبيها عندما رآها بملابس نومها، وضعت الوسادة فوق وجهها وصرخت، كيف تكون بهذا الغباء؟ ربما عدم اهتمام راين بها جعلها لا تلقي بالًا بما ترتديه أمامه، شيء آخر خاطئ تفعله، تكورت تحت الغطاء وأغلقت عينيها، ستحاول الاستغراق في النوم لعلها تنسى هذه الليلة المخزية.

***

تقلب راين في فراشه، حاول النوم لكن دون فائدة، من الأفضل الاستيقاظ وفعل شيء مفيد، لن يغمض له جفن ما دام حظي بمغامرة مثيرة معها، رأسه يعيد الأحداث مرارًا وتكرارًا دون توقف، ربما يجعلها عادة مقابلتها كل يوم في الممر بعد أن يخيم الظلام على الوادي، بتلك الطريقة لن يعرف أبوه أبدًا عما يدور بينهما، ربما الممر ليس شيئًا سيئًا، ربما يظهر بابه في غرفة نومه لأنه يحتاجها، تعجب لأفكاره ثم غادر الفراش وبدأ في ارتداء ملابسه متسائلًا هل تحول لأحمق مثل رومين؟ هل سيكرر اللعنة ثانية؟

الفصل الرابع

(خلف أبواب الراهرو)

ألقت شبان نظرة سريعة تحصي عدد المنتظرين خارج القصر لمقابلة الملكة ثم دخلت.

شبان: «صباح الخير مولاتي».

رفعت رونيم رأسها لتعلو ابتسامة باهتة ثغرها.

شبان: «ليلة أخرى من الأرق مولاتي؟».

تذكرت مغامرتها ليلة أمس: «نعم الأرق، ربما عليَّ أخذ دواء ما».

- إن سمحت لي مولاتي يمكنني استدعاء السيد تكارون.

أسرعت: «كلا، لا داعي سأكون بخير، أخبريني كم عدد الحضور بالخارج؟».

- ما يقرب من عشرة أفراد، معظمهم فلاحون، أهمهم هو عمدة القرية القريبة منا، أظنه يريد إقامة صفقة مع الوادي.

هزت رأسها: «حسنًا لا تدخليه أولًا؛ لنبدأ بواحد من الفلاحين».

همت شبان لتعترض، لكن رونيم أكملت: «وفي الأثناء هلا طلبتِ من الوزير أقروم الحضور؟».

فهمت ما تقصده الملكة فأسرعت إلى الخارج وأمرت الحارس بتنظيم الدخول.

وقف المزارع أمام رونيم وبجانبه أحد الحراس، لم تفهم مبالغة راين في وضع هذا العدد من الحراس حولها.

تنحنح المزارع: «مولاتي».

انتبهت رونيم إليه: «أهلًا بك، هلا تعرفني بنفسك سيدي؟».

تعجب الرجل من طريقتها المتواضعة: «نعم، أنا أدعى جاروم».

- كيف أخدمك اليوم سيد جاروم؟

- حسنًا كيف أقول هذا؟ لكن عليكِ فعل شيء ما للتحكم في وحوشكِ سيدتي.

تبادلت رونيم النظرات مع الحارس الواقف بجانبه، فقام الأخير بوكزه: «تهذب يا رجل».

رفعت رونيم يدها لتوقف الحارس: «عفوًا سيدي، لا أفهم».

زفر الرجل: «الوحوش؛ إنها تخرج ليلًا تهاجم حيواناتي وأنا كما ترين رجل فقير أعتمد على الماشية لإطعام صغاري».

رفعت يدها تمنع الرجل من الاستمرار ثم أشارت لأحد الحراس وقالت هامسة: «أحضر القائد راين، الآن».

ثم قالت لحارس آخر: «هلا أحضرت مقعدًا للسيد جاروم؟ تفضل سيدي، هلا أفضت إليَّ بمزيد من المعلومات لأتمكن من مساعدتك؟».

نظر الرجل للحارس وهو يضع أسفل منه مقعدًا ثم بدأ في الحديث.

«مولاتي، أنا وعائلتي المكونة من ستة أبناء مع أمي وزوجتي نعيش بمزرعة صغيرة بالقرب من الوادي، بل يمكنني القول إن منزلي أقرب المنازل إلى المملكة، لكن منذ مجيئك مولاتي و.. والأمور تغيرت خاصة في الليل، نحن نسمع صوت عواء وحوش خارج المنزل ولا نستطيع فتح نافذة نستطلع الأمر».

توقف الرجل عن الحديث لأن باب الغرفة تحرك وظهر راين يعدل من سترة بذلته.

وقف بجانبها ونظر إلى الرجل ليكمل: «تطور الأمر مولاتي و.. وبدأت الماشية في الاختفاء نجدها في التلال القريبة مشوهة، الأمر الغريب الذي أثار رعبنا أن الماشية لم يؤكل منها شيء فقط قُتلت وشُوهت».

راين: «أين منزلك سيدي؟».

- في الجهة الغربية سيدي، مزرعتي الأقرب إليكم.

تقدم راين: «سآمر أفضل رجالي بمرافقتك والبحث عن أصل الموضوع».

نظر الرجل إليه: «تقصد قتل الوحوش».

ابتسم راين: «وقتل الوحش إن وُجِد».

قفز الرجل فرحًا متَّبعًا أحد الحراس الذي أشار إليه راين ثم عاد وأشار للحراس ليغادروا، عندها خفق قلبها مفكرة فيما ينوي فعله، أغلق الباب خلف الحارس الأخير واقترب منها مبتسمًا: «كيف حالكِ بعد ليلة أمس؟».

رونيم غاضبة: «لست بخير، لا أستطيع نسيان كيف نظر لي أبي».

رفع يديه: «ليس لي يد فيما فعلت، لذلك...».

تنفست لتهدئ من نفسها: «الوحوش، إنها كارثة علينا التعامل معها».

قطب راين جبينه: «شيء غريب حقًا خروج الوحوش خارج الوادي، دعينا لا نقفز إلى استنتاجات، لنتمهل خاصة وأن الوحوش تأكل ولا تشوه».

- ماذا تقصد؟

أشاح وجهه بعيدًا: «عندما كنت وحشًا اعتدت اصطياد الفرائس لأطعم نفسي أو من معي فالوحوش تقتل لتأكل أما البشر فهم يشوهون».

لاحظت رونيم الأسى في صوته فحاولت إبعاد تفكيره عن الأمر: «لتهتم بهذا الموضوع في سرية تامة، راين من فضلك، لا أريد لهذا الخبر الانتشار».

هز رأسه وهم بالمغادرة لكنه توقف: «لماذا؟ أعرف أنك تهتمين بهذا المزارع، لكن لماذا في سرية؟».

ابتسمت رونيم؛ يعجبها أنه يلاحظ كل شيء تفعله.

رونيم: «حسنًا الأمر ليس سرًا، أريد ضم القرى المجاورة لنا...».

اقترب منها غاضبًا: «لماذا؟!».

رونيم بحزم: «لأن الوادي لا يكفيني، أريد حكم مملكة وليس مجرد ممر بين جبلين، أريد تأمين الطعام لنا بمعنى آخر، أريد التوسع خارج الوادي».

تنفس راين وبدا عليه الغضب أكثر: «لكن مولاتي، الممالك الأخرى ليست غبية، بالتأكيد سيقفون في طريقك، ربما يبعثون بجيش لقتالكِ».

ابتسمت وهي تجلس خلف مكتبها: «اتركهم يأتون، يمكنني محاربتهم كما أن لي قائدًا كالوحش يمكننا معًا هزيمة الجميع».

حاول التحدث، إنه غاضب لكن طريقة قولها كالوحش أشعرته بالتميز، في تلك الحالة لم يمانع فابتسم: «مولاتي».

هَمَّ بالمغادرة لكن رونيم أسرعت: «هلا أمرت الحراس بإدخال صاحب المشكلة التالية؟».

نظر لها غاضبًا لكنه انحنى: «تحت أمركِ مولاتي».

خرج وأمر الحراس بالدخول، تذكر كلماتها عن كونه وحشًا وابتسم، ثم تذكر والدتها، تشبهها قليلًا رغم كل شيء خاصة وهي تتحدث بالداخل، فكر في تلك الأفكار قاطعًا الممر إلى غرفته ليعالج المشكلة التي أمامه.

- مولاتي.

قالها الوزير أقروم محنيًا رأسه قليلًا.

- سيدي، كيف حالك اليوم؟

- بخير مولاتي، أخبرتني وصيفتكِ بالأمر.

رونيم مسرعة: «نعم، أنتظر عمدة القرية التي تحدثنا بشأنها».

أشارت للحارس ليسمح للرجل بالدخول.

أحنى الرجل رأسه بأدب: «تحياتي للملكة المقدسة».

ارتعشت وهي تسمع كلمات الرجل، أحدهم لقبها بالملكة المقدسة، بالتحديد الزائر الغريب من «الراهرو».

رونيم: «تحياتي لك سيدي، هلا قدمت نفسك؟».

- أُدعى مجروان وأنا عمدة أقرب القرى إلى المملكة، قريتي تدعى «أدوري» وتعني الخصوبة.

ابتسمت رونيم: «لك تحياتي سيد مجروان، كيف يمكنني خدمتك؟».

ابتسم السيد مجروان: «في الحقيقة، أنا هنا لتقديم خدمة لمولاتي».

- كيف؟!

اقترب السيد مجروان من مكتبها: «قريتي ليست صغيرة الحجم والأرض خصبة، يمكنني إطعام الوادي كله».

نظرت له رونيم: «من قال لك إننا نتضور جوعًا؟».

- القوافل القادمة كل أسبوع من الميناء إلى الوادي سيدتي.

قطبت جبينها وعرفت أنها تتحدث مع رجل ذكي.

هَمَّت بقول شيء ما لكن الوزير أقروم تدخل: «وما العيب في وصول قوافل أسبوعية تحمل للوادي الطعام والأقمشة والدواء والذهب والفضة؟ ملكتنا غنية وهي مدللة أبيها، فأين المشكلة؟».

السيد مجروان بخبث: «وهي أيضًا تود لو تصبح ملكة عصامية، ليست مجرد أميرة تحت ظل والدها».

هم السيد أقروم بالرد عليه ولكن رونيم أشارت له: «نعم أنت محق سيدي في كل كلمة، لكن فكر معي لماذا سأترك التعاقد مع أبي الملك لأعقد تعاقدًا مع -اعذرني في لهجتي- عمدة لقرية صغيرة؟ حتى وإن كانت أرضه خصبة».

ابتسم السيد مجروان وشعر باقتراب هزيمته: «عفوًا مولاتي لم أقصد، أريد التعاون مع سكان الوادي، سيزرع رجال قريتي الخضراوات وتطبخها النساء، ويمكننا بذلك توفير الطعام والعمل للجميع».

ابتسم أقروم وهم بالتفاوض مع الرجل ولكن رونيم بحزم: «كلا».

نظر لها أقروم بتعجب، وبدأ صدر السيد مجروان بالصعود والهبوط بقوة حتى ظنت أنه سينفجر لذلك أضافت: «أنا لا أريد عمالًا ومزارعين، أنا أريد شركاء في المملكة».

قالتها ثم تركت مقعدها وتقدمت إلى الرجل، بالطبع شعرت بحارسها يعترض لكنها لم تلقِ بالًا: «سيد مجروان أي الممالك تتبعها قريتك؟».

تفاجأ الرجل من سؤالها وبدأ يفكر: «حسنًا، نحن الأقرب لمملكة معيوران».

- جيد، لكن إن أراد رجل ما السفر من مملكة معيوران إلى هنا فكم يومًا تستلزم الرحلة؟

حك الرجل ذقنه وأخذ يفكر قليلًا: «ربما ثلاثة أسابيع أو أكثر».

رونيم مسرعة: «لكن سفن أبي تأتي لي كل أسبوع من أقرب ميناء لنا».

فتح الرجل فاه لا يعلم ما الذي تقصده فأكملت: «أخبرني سيد مجروان، لنفترض أن هناك غزاة حاولوا تدمير قريتك، أي المملكتين ستهب للمساعدة؟».

- مملكة معيوران بالطبع، نحن ندفع الضرائب كل عام.

رونيم مسرعة: «لكن الرحلة تستلزم ثلاثة أسابيع بسبب الجبال والوديان، هذا بالطبع على أقل تقدير».

- ربما أبعث ببرقية للملك أنمار ليناشد الملك يسرجين ليبعث الأخير لي بسرية صغيرة من الجنود للدفاع عن القرية.
- نعم بالطبع افعل ذلك، هذا إن أجاب الملك أنمار على خطابك أو اهتم وبعث لأبي ببرقية يطلب منه استخدام جنوده، هذا إن استجاب أبي أصلًا، أعني أبي رجل عظيم لكنه مزاجي بعض الشيء ولا يحب تلقي الأوامر من أحد.

في استسلام قال السيد مجروان: «لا أعلم لكن كما تأمر مولاتي».

جلست رونيم وعلى شفتيها ابتسامة النصر: «لا سيدي، أنا هنا لتنفيذ أوامر رعاياي هذا إن كانوا منهم».

ابتسم الرجل وهز رأسه: «نحن رعاياك سيدتي».

- حسنًا، ستدفع لي الضرائب من الآن وصاعدًا، وستجتمع مع السيد أقروم ليخبرك أي المحاصيل نحتاج.

انحنى الرجل في تهذيب ثم هم بالخروج من الباب لكنها أسرعت: «سيد مجروان، هل تود إعفاءك من الضرائب لمدة خمس سنوات قادمة؟».

نظر لها السيد أقروم وبدأ القلق يظهر على وجهه.

السيد مجروان فرحًا: «بالطبع، أحب ذلك».

- حسنًا، أريد ضم ثلاث قرى على الأقل مع نهاية العام، إن وفرت لي تلك القرى، سأعفيك من الضرائب لخمس سنوات قادمة.

اقترب موشكًا على القفز من السعادة: «نعم يمكنني المحاولة، أقصد سأفعل ذلك، سأذهب للقرى المجاورة ولن أعود حتى أوفر للملكة ما تريد».

ابتسمت رونيم وأشارت له ليخرج.

نظر لها أقروم بإعجاب: «مولاتي، كنتِ رائعة».

- حسنًا، لدي عقل وأحب استخدامه في بعض الأحيان.

ابتسم السيد أقروم فأكملت: «تأكد من التزامه بالاتفاق، وليؤدِّ شباب قريته خدمتهم العسكرية هنا في الوادي، لكن افعل ذلك بعد ضم القرى الثلاث».

انحنى أقروم وهمَّ بالخروج ولكنها تذكرت شيئًا: «وتأكد أيضًا من إعطاء أسر الجنود رواتب مجزية».

تراخت في مقعدها وقالت محدثة نفسها: «كان هذا الرجل صعبًا، أتمنى أن يكون التالي سهلًا بعض الشيء».

***

وضعت رأسها على الوسادة تتمنى الاستغراق في النوم تحتاج للراحة، تذكرت راين، حسنًا لن يزعجها اليوم، لقد غير رأيه وقرر الذهاب مع رجاله إلى المزرعة ليتبين أمر الوحش.

تخيلت إصابته بمكروه فخفق قلبها، حاولت طرد تلك الفكرة من رأسها والنوم لكن هيهات؛ اعتدلت لتنظر إلى باب الراهرو وفكرت لقد قادها الممر إلى أماكن تعرفها، هل يمكن أن يقودها إلى مكان لا تعرفه، لتحاول تجربة الأمر، لتذهب إلى الممر وتحاول التفكير براين ربما يفتح لها الراهرو بابًا تطمئن عليه وباقي الجنود بالطبع.

أسرعت مغادرة الفراش، أمسكت المصباح ودخلت إلى الممر، وضعت يدها على أحد الحوائط وأغلقت عينيها بدأت التفكير في راين لكنها توقفت هل تفكر فيه أم تفكر في منزل المزارع؟ ربما عليها التفكير في كليهما، كلا، لتصفي ذهنها ستفكر في راين، نعم بضع دقائق ثم شعرت باختلاف الملمس تحت يدها، فتحت عينيها لتجد بابًا خشبيًا أبيض اللون، أخذت نفسًا عميقًا ثم فتحته بقوة.

محدقة في الظلام رفعت المصباح لتنير الطريق أمامها، بدأت تتضح الرؤية، ممر ضيق في منزل متهالك، أخرجت رأسها أكثر فشهقت، راين يقف أمامها وصدره يعلو ويهبط ممسكًا في يده إبريقًا وكوبًا، حملقت به محاولة تجميع أفكارها، ولكنها لم توفق في قول شيء.

راين: «مـــ... كيف، أنت هنا؟».

- أنا، لقد أردت تجربـــ...

لم تكمل جملتها، لأنه وضع ما بيده ثم دفعها بقوة إلى الممر مغلقًا الباب خلفه.

- ماذا كنتِ تقولين؟

- حسنًا، أردت إجراء تجربة، هل يفتح لي الممر أماكن مألوفة، أم أي مكان أريده؟

- حقًا؟

- نعم، المكان غير مألوف لي وانظر نجحت التجربة.

- وفكرت في هذا المنزل، لأن؟!

- أنت، وباقي الجنود بالطبع.

- حقًا، لكن ألم أطلب منكِ عدم دخول الممر بمفردك؟».

نظرت للممر: «أنا بخير، لم يعد يرعبني، هلا تترك جسدي؟».

- كلا.

- لماذا؟!

قربها راين أكثر حتى شعرت بأنفاسه الدافئة على وجهها لكنه تركها ليعتدل: «الأمر ليس مزحة ربما يصيبكِ مكروه، ماذا سيحدث لو رآك أحد الجنود أو المزارع؟».

- لم أفكر في ذلك، فقط أردت أن...

اقترب راين منها ثم وضع يده على رأسها: «لا تفعلي هذا ثانية، ليس من أجلي أو من أجل أي شخص آخر، لا تستخدمي الممر كثيرًا، أتوسل إليكِ».

هزت رأسها فتراخت يده ثم قال: «هلا فتحتِ الباب من أجلي؟».

تذكرت أنها الوحيدة التي تستطيع استدعاء الأبواب بالممر فوضعت يدها ليظهر الباب.

ابتسم لها ثم خرج من الباب: «اذهبي لغرفتكِ الآن، وروني شكرًا لكِ».

أغلق الباب سريعًا، ضربت رأسها بيدها وشعرت بالخجل مما فعلته توًا، الآن لن تحظى بالنوم.

***

الوزير أقروم: «أحسنتِ الاختيار مولاتي؛ العمدة مجروان رجل نشيط بحق، مر أسبوعان فقط وانضمت لنا ثلاث قرى والمزيد قادم».

هزت رأسها راضية: «جيد، جيد لكن تأكد من التزامهم بالاتفاق».

- لا تقلقي مولاتي، رأى الجميع السفن تنقل للوادي البضائع الثمينة، لذلك يسعون للانضمام إلينا.

نظرت للخرائط أمامها: «لكن يبقى علينا ضم المزيد قبل فصل الشتاء».

- صبرًا يا مولاتي، كل شيء يحتاج إلى الوقت.

- أعلم هذا لكن، الميناء هو ما نحتاجه حقًا.

أشار أقروم للخريطة: «لو استمر توسعنا بهذا المعدل فسنمتلك ميناء «اليرقمون» في خلال ثلاث سنوات أو أقل».

- نعم، هذا إن استمرت القرى في الانضمام إلينا، كما سنحتاج إلى أموال طائلة لنمهد الطرق هذا إن تركتنا باقي الممالك وشأننا.

حك أقروم ذقنه مفكرًا: «ربما تطلبين المساعدة من جلالة الملك».

- كلا لا أريد طلب المزيد، أريد الاستقلال.

هز أقروم رأسه: «سنجد حلًا مولاتي، سنجد حلًا».

انحنى ورحل، طوت الخرائط ولكن الباب فُتِح وبرز راين وعلى ملامحه أمارات الضيق.

- مولاتي.

وما إن رآه الحراس حتى خرجوا جميعًا، شيء اعتادوا فعله في الفترة الأخيرة، لا تعلم هل أمرهم بذلك أم أنهم قرروا الخروج لأنه دائمًا ما يطلب منهم فور دخوله.

انتظرت خروج آخر حارس: «ما الأمر؟».

جلس على أقرب مقعد: «لن تصدقي ما اكتشفته توًا».

قطبت جبينها: «ماذا؟».

- هل تتذكرين المزارع الذي ادعى أن الوحوش خرجت من الوادي لتهاجم مزرعته.

هزت رأسها، فأكمل: «حسنًا إنه يكذب».

وقفت متعجبة: «يكذب! كيف؟ ألم تجد حيوانات مزرعته ممزقة؟».

راين مسرعًا: «نعم مشوهة لكن بفعله هو، بعد أن بنينا له أسوارًا عالية تقيه ومزرعته من الوحوش كلفت أحد الجنود بمراقبته من بعيد، وفي أحد الأيام، وجده الجندي يمزق أحد أبقاره بدم بارد».

جلست أمامه: «لكن لماذا؟!».

- هذا ما أنوي اكتشافه.

تنهدت رونيم بيأس: «وكأن هذا ما ينقصنا».

ابتسم راين بسخرية: «ما الأمر؟ حكم مملكة مجهد لسموكِ».

- نعم مجهد، هل تريد تبديل الأماكن؟

وقف راين: «ربما من يعرف؟ أنا قائد أفضل منكِ».

ضحكت رونيم: «حسنًا، اجلس على المقعد وأخبرني، ما أول قرار ستأخذه؟».

أشارت إلى المقعد خلف المكتب، نظر لها راين ثم قرر أن يلعب لعبتها قليلًا فجلس.

رونيم مبتسمة: «حسنًا ما أول قرار لك؟».

قطب راين جبينه: «مولاي، لقد نسيت قول مولاي».

ضحكت كثيرًا: «حسنًا ما أول قرار لمولاي الملك؟».

ابتسم متكئًا على مسند المقعد: «حسنًا تغيير هذا المقعد، أنت ضئيلة الحجم، وقصيرة أيضًا».

ضحكت: «ماذا؟! حجمي طبيعي، أنت من تبدو كشجرة عملاقة».

- كلا، أنت كقزمة.

- كن جادًا، الآن ما أول قرار لك؟

توقف عن الابتسام: «حسنًا، أول قرار سيأخذه من يجلس مكاني: التخلص من التهديدات».

ابتسمت بركن فمها: «هلا تسهب مولاي؟».

حدَّق إلى عينيها: «سأقوم بإعدامكِ».

فوجئت رونيم: «هكذا دون مقدمات؟ أو أي محاولات لعمل هدنة أو وثيقة سلام؟».

أشاح راين نظره بعيدًا وبدأ في تنظيم المكتب أمامه: «كلا، ستبقين دومًا تهديدًا لي، لذلك علي التخلص منكِ».

توقفت عن الابتسام: «أبي لن يتركك تفعلها».

- لن أفعلها وأبوكِ بالحكم، سأنتظر تولي أختكِ وعندها سأنفذ خطتي.

- أختي لن تسمح لك، ستقوم بإرسال جيشها لدكِّ الوادي.

راين بحزم: «كلا لن تفعل، لن تغامر».

- أنت لا تعرف ميرانا، أنت فقط...

- أنا ماذا؟

قطبت جبينها: «لأنها أخطأت مرة بحقي، لا يعطيك الحق بالحكم عليها بتلك الطريقة».

أحس بأنه ضايقها: «لا أقصد أنا.. حسنًا أنتِ محقة، لم أقابلها يومًا لذلك ليس من حقي إصدار حكم عليها».

همت رونيم بقول شيء ولكن طرقات على الباب أوقفتها، أسرع راين وقفز عن مقعده بطريقة جعلت رونيم ترتبك.

فُتِح الباب لتبرز وصيفتها شبان، همت بقول شيء ما لكنها توقفت تنظر للقائد محاولًا الوقوف متزنًا.

شبان مرتبكة: «هل أعود في وقت آخر؟».

رونيم: «لماذا؟ نحن لا نفعل شيئًا».

ندمت على كلماتها؛ الآن وصيفتها ستشك أكثر.

نقلت شبان نظراتها بينهما: «حسنًا، الغداء جاهز مولاتي».

رونيم مبتسمة: «حسنًا، سأحضر في الحال».

أحنت شبان رأسها وهمت بالمغادرة لكنها عادت: «هل أغلق الباب أم أتركه؟».

- اتركيه.

قالها راين سريعًا مما جعل شبان تنظر له بشك، ألقت نظرة على رونيم تنتظر منها الإجابة.

- اتركيه يا عزيزتي فأنا قادمة خلفكِ.

غادرت شبان فالتفت له غاضبة: «أيها الأحمق»، ثم أكملت صارخة: «الآن تظن أننا كنا نفعل شيئًا ما».

ضحك راين: «مثل ماذا؟ تبادل القبلات؟».

أرادت سبه لكنها لم تجد الكلمات المناسبة فغادرت الغرفة.

***

ألقت جسدها على الأريكة مراقبة النجوم، نظرت للخطاب بين يديها وابتسمت، ما زالت أحداث اليوم تتصارع داخل رأسها، انضمام المزيد من القرى للوادي شيء جيد لكنها تخشى رد فعل الملوك من حولها كما قال راين، راين الأحمق، تذكرت ما فعله أمام شبان وابتسمت، ثم تذكرت المزارع وما يفعله وتساءلت عن سبب يجعله يفعل ذلك في حيوانات مزرعته لكنها لم تجد، لمعت في رأسها فكرة:

«هل من الممكن أن يفعل هذا؟»، راجعت نفسها: «كلا لا يمكنه، إنه ليس أحمق أو ربما هو».

عندها انتفضت ثانية وقررت الذهاب إلى راين ومناقشته في تلك الفكرة المجنونة.

أمسكت بمقبض الباب لتفتحه، حذرها من استخدامه إلا في حالة وجود أزمة، حسنًا ستعتبرها أزمة. قطعت الممر ثم توقفت أمام الباب الذي يوصله لغرفة نومه، تنفست ثم دفعت الباب الثقيل مخلفة صوت احتكاك منخفض.

أدخلت رأسها أولًا ثم دلفت مغلقة الباب خلفها، تفحصت الغرفة وتساءلت أين هو ثم خطرت في رأسها فكرة ألا يكون بمفرده ربما يستقبل أحدًا ما صديق مثلًا أو صديقة، ضايقتها الفكرة، قررت النزول إلى الطابق السفلي والبحث عنه لكن باب دورة المياه تحرك كاشفًا عن راين مجففًا رأسه، جفل ما إن رآها: «اللعنة ماذا تفعلين هنا؟».

ارتبكت وهي تنظر إلى جذعه العاري ثم أدارت وجهها بعيدًا: «أ.. أردت التحدث معك في بعض الأمور المهمة».

أسرع يرتدي قميصه: «أما أمكنك الانتظار غدًا؟».

- آسفة لكني أردت التحدث معك.

راين غاضبًا: «حسنًا، يمكنكِ الالتفات الآن».

راقبته يغلق أزرار قميصه فأكمل غاضبًا: «حسنًا تحدثي، أريد النوم».

- من فضلك لا تغضب أنا فقط...

راين صارخًا: «أنتِ ماذا؟ أنتِ محظوظة في العادة أخرج عاريًا من دورة المياه».

انفجرت ضاحكة: «حقًا!».

هدأ غضبه قليلًا، راقبها تجلس على فراشه: «آسفة مرة أخرى».

جلس بجانبها: «ما الأمر المهم إذن؟».

- آه.. نعم بخصوص المزارع، هل تظن الملك أنمار دفعه لفعل تلك الأمور؟

توقف راين عن تجفيف رأسه: «ربما لِمَ لا؟ لكن ما الفائدة التي ستعود علينا إن أثبتنا ذلك؟ إنه ملك ولا نستطيع المساس به».

تراخت في جلستها وبدا وكأنها تستعد للنوم: «الوغد، لطالما حذرني أبي منه».

راين غاضبًا: «لذلك كنتِ تتمايلين معه طوال الحفل».

ضيقت عينيها: «أتغار أيها القائد؟».

قطب جبينه: «كلا، لكني لا أحب أفعال النساء».

- نعم بخصوص أفعال النساء، استعد لاستقبال أمي بعد غدٍ، سأحضرها مع ميرانا خلال الممر.
- ماذا؟! هل هذا وقت مناسب؟
- لقد طلبت زيارتي لذلك...
- كيف ستفسرين للجميع ظهور أمكِ وأختكِ في القصر فجأة؟

فوجئت بسؤاله: «لا أعلم، ربما أخبرهم أنهما جاءا عن طريق السحر مثلما قال أبي عنا، ولكن ما يهم أنك ستتعرف إلى ميرانا».

رفع حاجبه مدخلًا قميصه بالبنطال: «حسنًا».

رونيم بإحباط: «لست متحمسًا، تبدو غاضبًا».

راين بنفاد صبر: «هل تعرفين لماذا؟ أولًا تقتحمين غرفة نومي وتطلبين المناقشة في أمور تافهة، ثانيًا.. تفعلين هذا بعد انتهاء ساعات العمل، خاصة وأنا متعب وأريد النوم، ثالثًا.. لا أهتم بمقابلة أختكِ لأني أعرف أنها لن تكون مختلفة عن أمكِ، هذا بالطبع لا ينقص من احترامي لهما شيئًا، رابعًا.. لأنكِ تستخدمين الراهرو بمفردكِ ثانية بعد تحذيراتي لكِ، خامسًا.. تقتحمين غرفتي بملابس نومكِ».

قال جملته الأخيرة صارخًا وصدره يعلو ويهبط، وقفت رونيم ثم اتجهت لباب الممر عندها أسرع يمسك بها.

رونيم صارخة: «اتركني، سأرحل».

أراد قذفها إلى الحائط ولكنه تنفس: «لن تعودي بمفردكِ، علي التأكد من وصلوكِ إلى حجرتكِ بأمان».

تراخت قبضتها على مقبض الباب ثم فتحته ليدخلا معًا، أغق الباب خلفه ثم أمسك بيدها وقاد الطريق.

رونيم: «آسفة حقًا».

بدأت دموعها في التساقط، انتبه إليها فتوقف ثم احتضنها: «ما كان عليَّ الصراخ في وجهكِ هكذا».

عندها انفجرت في البكاء أكثر، احتضنها بقوة أكبر ثم همس بجانب أذنها: «أخاف أن يحدث لكِ مكروه داخل الراهرو ولا أستطيع إنقاذكِ».

ربت علي رأسها وكأنه يهدِّئ طفلته، استغرق الأمر بعض الوقت حتى توقفت عن البكاء، تعجب من أمرها فهي لم تمانع احتضانه ها كما تعجب أكثر من نفسه بداخل الراهرو يستطيع التعبير عن مشاعر، بطلاقة على عكس الخارج حيث أعين أبيه تراقب كل شيء.

راين: «هيا إلى منزلي، أنا جائع، ستتناولين الطعام معي».

ابتسمت ماسحة دموعها ثم اتبعته كطفلة.

وضع الطعام أمامها ثم جلس: «ليس في فخامة طعام الملكة ولكنه شهي، هيا جربيه».

وضعت بعض الطعام في فمها، ما زال ما حدث منذ قليل يؤرقها، لماذا هي حساسة هكذا؟ لماذا جاءت إلى غرفته من البداية؟ إنه محق، يمكنها إخباره كل شيء غدًا، لماذا إذن أسرعت إليه؟

راين: «بِمَ تفكرين؟».

- لا شيء.

خرج صوتها مرتعشًا لذلك ترك راين الطعام من يده واقترب أكثر: «أ.. أنا آسف حقًا، كنت متعبًا».

- كلا، أنت محق، لا يصح أن أقتحم منزلك هكذا.

أسرعت نحو الباب لكنه قطع عليها الطريق: «لن أسامح نفسي إن لم تعد الابتسامة إلى ثغرك ثانية».

حاولت الابتسام: «أنا بخير، أريد الذهاب إلى غرفتي».

زفر راين: «حسنًا هيا بنا».

اتجها إلى الممر لكن في منتصف الطريق قالت بصوت مرتعش: «هـ.. هل تظن حقًا أن ميرانا لن تنتقم لي إن قطعت رأسي؟».

ابتسم بركن فمه: «كل ما تهتمين به هو انتقام ميرانا لكِ، لن تتساءلي إن كنت سأقتلك أم لا؟ أم أنه أمر مفروغ منه؟».

أدركت ما قالته: «كلا، لم أعنِ هذا، ربما ما تعرفه عن ميرانا ليس صحيحًا، كونت الفكرة الخاطئة عنها، أنا أعطيتك هذا الانطباع لكنها طيبة حقًا».

- لكنها ما زالت متزوجة بحبيبكِ.

ارتبكت رونيم ولم تقدر على الإجابة، لقد أحبت روبيم بصدق.

- لن أدافع عنها أو عنه لكن عليك التعرف على شخص ما لتصدر حكمًا عليه.

هز راين كتفه في لا مبالاة: «كلا، هذا ليس قانونًا».

رونيم بحدة: «بل قانون، عليك مقابلة الأشخاص أكثر من مرة كي تستطيع إصدار حكم عليهم، أما الشخص المتعسف من يصدر أحكامًا على غيره فقط بما يسمعه عنهم».

قطب راين جبينه: «إذن أنا شخص متعسف».

- لا أقصد، يؤلمني ألا ترى الخير بها.

ابتسم راين: «لا بأس، وظيفتي تسمح لي بالتعسف ولا تقلقي لن أعاملها بطريقة سيئة».

- راين، هناك شيء آخر أردت محادثتك عنه.

- حسنًا ما هو؟

- أريد تجربة الراهرو مرة أخرى، أريد التجسس به على الملك أنمار.

قطب راين جبينه: «كلا، لن أسمح لكِ.. روني، لا يمكنكِ فعل هذا ستحدث كارثة إن اكتشف».

- أريد معرفة الحقيقة، أريد اكتشاف السبب.

- سنعرف كل هذا بالطرق العادية، الأمر لا يحتاج إلى ممر سحري، رونيم.. لا يمكننا المجازفة بسر الراهرو.

هزت رأسها لتفتح باب غرفتها وقبل أن تغلقه أسرع ممسكًا الباب: «روني.. آسف، أخطأت بالصراخ عليكِ»

ابتسمت رونيم: «لم أعد غاضبة، تصبح على خير».

عاد لحجرته، الممر يسمح له بالتنقل بين غرفته وغرفتها، لكنه لا يسمح له بالذهاب إلى أي مكان آخر، حاول لكن الراهرو لا يستجيب إلا لها.

***

حاولت التركيز في الأوراق أمامها لكنها فشلت، ذاكرتها تعيد أحداث الأمس، لا تعرف كيف فعلت ذلك، لم تكن يومًا جريئة كما أنها تكره راين؛ إنه أشد خطورة على موقعها من وحوش حشائش البسكان لكنها وجدت نفسها تميل إليه، أليس من المفترض أن تحد من سلطته؟! أليس من المفترض أن تقتلعه من الوادي كما نصحها أبوها؟ لماذا هي متمسكة به هكذا؟ هل تحولت فجأة لفتاة مراهقة تعجب بأي رجل قريب منها؟ لم تكن يومًا تلك الفتاة، وما مسألة احتضانه لها طوال الوقت؟! هل يمكن أن تحرك اللعنة مشاعرها؟ حذَّرها السيد تكارون.

لمعت في رأسها فكرة، نعم، ستطلب التحدث مع السيد تكارون، لم يستغرق وقتًا طويلًا حتى وجدته أمامها بوجهه الشاحب وحركته البطيئة.

السيد تكارون: «مولاتي».

- كيف حالك سيدي؟

- بخير، أخبرتني وصيفتكِ أنكِ تحتاجينني في أمر ما، هل كل شيء على ما يرام؟

- نعم، أردت سؤالك عن اللعنة: هل ما زلت تبحث عن طريقة لإبطالها بشكل كلي وقاطع؟

- إنها شغلي الشاغل أنا والمراقبون الآخرون.

- جيد والراهرو، هل ظهرت معلومات جديدة عنه؟

تعجب السيد تكارون: «إن وجدت معلومات لكنت أحضرتها لك في التو والحال».

هزت رونيم رأسها: «نعم، أعرف، الأمر فقط.. هل تعرف؟ يمكنك المغادرة عرفت ما أحتاجه».

جلس السيد تكارون على أقرب مقعد: «هل أنتِ بخير يا مولاتي؟ أراكِ قلقة».

- أنا.. سيد تكارون هلا حدثتني قليلًا عن اللعنة؟ أقصد الأميرة والقائد اللذين تسببا بها.

تفحصها من أسفل عويناته: «حسنًا، هلا تحدد مولاتي ما تريد معرفته بالضبط؟».

لوحت بيدها في الهواء: «كيف كانا؟ أعني.. هل كانت الأميرة شخصية رومانسية؟ هل شعرت بحبهما ينمو داخل جدران القصر؟ هل اعتاد النظر لها بطريقة مختلفة؟ أي من تلك الأشياء».

- كلا لم يبدُ عليهما أي شيء مما قلت، لقد شكَّل الأمر صدمة للجميع.

رونيم بإحباط: «حسنًا، يمكنك الرحيل».

- لكن لماذا تسأل مولاتي الآن؟

- لا شيء.

تخلت عن فكرة إخباره، سيحيل الأمر إلى جحيم إن عرف بتصرفاتها الطائشة مع راين وربما يبعده عنها، اللعنة ليبعده، ما الذي تنتظره؟ إنه لا يخفي مشاعر الكره لها، أخبرها أنه سيقطع رأسها، لكن هناك أيضًا مشاعر لا يمكن إنكارها أو ربما تتوهم ذلك.

تمددت على الفراش محاولة النوم بضع دقائق مرت وأيقنت أنها لن تحظى بالنوم، تفحصت باب الراهرو وقررت استكشافه، راين مشغول الآن ولن يشعر بها ستتجول به قليلًا ربما تجد شيئًا يلهيها عن أفكارها.

فتحت الباب ثم شهقت مذعورة، تراجعت بضع خطوات ممسكة صدرها تصارع لتتنفس: «اللعنة يا رجل، يومًا ما ستتسبب في موتي».

أغلقت رونيم باب الراهرو خلفها ثم اقتربت من الرجل الطويل الذي عرفها أول مرة على الممر.

رونيم: «هل يعرف السيد تكارون بوجودك هنا؟».

هز الرجل رأسه بالنفي ثم بدأ في السير فأسرعت خلفه: «هل كل شيء على ما يرام؟ لا توجد كارثة تلوح في الأفق».

نظر لها الرجل ثم توقف عن السير مقتربًا من أحد الأبواب الذي ظهر فجأة، ودون مقدمات وضع يده على مقبض الباب وفتحه، اقتربت والخوف يملؤها ثم ألقت نظرة على الغرفة، ارتعش جسدها وبدأت في التراجع خائفة.

رونيم: «هذا.. هذا ما وجدته خلف منزل راين: الحفرة».

الرجل الطويل: «بل هذا هو الوادي».

خرج صوته ضعيفًا ومرتعشًا.

نظرت له متسائلة: «الوادي، كيف؟!».

- إنه الوادي لو قررتِ الرحيل عنه.

تساءلت كيف ترحل عن هنا، الوادي وطنها، أم يقصد أن يجبرها شخص على الرحيل؟

- ماذا تقصد؟ أتوسل إليك اشرح لي.

ألقت نظرة خاطفة داخل الغرفة، كل شيء مظلم لكنها استطاعت رؤية الأشباح السوداء تسبح في الفضاء، عادت لتنظر إلى الرجل الغريب تطرح سؤالًا آخر ولكنه اختفى.

«اللعنة»، بحثت عنه خلف الباب لكنها لم تجده همت بغلقه لكن فضولها جذبها لترى أكثر، اقتربت حتى شعرت ببرودة تجمد وجهها، الوحوش تسبح في حركة دائرية غريبة كأنها داخل إعصار، ارتعش جسدها فأغلقت الباب مسرعة، ماذا يعني بأن هذا مصير الوادي؟ هل ستقع لعنة أخرى؟

***

telegram @
yasmeenbook

جيش من الخادمات يدخل ويخرج من غرفة الملكة وراين ينتظر في الخارج غاضبًا، لا يعرف سبب كل هذا التأخير؛ إنها ذاهبة لمقابلة أمها وأختها، لِمَ عليها استغراق كل هذا الوقت في التزين؟

خرجت مجموعة أخرى من الخادمات ثم ظهرت شبان.

راين: «هل أنتـــ...».

لم يكمل جملته لأن رونيم ظهرت خلفها، وقف مذهولًا أمام جمالها؛ لم يرها يومًا بهذا التألق، ارتدت فستانًا ذهبيًا واضعة تاجًا صغيرًا على رأسها وشعرها الطويل يتدلى خلف ظهرها تتخلله حبيبات من اللؤلؤ الذهبي.

انتبه أخيرًا إليها مقطبة جبينها تصرخ في وجهه.

راين: «مـــ.. ماذا؟».

رونيم غاضبة: «ألن نذهب أيها القائد؟!».

- بالطبع مولاتي.

أشار لها لتتقدمه، مرت أمامه فاشتم رائحة جذابة حركت مشاعره. أخذ يتفحص فستانها طويل الذيل.

زجرته رونيم غاضبة: «ما بك؟ تبدو كالأبله».

حاول ألا يبتسم: «لا شيء؛ أنا مذهول أمام جمال سيدتي».

توقفت لتقول بصوت هامس: «القائد راين من فضلك، أمي تميل لتضخيم الأمور، لذلك سنلتزم بالرسميات اليوم، أنا الملكة وأنت القائد راين».

استمرت في السير لكنها توقفت: «راين، لا تنظر لي وفمك مفتوح، أنت تميل إلى فعل ذلك، لذلك ذكر نفسك كل بضع دقائق أن تنظر إلى أي شيء غيري وتغلق فمك».

لم يتمالك راين نفسه وبدأ في الضحك مما جعلها أكثر غضبًا: «حقًا، هل هذا ما ستفعله؟».

همت بالرحيل، لكنه أسرع خلفها: «آسف، حقًا روني، آه... عفوًا مولاتي الملكة».

رمقته بنظرة أخرى غاضبة لكنه أكمل: «لماذا أنت متوترة؟ لم تكوني هكذا عندما زارنا الملك أنمار، ولا أظن عائلتكِ أسوأ منه».

رونيم ساخرة: «أنت لا تعرف أمي».

- سأتعرف عليها ثانية.

رونيم بلهجة آمرة: «هل العربة جاهزة؟».

راين مبتسمًا: «نعم مولاتي الملكة، سنخدع شعبكِ ونوهمه أننا ذاهبان خلف القصر لنحضر عائلتكِ لكن في الحقيقة سنذهب إلى غرفة نومي».

قطبت رونيم جبينها: «أنت كطفل سخيف».

أدخلها إلى العربة ضاحكًا ثم انطلق، لم يمر كثير من الوقت حتى التفت وأخذت أحد الطرق الجبلية المتعرجة إلى منزل القائد.

أدخلها راين من باب خلفي ثم وصلا لغرفة نومه ومنها إلى الراهرو.

- هل يمكنني معرفة ما تنوي عائلتكِ قوله للعامة؟ ملكتهم وولية العهد ستختفي ليوم كامل.

- لا أعرف، لم أسأل أمي عن تلك التفاصيل.

- حسنًا، لتتقدم مولاتي الملكة.

رونيم غاضبة: «هلا تكف عن لهجتك الساخرة تلك؟».

راين ضاحكًا: «لِمَ أنتِ متوترة هكذا؟ ولِمَ ترتدين وكأنه يوم زفافكِ؟».

- هذا أفضل من ملابس النوم.

ضحك متذكرًا ما حدث فابتسمت واضعة يدها على الحائط مفكرة في غرفة مكتب أبيها، اتفقت على هذا المكان مع أمها في آخر خطاب بينهما.

ظهر الباب أخيرًا لكن قبل أن تفتحه: «راين، لم أخبر أحدًا أن نهاية الراهرو باب غرفتك لذلك...».

قطب راين جبينه: «اللعنة ألم تخبري أباكِ عن زيارتكِ الليلية لغرفتي برداء نومكِ».

عندها انفجرت وأخذت تضربه على رأسه صارخة، أمسك بيدها ضاحكًا: «حسنًا.. حسنًا اهدئي ستفسدين كل شيء».

حاولت سبه لكنه جذبها إليه: «آسف، أمزح معكِ، أنت الملكة رونيم قاهرة الوحوش ومبطلة لعنات لم يستطع أعتى الملوك دحضها، تذكري هذا كلما حاول أحدهم مضايقتكِ».

ارتعش جسدها لما نظرت إلى عينيه الزرقاوين وتذكرت البحر، ودت لو تبقى معه في الممر لكنه ترك جسدها، عدلت من هيئتها ثم أخذت نفسًا عميقًا وأدارت المقبض، عندها وجدته أمامها، صرخ باسمها ثم احتضنها مسرعًا.

شعرت رونيم بالإحراج حاولت دفعه بعيدًا لكن ميرانا خلفه أبعدته لتحتضنها أيضًا.

الملكة: «دعوها تتنفس».

قالتها متفحصة راين ثم توجهت إلى ابنتها واحتضنتها.

تحول وجه رونيم إلى اللون الأحمر: «كيف حالكم؟ اشتقت إليكم كثيرًا».

روبيم: «نعم.. نعلم، لذلك زرت القصر ولم تحاولي البحث عنا».

رونيم: «آه.. آسفة حقًا.. لم أكن..».

الملكة: «آه، كانت مشغولة البال وقتها لكن دعكِ من كل هذا، لم نرحب بالقائد راين كما يجب».

غمزت لميرانا التي تفحصته بطريقة أزعجته.

ميرانا بصوت منخفض: «هه، وأنا من كنت أبكي ليلًا لأنكِ بمفردكِ مع هؤلاء الوحوش».

كشر راين عن أنيابه وتساءلت رونيم: هل قصد الابتسام أم يحاول إخافتهم؟ أزعجها أنه لا يستطيع إبعاد أنظاره عن روبيم.

راين: «مولاتي، لم تخبرنا جهتكِ بوجود شخص آخر».

قالها محدقًا بروبيم.

روبيم بسخرية: «شخص آخر».

رونيم: «إنه ليس شخصًا غريبًا؛ إنه روبيم، زوج أختي».

راين غاضبًا: «لكن وجب عليهم إخبارنا، أنا قائد حرسكِ وعلي الإحاطة بكل المعلومات».

لم تعرف بما تجيبه إنه يحرجها أمام الجميع.

ميرانا مقطبة جبينها: «زوجي سيؤذي رونيم؟ كيف بالضبط؟».

نظر لها راين ولم يعلق لذلك أسرعت الملكة للوقوف أمامه: «كفوا عن هذا، أنا سعيدة أن ابنتي تتمتع بولاء من هذا النوع».

أمسكت كتفه تتحسس عضلاته.

كتمت ميرانا ضحكتها وأشاح روبيم بوجهه، وتحول وجه راين إلى اللون الأحمر، أبعد يدها في غلظة وأشار لرونيم لتتبعه، لم تعرف رونيم ماذا حدث توًا، ولماذا تصرف راين بتلك الطريقة الفظة مع أمها.

رونيم: «حسنًا، هل الجميع جاهز؟ سندخل الآن إلى الراهرو».

ميرانا بتردد: «هل هو آمن أم...».

رونيم مبتسمة: «لا تقلقي، إنه آمن، يمكنكِ الإمساك بيد روبيم».

روبيم مسرعًا: «لن آتي معكم».

نظر لراين ثم أكمل: «ربما المرة القادمة، عندما يتجهز القائد لاستقبالنا».

رونيم: «حسنًا، إلى المرة القادمة».

تقدم راين إلى الممر ومن خلفه الثلاث ملكات.

ميرانا هامسة: «لماذا هو غاضب؟ ولماذا غاضب من روبيم تحديدًا؟».

رونيم هامسة: «كلا، إنه ليس غاضبًا من أحد، إنه هكذا طوال الوقت».

سار الجميع خلفه حتى أسرعت رونيم إليه وقالت شيئًا ما ثم وضعت يدها على حائط الممر وفكرت في الباب الخلفي لمنزل مهدم بجانب منزل راين حيث أوقفا العربة.

ظهر الباب وسط الحائط فشهقت ميرانا والملكة لتدير رونيم مقبض الباب، تقدم راين وألقى نظرة: «الوضع آمن للخروج».

تحركت الملكة ومن خلفها رونيم ولكن ميرانا أوقفتها: «ماذا يوجد في نهاية هذا الممر؟».

أشارت إلى الظلام الممتد أمامهم، ارتبكت رونيم؛ فكرت أختها فيما تخشاه.

أسرع راين: «مجرد ممر ممتد إلى ما لا نهاية سيدتي».

هزت ميرانا رأسها ثم غادرت الممر، نظرت له رونيم وكأنها تشكره على إنقاذها ثم خرجت من الباب ليتوجهوا جميعًا إلى العربة ومنها إلى القصر.

توقفت العربة وترجلت منها رونيم أولًا، فاجأها وجود صفين من الحراس في استقبال العربة وخلفهم سكان الوادي يلقون بالورود على أسرتها، ابتسمت ميرانا محاولة الإمساك بوردة ألقتها إليها امرأة ما: «يا لها من مفاجأة، لم تخبرينا أن هناك استقبالًا رسميًا لأرتدي فستانًا جميلًا مثلكِ».

نظرت رونيم لراين الذي ابتسم بدوره وقال هامسًا: «لم تكن فكرتي».

تفحصت الملكة راين بتلك الطريقة التي تزعجه: «الجميع يحبك هنا عزيزتي»، ثم مالت على ميرانا: «أخبري أباك بذلك، ما زال يلومني وكأني ألقيت بها إلى الجحيم».

ابتسمت رونيم وقادت أمها إلى صف الوزراء الذي وقف ليرحب بهم.

***

وصلت النساء أخيرًا إلى جناح الملكة وهن يضحكن حول شيء لم يفهمه راين.

فتح الحراس الباب لتجد رونيم الغرفة مزينة بباقات الزهور وصحائف من الطعام الملون، تلمست أحد الأزهار بأصابعها وقالت لراين: «وتلك أيضًا لم تكن فكرتك؟».

لم يعلق راين بل ابتسم: «سأكون بالخارج إن احتاجت مولاتي شيئًا ما».

الملكة بدلال: «شكرًا عزيزي راين، إن اهتممت بي أكثر من ذلك ربما أترك مملكتي وآتي للعيش هنا».

كشر راين عن أنيابه للملكة الأم التي شهقت: «آه، الملكة لست أنا، يا لي من سخيفة نحن في مملكة أخرى الآن، عفوًا عزيزي راين».

زفر غاضبًا خاصة أن ميرانا قفزت بجانب أمها تشيران إليه وتهمسان، اقتربت رونيم منه: «شكرًا أيها القائد، إن احتجت لأي شيء سأستدعي أحد الحراس، استرح أنت».

ابتسم راين وخرج من الغرفة لكنها أسرعت خلفه وأمسكت يده: «راين، شكرًا لك».

أسرعت إلى الداخل مغلقة الباب خلفها.

ميرانا ضاحكة: «هل قبلتِه قبلة الوداع؟».

رونيم غاضبة: «توقفي، علاقتنا ليست كذلك».

نظرت الملكة لها ثم إلى ميرانا: «حسنًا إنه تقدم؛ لقد أصبحت بينهما علاقة الآن».

حاولت التصحيح لأمها لكن كلتيهما ما زالتا تتحدثان عن راين وعلاقة الغرام المتبادلة بينهما، أمها تحكي لميرانا كيف كانا عندما وجدهما الحراس في حديقة القصر وأكدت على رداء النوم الذي ظهرت به، يئست رونيم من محاولة تصحيح المعلومات فجلست تأكل في استسلام مراقبة أمها تقلد راين وميرانا تضحك حتى دمعت عيناها.

استمر الأمر لبعض الوقت حتى هدأت الملكة وطلبت منها استدعاء إحدى الوصيفات لأنها تريد التجول في القصر، لطالما اهتمت أمها بالفن، وقصرها قطعة فنية رائعة الجمال.

راقبت أمها تغادر مع شبان: «لا تصدقي ما تقوله أمي عني وراين».

ابتسمت ميرانا: «لم أصدقها حتى رأيته معكِ، ما مشكلته؟».

رونيم مسرعة: «مشكلته كيف؟ أعني ماذا تقصدين بـ: رأيته معكِ؟».

- حسنًا، أعلم أنه قائدكِ ومهمته الحفاظ على حياتكِ لكنه يبالغ قليلًا.

- إنه فقط ملتزم جدًا تجاه عمله.

وضعت ميرانا الكأس بيدها: «حسنًا أبي لا يظن هذا، أمي أيضًا تظن أن بينكما قصة حب، لذلك احذري».

اتجهت لمائدة الطعام تنتقي أشياء ملونة صغيرة تتذوقها، ألقت نظرة على أختها لتجد الحزن كسا وجهها.

ميرانا: «ما بكِ؟».

- لا أريد التحدث عن الأمر.

جلست بجانبها: «أي أمر؟ لا يبدو لي رجلًا سيئًا ولا أجد ضررًا من مبادلته الحب».

أشاحت وجهها بعيدًا مقاومة دموعها: «لكنكِ مخطئة، أبي وأمي مخطئان أيضًا، حرص راين على حياتي لا ينبع من حبه؛ إنه يخشى عودة اللعنة».

ميرانا مبتسمة: «أي لعنة يا حمقاء؟ ألم تبطليها؟!».

تساقطت دموعها موشكة على الانفجار لذلك قررت الثقة بأختها وقص كل شيء عن لعنة الساحرة ولعنة السيد تكارون وأنها لم توفق في إبطال اللعنتين بشكل كامل.

مسحت دموعها: «عندما يخبرني أحد أن راين يحبني أشعر بالاختناق، هل تعلمين أنه صرح لي أكثر من مرة أنه أصلح مني بالحكم؟».

ميرانا بحزن: «إذن كُتب على كلتينا العيش مع رجال لا تطيقنا».

- ماذا تقولين؟ روبيم يحبكِ، لقد تركـ...

استدركت الأمر ولم تكمل جملتها، أكملت ميرانا جملتها: «نعم تركني لكن أظنه ما زال يحبكِ، روبيم ليس رجلًا سيئًا لكنه يعاقبني على كل شيء خاطئ حدث له».

رونيم متعجبة: «يعاقبكِ».

- روني، أنتِ الآن ناضجة بما يكفي لتعرفي شيئًا مهمًّا عني، أنا أحببت «أسران» حقًا.

اغرورقت عيناها بالدموع فأسرعت رونيم: «الجميع يعلم، خبر موته نزل كالصاعقة علينا جميعًا».

- أعرف، الجميع أحبه أما أنا عشقته، تخيلته زوجي، لذلك أعطيته كل شيء، قلبي وروحي و...

قطبت رونيم جبينها: «و.. ماذا ميرانا؟».

انفجرت ميرانا في البكاء: «أعطيته كل شيء، كنت مجنونة بحبه».

احتضنت أختها بقوة لتكتم نحيبها، إن عرف أبوهما بشيء كهذا لقتلها وبحث عن جثمان أسران ليقتله ثانية.

أكملت ميرانا: «عرف روبيم في ليلة زفافنا ومن وقتها يعاملني بطريقة سيئة، كأني بضاعة تالفة».

انفجرت في نوبة نواح: «عرفت أنه رجل صالح، لطالما أخبرتني بذلك، قلت سيكون الزوج المناسب، سيعرف بالأمر ولن يخبر أبي أو يفضحني».

الآن رونيم تعرف كل شيء، ميرانا ليست كما ظنت، لم تسرق حبيبها طمعًا به لكن لتحمي نفسها أو منصبها كوريثة للعرش بعد أبيها.

- هل تعرف أمي؟

مسحت دموعها: «أمي من اقترحت روبيم، روني أرجوكِ لا تكرهيها، خافت من بطش أبي إن عرف بالأمر خاصة بعد ظهور هذا المكان ومطالبة الجميع بأميرة عذراء، أتوسل إليكِ لا تكرهي أمي، كانت واثقة من تمسكِ بشرفكِ حتى وإن كنت واقعة في الغرام».

- لكن لم يحدث شيء، مر الأمر بسلام، وروبيم رجل صالح، سيسامحك في النهاية.

ميرانا مسرعة: «لا أظن هذا؛ إنه لا ينظر في وجهي، لم يعد حتى ينام بجانبي».

- صدقيني الوقت أفضل علاج، أعطه بعض الوقت، كوني صادقة معه، لطالما أحب روبيم الصدق.

- لذلك هو يحبكِ.

- لو أحبني حقًا ما تركني من أجلكِ، إنه يحبكِ أنتِ.

- كلا إنه يحبكِ، أنتِ لا تعرفين ما فعلته كي أحظى به: ملابسي، كيف تغزلت به، أوقعته بشباكي، أخذت ما يخصكِ وجعلته ملكي ليس لأني أحبه بل لأنه سينقذني. روني أنا أسوأ شخص يمكن أن تقابليه.

تساقطت دموع رونيم: «ميرانا، لو أحبني حقًا ما رأى امرأة غيري».

- إنه يحبكِ، أسمعه يردد اسمكِ وهو نائم وأبكي، أتعلمين؟! أتقبل عقابي صامتة. أستحق هذا بل أسوأ.

رونيم مسرعة: «لا أحد يستحق هذا، لا أحد يستحق العيش مع شخص لا يريده».

حدقت إليها ميرانا: «لكني ما زلت على رأيي، القائد يكنُّ لكِ بعض المشاعر».

رونيم بنفاد صبر: «صدقيني، أنتِ لا تعرفينه».

- بل أنت من لا تعرفين الرجال، يمكنكِ الإطاحة به.

- حسنًا، تلك الخطة وضعتها مع أبي لكن أعاني صعوبة في تنفيذها.

قطبت ميرانا جبينها: «لم أكن أعني إزاحته كما يقصد أبي، لكن تحييده وإبقاءه تحت تصرفكِ».

فتحت فمها محاولة فهم كلمات ميرانا.

مسحت ميرانا أنفها: «حسنًا، لا تستطيعين التخلص منه لأنه لا يوجد بديل له».

هزت رأسها فأكملت ميرانا: «حسنًا اجعليه عبدًا لكِ، اصنعي منه رجلًا لا يستطيع الاستغناء عنكِ».

- أنا.. لا أستطيع فعل هذا.

ميرانا غاضبة: «أنت ماذا؟ تفضلين الدخول في حرب مع سكان الوادي كلهم على جعل القائد عشيقكِ؟».

انتفضت رونيم: «هل جننت؟ عشيقًا لي!».

ميرانا بنفاد صبر: «حسنًا أيتها الطفلة، اجعليه زوجًا لكِ».

سقطت رونيم على المقعد: «زوجي؟! أنتِ مجنونة».

- وما المانع؟ إنه وسيم وقوي وذكي، يحظى بمحبة سكان الوادي واحترام الجنود فلِمَ لا؟! إنه الاختيار الأمثل.

تسارعت ضربات قلبها: «لكن، لا أظنه يحبني».

- اجعليه يحبكِ.

- إنه مؤمن أني مجرد دخيلة على الوادي، شخص غريب جاء ليتحكم به.

- اجعليه يتحكم بكِ.

مرة أخرى فتحت فمها فأسرعت ميرانا: «المرأة الذكية تخدع الرجل لتجعله يظن أنه يتحكم فيها، لكنها في الحقيقة تتحكم بخيوطه».

- راين ذكي.. إنه..

ميرانا مسرعة: «روني من فضلكِ كل الرجال تتحكم بهم شهوتهم، لو كان ذكيًا كوني أذكى منه، أنت أقوى مما تتخيلين، فقط عندما تريدين هذا».

تجولت رونيم في الغرفة وبدأت تقلب الفكرة في رأسها.

رونيم: «كلا، لا يمكن حدوث هذا الأمر، مملكتي صغيرة الحجم عليَّ توطيد حكمي بالزواج من ملك آخر».

ميرانا وقد اعتلت وجهها ابتسامة غريبة: «رونيم، أنت تتذكرين كلمات أبي: القلعة قوية الأوتاد لا يستطيع الرعاع اختراقها من الخارج».

لم تستطع التنفس فجلست على أقرب مقعد: «ولـ.. ولكن.. إنه يكرهني، أنتِ لا تعرفين كيف تحدث معي عندما خطوت لأول مرة بداخل الوادي».

- كلا، لم أره وقتها لكني أراه الآن، كيف يعاملكِ ويهتم بكِ و.. يضع تلك الأزهار في جناحك الخاص -إنه ليس معتادًا الدخول هنا- أعني سيغضب أبي كثيرًا لو عرف.

ابتسمت رونيم رغمًا عنها: «توقفي لا أستطيع فعل ذلك، لا أستطيع إيقاعه في شباكي، أنا لست...».

ميرانا بغضب: «لست ماذا؟ عاهرة مثلي!».

أسرعت إلى أختها: «كلا لم أفكر يومًا بهذا، ما نويت قوله أنني لست امرأة، لا أعرف ما تفعله النساء لتجذب الرجال».

زفرت ميرانا: «حسنًا، لا يمكنني مساعدتكِ في هذا، أنتِ تحتاجين أمي».

توجهت ميرانا مسرعة إلى الباب لتفتحه لكنها توقفت عندما رأت القائد راين.

ابتسمت ميرانا: «آه.. القائد راين، عدت سريعًا! ألم تطلب منك روني الاستراحة لما تبقى من اليوم؟ أم أنك لا تستطيع الابتعاد عنها؟».

أبعدت رونيم أختها في غضب ووقفت أمام راين الذي عقد حاجبيه من الغضب وقالت: «هل كل شيء بخير؟».

- والدتكِ تصر على الدخول إلى حشائش البسكان، لذلك...

ميرانا صارخة من خلفها: «تعني الملكة!».

راين بغضب: «كيف تفضل الملكة التعامل مع الأمر؟».

رونيم مبتسمة: «سأذهب لها بنفسي، لا تقلق».

أبعدت ميرانا رونيم من أمامه: «عزيزي راين، هل ترى أختي جميلة؟».

حاولت رونيم إبعاد أختها عن الباب لكن راين علق: «من الخطأ سيدتي الحكم على شخص بمجرد مظهره الخارجي».

قطبت ميرانا جبينها: «كف عن تلك الأحاجي، هل هي جذابة أم لا؟».

صرخت رونيم محاولة إبعاد ميرانا لكنها أقوى منها فأمسكت بضلفة الباب لتكمل حديثها مع راين.

راين متابعًا محاولات رونيم: «حسنًا، لا أظنها جميلة».

توقفت رونيم عن المقاومة وتراخى جسدها، أكمل: «لكنها بالتأكيد جذابة، انظري إلى سكان الوادي عشقها الجميع في وقت قصير».

ميرانا: «آه.. عشقها الجميع.. حتى أنت؟».

ابتسم راين ثم انحنى بتهذيب وغادر.

ضربت رونيم أختها بقوة فصرخت الأخيرة.

رونيم: «عليكِ اللعنة، هل سمعت بنفسكِ أنه لا يحبني؟ لذلك توقفي».

اختنق صوتها وهي تقول الكلمة الأخيرة.

ميرانا بشرود: «إنه متكبر قليلًا، لكنه يحبكِ».

رونيم غاضبة: «كفي عن ذلك؛ لقد سمعتِه بنفسكِ».

ميرانا بملل: «أيتها الغبية، إن كان لا يحبكِ لقال إنك أجمل امرأة رآها، لكنه متكبر، شخصيته معقدة قليلًا لكني أقبل التحدي».

رونيم هامسة: «بل معقدة كثيرًا، وأي تحدٍ تقصدين؟».

ميرانا ضاحكة بخبث: «ربما يمكنك إسقاط ثوبكِ أمامه ليلين قليلًا».

صرخت رونيم وتوجهت إلى أختها تضربها لكنها هربت إلى الخارج.

تتبعتها رونيم لتوقف أمها عن محاولاتها المجنونة لاكتشاف حشائش البسكان، أخذ الأمر بعض الوقت حتى أقنعتها بالابتعاد.

الملكة: «لماذا لا تقيمين حملات لإزالة تلك النباتات الكريهة؟».

نظرت ميرانا بشرود لحشائش البسكان: «إنها مرعبة قليلًا، إنـ...».

رونيم بنفاد صبر: «لأني يا أمي كلما أبعث بحملة من الجنود يعردون جثثًا هامدة، إنها تتركنا في سلام حتى الآن لذلك نتركها وشأنها».

قطبت الملكة جبينها: «ومحاولة أحد الوحوش قتلكِ؟».

رونيم بتوتر: «حادث فردي، وراين يتخذ إجراءات أمن مبالغ فيها الآن».

الملكة: «حسنًا، هل علينا جميعًا الوثوق براين هذا؟».

قالتها بصوت مرتفع حتى التفت إليها بعض الجنود ومعهم راين الذي أمرهم بالابتعاد قليلًا.

رونيم غاضبة: «أمي توقفي، كاد الوحش أن يفتك به وهو يدافع عني، لذلك نعم أثق به».

قالتها بصوت منخفض كي لا يسمعها راين لكنها استطاعت رؤية الابتسامة التي اعتلت وجهه.

رونيم: «أمي هيا بنا، حان موعد رحيلكما».

تقدمت أمها إلى القصر واتبعتها رونيم، لكنها لاحظت ميرانا التي تراقب حشائش البسكان بخوف.

رونيم: «ميرانا هيا بنا».

استيقظت ميرانا من شرودها وهزت رأسها واتبعتهما صامتة.

وصلوا جميعًا إلى الممر فودعت الملكة ابنتها ثم غادرت، اتبعتها ميرانا الهادئة على غير العادة فأوقفتها رونيم: «ما بكِ؟».

- لا أعرف، ولكن أشعر أني رأيت تلك النباتات من قبل.

- رأيتها أين؟!

ميرانا وقد استعادت صوتها المرح: «لا تأبهي بي، اهتمي بالقائد قليلًا، كوني ضعيفة معه وقوية عليه؛ الرجال يحبون ذلك».

فتحت رونيم فمها ثانية فميرانا تجمع الشيء وعكسه، لكنها ودعتها ثم أغلقت الباب.

وقفت وحيدة داخل الراهرو محدقة إلى نهايته وتساءلت هل راين الآن موجود بغرفته أم لا، هل تجرب وتذهب للتحدث معه؟ ربما يصرخ في وجهها ثانية، كلا ستذهب لغرفتها وتحاول النوم قليلًا.

تمددت على فراشها محملقة في سقف غرفتها متذكرة كلام ميرانا، انتفضت محدثة نفسها: «كلا إنه لا يحبني، لا يمكنني الزواج برجل لا يحبني، آلمني الأمر أول مرة، كلا لن أكررها».

تحرك باب الراهرو فجأة فقفزت صارخة، ظهر راين أمامها فتنفست الصعداء.

رونيم: «حقًا يا رجل! كدت أموت خوفًا».

راين مقطبًا جبينه: «آه.. الآن عرفتِ ما شعرت به يوم اقتحمتِ غرفة نومي».

جلست على أقرب مقعد: «نعم عرفت، هل كل شيء على ما يرام؟».

- نعم، أردت الاطمئنان عليكِ.

ابتسمت رونيم: «كل شيء بخير، شكرًا لك أيها القائد».

ابتسم راين بحزن: «القائد؟! ظننت أننا أصدقاء».

- نعم بالطبع أنا.. في الحقيقة لا أعرف لماذا قلت ذلك.

ابتسم راين: «حسنًا سأدعكِ تكملين نومكِ».

- حسنًا.

- إن كنتِ لا تشعرين بالنعاس الآن، يمكننا التحدث لبعض الوقت، أعني أود التحدث معكِ.

ابتسمت رونيم واتبعته إلى داخل الممر.

راين: «هلا تستدعين لنا مكانًا جميلًا نجلس به؟».

وضعت يدها على حائط الراهرو: «ظننتك لا تريد مني استخدمه».

- عندما تكونين بمفردكِ بالطبع لا، لكني أرافقكِ الآن.

أدارت مقبض الباب مبتسمة ثم دلفت، نظر راين حوله بذهول، جثت رونيم تلتقط أحد فروع الأشجار اليابسة لتمنعه من الانغلاق ثم مدت يدها لراين: «منذ متى لم ترَ البحر أيها القائد؟».

ابتسم لها ثم تقدم إلى الشاطئ الرملي: «لا أعرف ماذا أقول، لكن شكرًا».

اقترب أكثر من البحر حتى لامست الأمواج أصابع قدمه فابتسم أكثر، اقتربت بدورها: «حسنًا، تحدث».

حدق إليها والرياح تداعب خصلات شعرها الأسود، كم يشتهي جذبها إلى صدره، لكنه تخلى عن هذه الفكرة: «لا شيء، فقط أعطيكِ الفرصة لتعتذري عما قالته والدتكِ».

قطبت جبينها لتهم بنهره لكنه ضحك فتراخت: «أظن أحيانًا أن لك توأمًا تتبادلان الأدوار؛ أحيانًا تكون مهذبًا، وأوقات أخرى لا أجد إلا راين الأحمق».

راين ضاحكًا: «أمزح معكِ؛ أردت التخفيف عنكِ».

مرر يده على شعرها الناعم، حدقت إليه: «مَن أخبرك أني أريد التخفيف عني؟».

أمسك بذقنها: «ملامحكِ الحزينة تخبرني بذلك».

- لا تأبه بي، لكنك محق، أعتذر عما بدر من أمي، إنها لا تقصد نعتك بالخائن.

قاوم راين رغبته في احتضانها: «لا بد وأنها تكرهني، أشعر بهذا، أختكِ أيضًا لا تحبني».

أبعدت يده: «بالعكس أحبتك ميرانا وحاولت ثنيي عن عزلك من منصبك».

ابتسم: «هل نويتِ عزلي؟».

- بالطبع؛ أنت تمثل خطرًا على حكمي.

أمسك راين بيدها: «كيف أقنعتك سمو الملكة ميرانا بذلك؟».

ضحكت حتى تقطعت أنفاسها: «أخبرتني أن أستخدمك في حكم المملكة أنت قوي، وسيم وذكي أيضًا».

ابتسم راين بركن فمه وبدا أن حديثها ضايقه لأنه ترك يدها وغاص في الماء أكثر.

اتبعته: «ما الأمر؟ كيف أهنتك هذه المرة؟».

راين مبتسمًا: «أنتِ لم تفعلي».

- إذن ميرانا فعلت، حقًا كيف؟! كونها وصفتك بالوسيم والذكي والقوي؟!

- كلا، كونها لا تتغير وتنظر إلى ما تملكينه.

قالها ثم ابتعد عن الماء متوجهًا إلى الباب، أسرعت خلفه: «كلا انتظر، أنت لا تعرف القصة كلها».

راين غاضبًا: «بل أعرفها، روني لقد عشت بها لمائة عام، عانيت من أمثال ميرانا طوال حياتي».

رونيم بدهشة: «أمثال ميرانا؟!».

- نعم، من يريدون كل شيء، من يظنون أن حقهم أخذ كل ما يشتهونه دون عواقب.
- أنت لا تعرف ميرانا، أنت لا تعرف القصة كاملة.
- نظرة واحدة لها وعرفت أنها ترغب بما تحمله يدكِ.

قطبت رونيم جبينها: «أنت تحكم عليها من خلال موقف واحد فقط، هذا غير عادل، ما حدث مع روبيم كانـ...».

جلس راين على الرمال فجأة: «حسنًا أجيبيني عن تلك الأسئلة: خطيبها الأول الذي غرقت سفينته، هل كان من المفترض أن يتقدم لخطبتكِ أنت أولًا؟».

تهاوى جسدها بجانبه متذكرة أسران...

- هل السيد تكارون أخبرك بذلك؟
- كلا، لا يتواجد أي شيء عن خطيبها الأول في التقرير.
- كيف عرفت إذن؟
- لأني أعرفكِ، ولأني محق بخصوص ميرانا.
- كلا لست محقًا، القصة مع أسران تختلف، تربى في بلد بعيد وأبوه كان معارضًا للعرش لذلك قربه أبي منه وجعله مستشارًا واتفقا على عقد خطبتنا ما إن ينهي دراسته، لكن ما إن رأى ميرانا حتى تعلق كل منهما بالآخر، كان حبًا من النظرة الأولى.

مر راين بيده على رأسها وكأنه يحدث طفلة صغيرة: «أنا أعرف كم أنت بريئة لكنك لست ساذجة».

طوحت رونيم يده غاضبة: «أختي ليست عاهرة راين، وأنا لست طفلة بريئة تسمح للجميع بأخذ حقوقها و.. هل تعلم؟ أنت مجرد وغد أحمق و.. غبي».

توجهت إلى الباب فأسرع خلفها ليحتضنها بقوة: «تذكري ما فعلته ميرانا يوم وصول أسران هذا، تذكري ملابسها، تذكري طريقتها في التحدث معه، تذكري كل شيء ثم بعدها انعتيني بالوغد الأحمق».

توقفت عن مقاومتها ثم انفجرت بالبكاء، لم تحب يومًا أسران لكن راين محق، أخذت ميرانا الكثير من الفرص التي لم تكن لها.

أجلسها على الرمال واحتضنها بقوة، جل ما أراده منذ دخوله لغرفتها هو احتضانها.

علا نحيبها فشعر بالذنب ربما ميرانا ليست سيئة إلى هذا الحد، ربما يظلمها ويقارنها بـ «رومين»، نعم إنها تشبه رومين في كل شيء.

هدأت رونيم أخيرًا لتستغرق في النوم، حملها ثم ألقى نظرة أخيرة على البحر مودعًا أمواجه، سار في الممر حتى وصل لغرفتها وضعها في فراشها كطفلة صغيرة ورحل مقاومًا رغبته في التمدد بجانبها.

***

انتهت من الاطلاع على الأوراق أمامها ثم أبعدتهم في توتر، كل تلك الأخبار من المفترض أن تجعلها سعيدة ولكنها الآن خائفة، لقد وكزت الدب فهل ستنتظر بطش مخالبه؟

المزيد من القرى المجاورة أصبحت تتبع مملكتها، المزيد يأتي معلنًا الولاء لها، مر شهر منذ أن جاءت آخر سفينة محملة بالطعام من مملكتها السابقة، كل تلك الأخبار الجيدة وما زال الخوف ينهش قلبها.

تركت مكتبها متجهة إلى الشرفة تتطلع إلى الوادي، ربما راين محق في اقتراحه ربما عليها تغيير غرفة نومها لتطل على الجهة الأخرى من المملكة، النفق السري إلى هنا سيكون الحل الأمثل، لكن وقتها لن تستطيع رؤية منزله، مشاهدة الأضواء التي ترتعش كلما مر أمامها لتعرف هل هو مستيقظ أم لا، لا أحد يعرف لكنها اتخذت عادة مراقبة منزله طوال الليل، الآن تعرف متى

ينام وعدد مرات استيقاظه في منتصف الليل، تعرف متى يهاجمه كابوس ويستيقظ فزعًا، تعرف متى يجافي النوم عينيه ليخرج إلى شرفته مراقبًا الوادي في هدوء، تعرف كل تلك الأشياء لكنها اتخذت عهدًا ألا تذهب إليه خاصة بعد تلك الليلة في الراهرو، يخيفها أنها تدمن رؤيته، عليها معالجة تلك المشكلة.

***

ليلة أخرى من الأرق، محاولة النوم أصبحت أصعب من التجهيز لدخول الحرب، تستحم بماء دافئ تشرب السوائل الساخنة وتمشط شعرها برفق ثم... لا شيء لا تستطيع النوم، تحولت لكائن ليلي، مَن اعتادت النوم بعد غروب الشمس والاستيقاظ قبل أول ضوء للشمس، تحولت طبيعتها لتتماشى مع طبيعة الوادي.

تركت فراشها ثم تقدمت إلى الشرفة، فكرت في التطلع إلى منزل راين ولكنها اتخذت عهدًا بمعالجة إدمانها فكفت عن مراقبته لذلك راقبت تحركات سكان الوادي، الحركة هدأت بالطبع لكن هناك بعض الدكاكين تنير المكان وموسيقى عذبة تسري في الأجواء مع أصوات مرحة، قفزت إلى رأسها فكرة، مر وقت طويل منذ أن تواصلت مع شعبها، لتخرج الآن وتتفقد أحوالهم.

تذكرت راين بالتأكيد سيغضب عليها خاصة أنها لن تستدعي أحدًا من الحرس لمرافقتها لكنها لم تهتم، بعض الترفيه سيجعلها تتوقف عن التفكير في مشكلة الملك أنمار وتخلد إلى النوم في النهاية.

ارتدت فستانًا بسيطًا ثم خرجت من غرفتها، القصر هادئ والحراس نائمون.

«جيد»، قالتها ثم توجهت مباشرة إلى مصدر الموسيقى لتجد مجموعة من الشباب يعزفون على آلة موسيقية صغيرة أحدهم يغني بصوت عذب، ما إن رأوها حتى وقفوا جميعًا لينحنوا في أدب، برز من خلفهم رجل عجوز: «هل أزعجت أصواتنا الملكة؟».

تعرفت على «أمرون» الرجل اللطيف بائع الكتب الذي أهداها كتابًا تحية منه لها.

توجهت إليه تصافحه: «بل أصواتكم العذبة ما دفعتني إلى المجيء والاستماع لكم».

ابتسم أمرون: «نتشرف بجلوس ملكتنا معنا».

أحضر مقعدًا خشبيًا وجلس بجانبها، نظرت للفتية فوجدتهم متسمرين في أماكنهم ينظرون لهما.

صرخ أمرون: «هيا يا حمقى! اعزفوا».

جلس الفتية مترددين وبدؤوا في عزف الموسيقى، لحظات وبدأ الفتى في الغناء بصوته العذب.

مالت على أمرون: «ماذا تعني كلمات الأغنية؟».

- إنه شيء من تراثنا يا مولاتي، أغنية قديمة تتوارثها الأجيال.

- أليس لكلماتها معنى؟

- إن أصرت مولاتي.

رونيم مبتسمة: «بالطبع».

أمرون مترددًا: «حسنًا، إنها قصة قديمة عن الغزاة كما ترين لطالما كان الوادي مطمعًا للغزاة بسبب موقعه وثرواته المكنونة في الجبال».

أبعد أمرون وجهه ونظر إلى المغني: «حسنًا الترجمة الحرفية لها: ها قد جاءت السيدة.. وبهيئتها لا نعرف إن كانت سيدة أم لا.. خلفها زوجها.. لو كان رجلًا لكان أمامها.. جاءت السيدة، وعدتنا بالأمان وعدتنا بالذهب، لكنها سرقت شبابنا سرقت قوتنا، ها قد جاءت الأميرة وبهيئتها لا نعرف إن كانت أميرة أم لا.. وخلفها يأتي قطيعها أشبه بالغنم.. وعدتنا بالطعام وعدتنا بالمال لكنها صنعت الموت وحفرت القبور، ها قد جاءت الأرملة ترتدي الأسود وبهيئتها لا نعرف إن كانت أرملة أم ساحرة.. ها قد جاءت الأرملة خلفها سحليتان لا نعرف هل نطعمهما أم نقتلهما.. ها قد جاءت الساحرة وعدتنا بالخلاص وعدتنا بالخير لكنها لعنتنا.. ها قد جاء الغزاة ورحلوا.. وبقينا نحن.. ها قد جاء الجميع ورحلوا ولم يبقَ إلا أنا وأنت».

توقف الفتى عن الغناء وبدأ صوت الموسيقى يرتفع، ابتسمت رونيم متعجبة من ترجمة تلك الأغنية، لا بد وأنها تشير لما حدث في الوادي،

وتساءلت عن المقطوعة التي سيكتبونها عن حكمها يومًا ما، الكلمات قاسية نوعًا ما فهل يستحق الحكام السابقون ذلك؟ لم يخطر ببالها أن صوت الفتى الرقيق يخرِج كلمات بتلك القسوة.

ارتفع صوت امرأة عجوز في المكان صارخة: «توقفوا عن الأغاني الكئيبة اعزفوا لنا شيئًا نتمايل على كلماته».

نظر الفتية لبعضهم ثم ارتفع صوت فتى آخر، صوته أجش بكلمات وموسيقى صاخبة.

وقفت المرأة العجوز وأمسكت بأحد الفتية من ياقته ليرقص معها، ضحك أمرون قائلًا: «هل تسمح مولاتي؟».

مد يده ليراقصها، لم تمانع رونيم وبدأ كلاهما في الرقص السريع.

أغنية تلو الأخرى ورقصة تلو الأخرى حتى انتصف الليل وواحدًا تلو الآخر بدؤوا في المغادرة باستثناء مجموعة صغيرة قررت استكمال الليلة.

قررت رونيم تركهم والسير قليلًا في الوادي، الليل والهدوء والسماء الصافية، لم تعتد السير لوحدها بمنتصف الليل، حرية لم تكن متوفرة لها في مملكتها خاصة مع قوانين أبيها الصارمة، أجادت ميرانا التسلل وقتما أرادت مهارة لم تستطع قط اكتسابها.

غارقة في أفكارها لم تشعر أين ساقتها قدماها، توقفت لتلقي نظرة فوجدت حافة البحيرة بالقرب منها، تلك البحيرة الغريبة التي خرجت منها الحورية حمراء الشعر أو الأميرة المحترقة، تقدمت أكثر وتمنت مقابلتها مرة ثانية، رغم كونها عاهرة حاقدة فإنها رائعة الجمال، مخيفة لكنها فريدة.

بدأ الماء في الاهتزاز بقوة ثم هدأ وبدأ ظل أسود في الظهور أسفل سطح الماء، شيء ما يقترب هل تهرب أم تنتظر لترى؟ بدأت تظهر من الماء ظنتها في البداية مجموعة طحالب خضراء تطفو على السطح لكنها تحركت لأعلى ثم رأت العينين، نعم إنها واحدة أخرى، الشعر الأخضر الطويل والبشرة البيضاء الخزفية.

- تحياتي أيتها الأميرة.

قالتها الحورية مبتسمة لها.

- إذن أنتِ المهذبة.

- لا تلوميها كل شيء تدمر بسببها.

- أليس هذا سببًا لجعلها أكثر تهذيبًا؟!

- يختلف رد فعل كل منا على نفس الموقف أميرتي.

همت رونيم بقول شيء ما لكنها توقفت لتتأملها: «ماذا حدث؟ لماذا تحولتم وصرتم كالـ...».

قاطعتها الحورية: «صرنا كالسمك، حسنًا لا أعرف ربما اللعنة أو ربما عقابنا».

اقتربت رونيم: «وماذا حدث لكِ ولهن؟ أعني ما القصة الحقيقية؟».

ارتفعت الحورية الخضراء في الهواء لتضرب سطح البحيرة وتنثر الماء حولها ثم ظهرت مرة أخرى: «ماذا حدث لي؟ حسنًا كلماتي ستكون تصوري الخاص عن الأحداث وليست الحقيقة، فأنا لم أكن متواجدة في كل الأماكن ولا أعرف كل الشخصيات لذلك كلماتي ستعبر عن وجهة نظري للأمور».

- حسنًا، ما هي وجهة نظركِ أيتها الأميرة؟

ابتسمت الحورية وهمت بقول شيء ما لكنها توقفت ثم غاصت في البحيرة إلا أن تلك المرة لم تظهر، انتظرت رونيم على حافة البحيرة لكن لا شيء، لم تعد، بحثت حولها ثم توقفت لما رأت راين يقف خلفها يراقبها هادئًا.

راين: «هل تفضلين خلع ملابسكِ والنزول للبحث عنها؟».

رونيم غاضبة: «توقف، أنا فقط».

راين صارخًا: «أم تفضلين نزولي أنا للبحث عنها؟».

ابتعدت عنه مسرعة فأمسك ذراعها بعنف: «متى ستتوقفين؟».

رونيم صارخة: «عندما أعرف الحقيقة كاملة، عندما أفهم اللعنة وكيف أقضي عليها بشكل نهائي».

ترك يدها تسقط ثم قال بهدوء: «من فضلكِ، اتبعيني».

قالها ثم توجه إلى منزله، لم يكن بعيدًا عن البحيرة، تتبعته مترددة لا بد وأن نافذته تطل على البحيرة، فهل يرى الحوريات العاريات طوال الوقت؟

دعاها للدخول، فوقفت مترددة لا تريد إيقاظ مشاعرها نحوه لكنها قبلت دعوته وصعدت الدرج، لم تنسَ إلقاء نظرة من نافذته لترى هل يرى البحيرة بوضوح أم لا؟

أضاء المصباح ثم جلس: «تفضلي بالجلوس، رونيم ما بكِ؟ أنت مشغولة البال في الفترة الأخيرة هل كل شيء على ما يرام؟».

- نعم كل شيء بخير، أنا فقط لا أحظى بنوم كافٍ.

- ربما مغامراتكِ الليلية لها يد في ذلك.

- توقف، تلك أول ليلة أخرج بها، شعرت بالملل والضيق ورأيت أن أشغل بالي عنـ...

- عن ماذا؟

- عن التفكير في الملك أنمار.

ابتسم راين وتوجه للجلوس بجانبها: «لا تقلقي كل شيء بخير، مشكلة الملك أنمار ستحل نفسها، إنه باحث عن الذهب وسيتوقف عما قريب عندما يعرف حجم العمل الذي يحتاجه الوادي ليعود إلى سابق عهده».

- أعلم، لكن ما مقدار الوقت الذي سيمر ونحن نعيش في خوف؟

راين مقطبًا جبينه: «عن أي خوف تتحدثين؟ روني الأمور بخير، أنتِ بخير، الوادي بخير».

- نعم أعلم.. لكن...

- لكن ماذا؟ هل تخشين شيئًا آخر؟

أرادت إخباره كل شيء، أرادت إخباره عن مخاوفها وما تشعر به ناحيته لكنها لا تعرف هل يكن لها المشاعر أم لا وهل مشاعرها حقيقية أم أنها اللعنة، لذلك فضلت الصمت وهزت رأسها في صمت.

- حسنًا، فقط عديني ألا تخرجي بمفردكِ ثانية.

- حسنًا أعدك.

قالتها ثم توجهت مباشرة إلى الخارج لكنه أسرع وأمسك بيدها: «أعلم أنكِ تخفين الكثير عني لكن.. أتمنى أن أحظى بثقتكِ»

سحبت يدها مبتسمة: «أنا بالفعل أثق بك».

توجهت للخارج مسرعة، كم أرادت البقاء معه لكنها تحتاج إلى التوقف عن رؤيته.

***

تثاءبت للمرة العاشرة هذا الصباح مقاومةً رغبتها في النوم، ظنت أنها ستغرق في نوم عميق بعد مغامرة أمس لكنها قضت الليلة تفكر في راين وعندما حاولت تغيير مسار تفكيرها تذكرت الحورية الخضراء، كم هي حكيمة وذكية على عكس الحورية الحمراء التي امتلأت بالغضب والحقد، ودَّت لو أكملت الحديث معها لتعرف أكثر عن اللعنة وكيفية إبطالها لكن ظهور راين حال دون ذلك، فكرت أيضًا إذا كانت الحورية الحمراء هي الأميرة التي بسببها أطلقت اللعنة، فلا بد إذن أن الحورية الخضراء واحدة من الأميرات التي يشك الحكماء في وطنها أن لهن يدًا في توالي اللعنات على الوادي.

تطلعت إلى وجهها وسبَّت نفسها متوجهة لحجرة الطعام، زاد الأمر سوءًا تعليق راين الساخر ما إن رآها بقوله: «ليلة أخرى سيئة».

ابتسمت بتكلف وسبته في سرها، لكن قبل أن تبدأ في تناول الطعام اقتحم أحد الحراس الحجرة حاملًا رسالة، فكت ختم مملكتها ثم بدأ الحزن يظهر على وجهها.

راين: «ما الأمر؟».

- الوزير أسطبون مريض ويريد رؤيتي.

- مَن؟

قلبت الرسالة في يدها لعل شيئًا آخر مكتوب: «إنه صديق عزيز، عرفت بمرضه لكن...».

انفجرت في البكاء، أشار راين للجميع ليغادروا ثم أخذ الرسالة من يدها وقرأها.

- روني من فضلكِ لا تقلقي، ربما مصاب ببعض البرد ويشتاق لرؤيتكِ.

- لا أظن ذلك، أبي كاتب الرسالة وأبي لا يبالغ في شيء لا بد وأن حالته سيئة.

- حسنًا، لنستخدم الراهرو لرؤيته إذن.

مسحت دموعها: «حسنًا، سأفعل الآن لكن ابقَ أنت لإدارة شئون الوادي».

- أفضل الذهاب معكِ.

- لا أثق في أحد غيرك لإدارة الوادي.

أراد مجادلتها لكنه توقف ما إن رآها تبكي مطالعة الرسالة ثانية.

- حسنًا هيا لأوصلكِ للراهرو.

مسحت دموعها ثم اتبعته حتى وصلت لغرفة نومها.

- متى أنتظر عودتكِ؟

- لا أعرف، أظنني سأظل حتى المساء ثم أعود.

ابتسم راين ثم أمسك بيدها: «حسنًا كوني سالمة».

قاوم رغبته في احتضانها ثم أغلق الباب خلفها.

***

في المساء تناول القائد عشاءه ثم بحركة آلية حمل مصباحًا ودخل إلى الراهرو، انتظر بضع دقائق ثم تشكل أمامه باب ذهبي اللون فتحه ليجدها متشحة بالسواد، ارتمت في أحضانه باكية لم يحتج سؤالها عما حدث، مات صديقها.

***

راين: «هل تناولت طعامها؟».

هزت شبان رأسها بالنفي وحملت الطعام راحلة، طرق الباب ثم دخل، لا تزال ترتدي ملابس الحداد، اقترب منها في هدوء ثم جلس بجانبها.

لم تنظر له لكنها قالت: «من فضلك لا تتكبد عناء الحديث».

- لم أقل شيئًا بعد.

- أعرف ما ستقوله، كل شيء أعرفه، كل الجمل سبق أن قيلت لي، لذا من فضلك...

- حسنًا لا داعي لوجودي إذن.

أشاحت بوجهها بعيدًا وتساقطت دموعها فعاد وجلس بجانبها مبتسمًا: «روني من فضلكِ، أفهم أنه كان مقربًا منكِ لكن مر أسبوع منذ عودتكِ من جنازته، وأشعر بالقلق، الوادي كله يشعر بالقلق، اللعنة حتى أبي طلب مني ترك أعمالي والجلوس لمواساتكِ، وأنتِ تعرفين أبي».

ابتسمت بركن فمها: «فقط لا أستطيع، أنت لم تعرفه، كم كنت أتمنى لو تقابلتما وتحدثتما كنت ستغرم به لـ...».

لم تستطع المقاومة أكثر وانفجرت باكية ربت راين على كتفها: «ربما حان الوقت لتكريم ذكراه، تناولكِ للطعام والاهتمام بمملكتكِ لا يعدُّ خيانة له».

- لقد آمن بي، آمن بشخصيتي عندما كنت مهمشة، عندما لم يفعل أحد.
- كان شخصًا رائعًا إذن.
- نعم، كان.
- وما زال، فكما تعرفين الموتى لا يرحلون بل يراقبوننا من بعيد.

ابتسمت متذكرة حديث أمها عن جدتها يوم وفاتها.

- إن دعوتكِ على الغداء اليوم فهل ستلبين الدعوة؟
- راين من فضلك، لست في حالة جيدة، سأكون مرافقة سيئة لك.
- لطالما كنتِ مرافقة سيئة، ما الجديد؟

ابتسمت وأمام إصراره: «حسنًا ولكن لا أعدك».

***

طلبت من الخادمة وضع شريط أسود على ذراعها، قررت خلع الأسود لكنها ما تزال في حالة حداد، تفحصت فستانها الأخضر الداكن وشعرت بالضيق أكثر، يذكرها بحشائش البسكان مما زاد من حنقها، في النهاية توجهت إلى الراهرو ثم وقفت أمام الباب الخاص بغرفة راين طرقته بضع مرات ليفتح راين مبتسمًا.

كلما تناولت شيئًا شعر بسعادة، أرادت إخباره أن طعامه سيئ المذاق لكنها تراجعت.

راين: «هل الأمور بخير؟ أعني في المملكة».

- نسيت، أمي تبعث بقبلاتها.

ابتسم راين بسخرية: «جيد خشيت ألا تتذكرني».

- إنها تتذكرك جيدًا لا تقلق، لكن على صعيد آخر، الأمور ما زالت متوترة بين أبي وروبيم.

- ما زال يكرهه؟

- حسنًا أبي لا يحب أحدًا، أعني أنه يكرهك كذلك لكن مع أبي الحب ليس ضروريًا، يمكنه أن يمقتك ومع ذلك تتمتع باحترامه، روبيم للأسف فقد احترام أبي للأبد.

راين مبتسمًا: «هل معنى ذلك أن الملك يحترمني؟».

- إنه يحترم مركزك، أنت شخص مهم وقوي ولطالما احترم أبي القوة خاصة عندما تنبع من قائد يحترمه شعبه، لا تغتر، إنه يكرهك بحق.

راين ضاحكًا: «والوزير أسطبون، ما كان رأيه بي؟».

- حسنًا، مثله مثل الكثيرين: رأى إبعادك عن السلطة هي الحركة الصحيحة.

ابتسم راين وتناول ما في كأسه: «كان رجلًا ذكيًا إذن».

- بل الأذكى، هل تعرف؟ لم يكن من عائلة عريقة أو سياسيًا محنكًا بل رجلًا من العامة لكن الشعب انتخبه فحظي بمحبة واحترام الجميع.

- إذن في مملكتكِ رجل من العامة يمكنه الحكم.

تذكرت مجادلتهما السابقة: «يمتهن السياسة ولا يحكم، هناك فرق».

هز راين كتفيه: «لكني أحترم أباكِ رغم هالة الكره المتبادلة بيننا، فهو يسمح لشعبه بانتخاب الأفضل».

ابتسمت بدورها: «الملك يحترم رغبات شعبه؛ هكذا علمني أبي، سأنقل له مجاملتك ولن أنسى ذكر هالة الكره».

- لا تبخلي على أبيكِ بتفاصيل عشائنا.

تفحصت رونيم كم فستانها: «كيف حال حشائش البسكان؟».

قطب راين جبينه: «ما سبب تذكركِ لها الآن؟».

فكرت أنه سيكون من السخف إخباره: بسبب لون فستانها، فقالت أول شيء بدر إلى ذهنها: «لتأمين الوادي بالطبع، أعني لن نكون في أمان حتى نزيل تلك الحشائش».

- من الأفضل تركها كما هي، منذ تلك الحادثة لم يخرج شيء منها وحتى إن خرج فستقابله سيوف جنودنا.

هزت رونيم رأسها: «جيد وما أخبار الملك أنمار؟ هل هناك حوادث أخرى؟».

- هه أخيرًا بدأت تهتم بمملكتها، حسنًا في الحقيقة لا شيء، كل شيء بخير، تم الاتفاق مع المزارعين وسنجني المحصول الأول مع نهاية الشهر، الوزير أقروم قام بعمل رائع.

- جيد، لماذا أشعر بالقلق في صوتك إذن؟

ندم راين على كلماته، فعل المستحيل لتهدأ لكنه أثار موضوع الملك أنمار، قرر إخبارها بما يفكر، ففي النهاية هي الملكة: «حسنًا، الأمور هادئة أكثر مما يجب، عبَّر الملك أنمار عن استيائه في العلن ثم تآمر جواسيسه مع فلاح ما ثم لا شيء، ألا تظنين الأمر غريبًا؟».

- حسنًا من المنطقي أن تقلق، لكن أظنه ذكيًا، فلا يمكنه المساس بي ما دام أبي الملك.

- وماذا سيحدث عندما تتولى أختكِ العرش؟

رونيم غاضبة: «تبًا يا راين، ميرانا ليست كما تعتقد».

رفع راين يده لتهدئتها لم تكن نيته إثارة حنقها: «أعتذر، حقًا آسف لكن وظيفتي هي التفكير في كل الاحتمالات».

تراخت رونيم: «حسنًا لا تقلق، أمي لن تسمح لميرانا بالتخلي عني، كما أن وجود الملك أنمار هنا يهدد حدود مملكتها، على مستوى آخر أنت محق لا يمكننا الاستمرار في الاعتماد على موارد أبي، نحتاج لميناء خاص بنا».

- كيف؟ ألم تري المساحة الشاسعة من الطين التي تقبع خلف منزلي؟!

- أعرف لكننا نحتاج إلى ميناء، كيف الطريق إلى ميناء النيلان؟ إنه أقرب ميناء للوادي أليس كذلك؟

- بلى، حسنًا ممتلئ بالتلال والأودية.
- ألا تعرف كم كلفة تمهيد الطريق بين الميناء والوادي؟
- كلا، يمكنني التخمين، لكن الوزير طركون سيكون أكثر دقة مني.
- حسنًا، هل يمكنك أن تبعث في طلبه؟
- كما تأمر مولاتي.

قالها مبتسمًا رافعًا كأسه، ابتسمت بدورها ثم أكملت طعامها في صمت.

***

شعرت بالغضب قليلًا وهي تودع الوزير طركون، لا تستطيع لومه فهو يتحرى الدقة في كل ما قاله، الطريق الجديد سيكلف الوادي أموالًا لا تمتلكها الخزينة، إنه محق لكن رغم ذلك شعرت بالغضب، أجاب مباشرة بعد سؤالها ولم يستغرق وقتًا في التفكير، هل أخبره راين أم أن فكرة تمهيد الطريق لميناء النيلان فكرة قديمة درسها من قبلها؟ تفحصت الخرائط ثم أبعدتها وسارت حتى النافذة، ألقت نظرة على الوادي ثم منزل راين، خلفه يقع الميناء القديم، فقط لو عاد الماء مرة أخرى بمعجزة ما، زفرت بقوة ثم طردت تلك الفكرة من رأسها لقد ولى زمن المعجزات عليها التفكير بعقلانية الآن، عادت تحدق إلى الخرائط وتحسب كم عامًا يلزمها لتحمُّل كلفة تمهيد الطريق.

***

تمددت في فراشها بعد يوم مرهق وتذكرت الوزير أسطبون؛ بكت قليلًا حتى غرقت في نوم تشوبه أحلام غريبة: مرة تجد نفسها في الراهرو يظهر أمامها باب خشبي متهالك تفتحه لتجد الفراغ الأسود -ما زالت الوحوش تسبح في الفراغ- تراجعت قليلًا ثم تذكرت زائرها الغريب ظنت أنها ستجده خلفها لكن لا شيء، سارت بضع خطوات حتى وجدت نفسها في حديقتها السرية وهناك خلف تمثال المرأة وجدت كيانًا أسود، شعرت بالخوف فقررت الهرب ليهاجمها الكائن.

استيقظت تتصبب عرقًا، اعتدلت في الفراش ثم سمعت تلك الضوضاء الثابتة بالخارج، أنصتت أكثر ولم تستطع تحديد مصدر الصوت لذلك توجهت

إلى الخارج لتفتح النافذة وتجد الأمطار تنهمر، مدت يدها للخارج وتحسست ماء المطر في سعادة.

***

قطع الوزير طركون الطريق إلى غرفة الاجتماع متصببًا عرقًا، توقف يلتقط أنفاسه ثم فتح الباب، تعالت الأصوات ما إن رأوه لذلك أسرع ووضع الخرائط أمام الملكة.

رونيم: «طالعنا الخرائط أكثر من مرة سيد طركون، الأمطار ما زالت تنهمر منذ أربعة أيام والوادي امتلأ بالماء».

صرخ أحدهم: «سنموت غرقًا».

نظر السيد طركون بغضب لقائل العبارة ثم بدأ في شرح وجهة نظره: «سيدتي كما ترين، أكثر الأماكن انخفاضًا للأسف يقع في منتصف الوادي، ماذا لو جعلنا مكانًا آخر منخفضًا وبالتالي تتجه إليه مياه الأمطار».

رونيم: «حسنًا، أكمل».

جلس السيد طركون مجففًا عرقه: «حسنًا، لدينا في نهاية الوادي قطعة أرض جوفاء من البحر الجاف، لنحفر ونجعل مياه الأمطار تتجه إليها؟».

رونيم: «حسنًا لكن من سيحفر؟ الوادي امتلأ بالماء، إلا لو كنت تملك رجالًا يمكنهم العمل تحت المياه الطينية».

حك السيد طركون رأسه في ضيق وهم بقول شيء لكن السيد أقروم تدخل مشيرًا إلى الخريطة: «يمكننا إقامة سد صغير، في تلك المنطقة ستجف الأرض قليلًا مما يتيح للرجال العمل».

تهلل وجه طركون: «حسنًا تلك فكرة جيدة يمكننا على الأقل المحاولة يا مولاتي».

رونيم: «حسنًا، استعن برجال القائد راين لننجز الأمور بسرعة».

هز الجميع رأسه ثم أسرعوا خارج الغرفة ليباشر كل رجل عمله، طالعت رونيم الخرائط وشعرت بالضيق؛ مواردها لا تتحمل حدوث فيضان، سبَّت بصوت منخفض وأبعدت الخرائط من أمامها، تنفست وفكرت في إرسال خطاب لأبيها تطلب مشورته ثم تراجعت عن تلك الفكرة، لا تريد الركض له

باكية عند حدوث كل مشكلة، أخذت نفسًا عميقًا وتذكرت كلمات أبيها: «تغلف كل كارثة بهدية لمَن يمعن النظر»، حسنًا إنها تمعن النظر فأين الهدية؟!

***

قطعت الممر المظلم للراهرو ممسكة مصباحًا في يدها، لم تعد تخشى الظلام لكنها لا تريد الاصطدام بالضيف الغريب الذي يزورها أحيانًا، وصلت لنهاية الممر لتجد راين في استقبالها منتفخ العينين.

رونيم: «يوم مرهق».

- لا يهم كم هو مرهق، لكن أرجو أن يحقق مراده.

اتبعته حتى وصل للشرفة التي زارتها يومًا ما لتتفحص البحر الجاف، ما زال الماء يتدفق أسفل منزله، تحركت الأرض تحت قدميها فنظرت إليه بفزع.

راين في ملل: «لا تخافي إنها أصوات فقط».

رونيم صارخة: «حقًا! أصوات فقط، منزلك يتمايل مع الماء».

ابتسم ولم يعلق، تركها ليتمدد على الفراش.

- هذا المكان لم يعد آمنًا لك، ابحث عن منزل آخر.

- كلا لن أفعل، هذا مكاني المفضل.

- ستستيقظ يومًا ما لتجد غرفتك في قاع البحر.

هز رأسه في استسلام، أرادت التحدث أكثر معه لكن بدا عليه التعب لا بد وأنه يغط في نوم عميق الآن، تابعت تدفق الماء وتساءلت عن أساسات المنزل، رفعت رأسها تتفحص البركة الطينية أمامها وفكرت لو استمر المطر لامتلأ البحر واستعادت الميناء ربما تلك هي هدية الكارثة لها!

***

«أبي العزيز أرجو من الله أن تكون أنت وأمي بصحة جيدة، أحب أن أطمئنك على أحوال الوادي وسكانه، مررنا ببضعة أسابيع صعبة لكن الأحوال آخذة في التحسن، تم بحمد الله افتتاح الميناء القديم بعد تجديده واخترت له اسمًا جديدًا «نورجول» وتعني

شعاع الضوء، أنوي توسيعه ليستقبل أكثر من سفينة لكني أحتاج إلى مزيدٍ من الوقت والمال، تذكرت كلماتك سابقًا عندما تحدثت عن الكوارث التي تلد هدايا، حسنًا لقد أعطانا الفيضان أجمل هدية؛ امتلأ البحر بما يكفي ليختلط بالمحيط على بعد أميال ثم في أحد الأيام وجدنا البحر عاد كما كان، أظنها هدية السماء لنا، بعثت ببرقيات لكل الممالك المحيطة بنا أدعوهم للتجارة لكني لم أتلقَ ردًا، لعلهم خائفون أو ربما يمنعهم الملك أنمار من التعامل معي، الملك أنمار الذي أصبح هادئًا الآن بطريقة تثير الريبة في نفسي، أتمنى من الله أن تكون ظنوني مجرد أوهام لكني أشعر باقتراب الخطر من ناحيته».

ملحوظة: «قَبِّل أمي و ميرانا من أجلي، ربما أزور المنزل قريبًا»

ابنتك رونيم

***

«عزيزتي روني

بعد التحية والسلام وبركات الإله الواحد الأحد أتمنى أن تكوني بصحة جيدة، أسعدتني كثيرًا الأخبار المحملة بالأمل والتفاؤل من ناحيتكِ، أتمنى من الله دوام الصحة والعافية، أما بما يخص زيارتكِ لنا فأرجو الإسراع بها؛ اشتاقت أمكِ لكِ كثيرًا».

قلبت رونيم الرسالة في يدها وأحست بالإحباط، لا توجد تفاصيل أكثر لا توجد حلول، ربما حان الوقت لتعتمد على نفسها، لطالما ظنت أن ملوك الممالك الأخرى يملكون الحل لكن ربما الحلول تقبع تحت قدميها.

نظرت من الشرفة لسكان الوادي يتحركون لتأدية أعمالهم اليومية، فكرت كم سيكون من السهل لو... قفزت في رأسها فكرة مجنونة: لماذا تنتظر وصول سفن الممالك إن كانت قادرة على الذهاب إليهم؟

صرخت فجأة: «شبان!».

اقتحمت شبان الغرفة مسرعة: «سيدتي».

- أسرعي في طلب كل الوزراء.

بعد مضي بضع ساعات انتهى الاجتماع أخيرًا، استطاعت وضع الخطوط العريضة لمشروعها القادم، صنع ثلاث سفن على الأقل وتدريب بعض رجال الوادي على حياة البحر، شعرت بالسعادة لكنها أحست بالخوف أيضًا، لا تعلم رد فعل راين خاصة وأنه لم يحضر اجتماع اليوم.

***

رونيم: «ما زلت غاضبًا؟».

أشاح بوجهه بعيدًا فأكملت: «آسفة حقًا، لكن.. الوادي يحتاج إلى هذا الأمـــ...».

لم تكمل جملتها، صوت الفرقعة المدوية للعمال يدمرون الجبلين ومنزل راين حال دون سماع أي صوت.

راقبته يودع منزله، حاولت التخفيف عنه لكنه هم بالرحيل لذا أسرعت ممسكة بذراعه: «راين آسفة، أتمنى لو...».

راين بهدوء: «لست غاضبًا، تمنيت لو خاطبتني بطريقة مباشرة لا أن تصدري أمرًا دون معرفتي».

- راين أقسم لك ما حدث لم يكن في الحسبان، أنا مخطئة نعم أعترف لكني ظننت أن هناك المزيد من الوقت.

هم بقول شيء ما ولكنه توقف ثم غادر مسرعًا، المزيد من صوت الفرقعة غطى على صوت صرخاتها تناديه.

***

تأكدت من أنها بمفردها ثم حملت المصباح وفتحت باب الراهرو خطت بداخله بضع خطوات ثم وضعت يدها على الحائط المقابل وأغمضت عينيها، تخيلت غرفة أختها ميرانا بكل تفاصيلها، ظهر باب ذهبي اللون عليه شعار عائلتها، أخذت نفسًا عميقًا ثم فتحته ودخلت.

ابتسمت ميرانا ما إن رأتها وارتمت بأحضانها.

ميرانا: «كيف حالكِ، هل أنت بخير؟».

- في الحقيقة لا.. لست بخير، حدثت بضعة أشياء وأريد مشورتكِ.

أخذت بيدها وجلستا على طرف الفراش، قصت رونيم كل شيء، حاولت ألا تعترف بمشاعرها خاصة مع ماضي الوادي وخوفها من تأثير اللعنة لكنها لا تملك التحكم في مشاعرها مثلما لا تملك التحكم في ظهور الشمس أو اختفائها.

انتهت من قول ما عندها وانتظرت كلمات ميرانا، لكن الأخيرة تحركت في الغرفة كأنها قط حبيس.

توقفت فجأة: «أنت تعرفين، أبي ما زال ينظر لراين على أنه تهديد لسلطتكِ».

- نعم أعرف، ماذا أقول ليغير أبي رأيه؟

- روني هل أنتِ واثقة من مشاعركِ؟ أعني لطالما كنتِ...

- كنت ماذا؟

- من فضلك لا تغضبي، أقصد أنتِ الآن ملكة، الجميع سيعاملكِ بطريقة مختلفة ليس بالضرورة أن تكون مشاعرهم صادقة أو كما تظنين أنتِ، ربما تسقطين مشاعركِ على راين لكن في الحقيقة أنه...

- أظنني أستطيع التمييز بين رجل يعاملني بدماثة وآخر يحمل لي مشاعر.

- من فضلك لا تسيئي فهمي، أريدكِ أن تتأكدي من مشاعر الطرف الثاني كي لا يحـ...

- كي ماذا؟ لا تتكرر حادثة روبيم؟

ميرانا صارخة: «أترين؟ لذلك أخشى التحدث معكِ؛ دائمًا تذكرينني بأخطائي».

زفرت رونيم: «لم أقصد، أنتِ فقط لا تعرفين كيف يعاملني».

- أنا رأيت كيف يعاملكِ، لكني أعرفكِ أنتِ وأجهله هو، رونيم يجب أن تعرفي شيئًا عن الرجال: إنهم ليسوا مثلنا لا يستطيعون إبقاء مشاعرهم في الداخل، إنهم لا يتحلون بتلك القوة، إن أحبكِ حقًا سيعترف بمشاعره لكِ.
- أنتِ لم تفهمي بعد، اللعنة تخيف الجميع وراين يشعر بالمسئولية والخوف كما أن السيد تكارون يهدده طوال الوقت بمركزه ويـ...
- إذن مركزه أهم منكِ.

نظرت رونيم لأختها وتسللت بضع دموع على وجنتيها رغم قسوة كلماتها لكنها محقة.

اقتربت ميرانا: «آسفة، لكن.. كما أخبرتني، أنتِ من تعرفينه وتعرفين سكان الوادي، لذلك في النهاية الحكم لكِ»

هزت رونيم رأسها ثم غادرت مسرعة، ميرانا محقة رغم كل شيء.

***

مرت بضعة أشهر والأمور بينهما لم تتغير، ما زال بعيدًا عنها وعن شئون الوادي مما زاد من حزنها، رغم أن السفن أوشكت على القيام بأولى رحلاتها فإن حالتها النفسية تحولت إلى الأسوأ، خاصة مع انتشار أخبار جديدة أن الملك أنمار يقوم بتجهيز جيوشه.

المراسلات بينها وبين أبيها اختفت تمامًا، لم تعرف من أين تبدأ خاصة مع إلحاحه في آخر خطاب على عزل راين من منصبه، إذن ميرانا احترمت العهد بينهما ولم تخبر أحدًا.

كل تلك الأخبار جعلتها توشك على الانفجار خاصة مع تجاهل السيد تكارون لها، لذلك في إحدى الليالي قررت استخدام الراهرو، ستواجه راين لتصفية الأجواء بينهما أو ربما الصراخ في وجهه وغرز سكين برأسه العنيد، وقفت في منتصف الراهرو ثم وضعت يدها على الحائط وظلت تفكر في

منزله الجديد، منذ هدم مسكنه القديم والممر لا ينتهي، يمكنها أن تسبر فيه لمائة عام ولا يتلاشى، كانت النهاية عند راين لكن الآن اختلف الأمر.

مرت بضع لحظات ثم تشكل باب خشبي متهالك أثار في نفسها الخوف لكنها استجمعت شجاعتها وحركته لتجد غرفة شاسعة بها بضعة مقاعد ومكتب صغير عليه بضع أوراق، تجولت في الحجرة ثم فُتِح باب وبرز راين الذي صُدِم ما إن رآها.

راين: «كنت أظن أن رحلاتكِ لمنزلي انتهت».

- لا شيء يقف أمام الممر، أنت تعرف ذلك.

خلع راين سترته ثم تحرك نحو المكتب: «كيف أخدم جلالتها؟».

- بالكف عن أفعالك الصبيانية، حسنًا فهمت أحببت منزلك، آسفة لما آلت إليه الأمور لكن المصلحة العامة أهم.

تحرك من خلف المكتب: «هل يمكنني طرح سؤال؟».

- تفضل.

- لو عاد الزمن وكان أمامكِ فرصة لتغيير ما حدث فهل كنـ...

رونيم مسرعة: «كلا لم أكن سأغير شيئًا، كما قلت مسبقًا، المصلحة العامة».

راين مبتسمًا: «يا له من اعتذار».

- لم آتِ لأعتذر، أنا هنا لـ...

- نعم، لماذا أنتِ هنا؟!

شعرت بالغضب يجتاحها، تريد صفعه، تريد إلحاق الأذى به، إنه أحمق وغبي وهي تحاول، حقًا تحاول الشرح له.

لم تقل المزيد لكنها غادرت، لم تفكر باستدعاء الراهرو بل خرجت من منزله الجديد الذي يقبع فوق أحد الجبال بالقرب من مسكنه السابق، ظلت تسير في الطرق المتعرجة حتى وصلت إلى الوادي، حياها الجميع بتحريك رؤوسهم مبتسمين مما أجبرها على الابتسام وهي في أمس الحاجة إلى الصراخ.

توقفت عن السير عندما لاحظت اهتزاز سطح البركة الصغيرة، تحرك الماء فجأة مما أفزعها وجعلها تتراجع لكن من منتصف البحيرة بدأ شيء

ما في الظهور، اقتربت أكثر ليظهر لها رأس امرأة من منتصف البحيرة لكن الغريب لون شعرها الأزرق كلون البحر.

«تحياتي للملكة المختارة».

اقتربت رونيم أكثر: «أنت الأميرة الثالثة، أليس كذلك؟».

هزت المرأة رأسها وعادت لتختفي في المياه، بضع ثوانٍ مرت ثم ظهرت: «لتحذر مولاتي من سكان الوادي».

نظرت رونيم حولها: «لا تقلقي لقد رحل الأشرار أما من بقي فهم...»

- ألم تفهم مولاتي بعد؟ الموت هدية لا تُعطى إلا لمَن يستحقها، تذكري كلماتي: الموت هدية، وأشد أنواع العذاب أن تقبع على أرض نجسة.

اختفت الأميرة لكن هذه المرة لم تظهر، انتظرت رونيم بضع دقائق ثم أيقنت، حان الوقت لتعود إلى القصر.

أبعدت شبان الفستان الملقى على الأرض من طريق سيدتها: «إذن الأميرة الثالثة ظهرت».

- نعم لم نتجاذب أطراف الحديث لكنها ما زالت تخشى سكان الوادي.

شبان مسرعة: «اللعنة، ما زلتُ أخاف من سكان الوادي كذلك».

قطبت رونيم جبينها: «شبان، أنتِ في أمان الآن أعني الأشخاص السيئين ماتوا أو تحولوا لوحوش تعيش في حشائش البسكان».

- أعلم مولاتي لكني ما زلتُ أتذكر اللفحة الأولى من موجة الجنون التي ضربت الوادي وأصابت جميع سكانه.

- آسفة أنكِ شاهدتي تلك الأمور المروعة.

ابتسمت شبان: «مولاتي لطيفة، ما يخيفني حقًا أني لا أملك ذاكرة عما حدث بعدها، أظنني تحولت إلى أحد تلك الوحوش و..».

اقتربت رونيم: «لا تستحضري تلك الذكريات، ما حدث قد حدث لا يفيد التفكير في الماضي».

- كنت أتحدث مع بعض النساء في الوادي وبعضهن يتذكرن أشياء، كقضم لحم نيء أو طعم الدماء على ألسنتهن.

- لا تتحدثي معهن ثانية، بعض الأبواب من الأفضل أن تظل مغلقة.

مسحت شبان دموعها واستأذنت سيدتها. جلست رونيم تفكر في مصير الوادي لو حدث خطأ ما، ما ذنبها شبان أو غيرها فيما حدث في القصر؟ كم أن تلك اللعنة ظالمة!

***

ارتجفت يداها وهي تقذف بخطاب والدها في نار المدفأة راقبته حتى تحول إلى رماد، لطالما عرفت أن لكل شيء مقابلًا، حتى مساعدة أبيها لها ستدفع ثمنها لكن لم تظن ولو للحظة أن يكون هذا هو الثمن.

مضى زمن منذ أن راسلها أبوها وما إن ظهر أحد الجنود وفي يده رسالة سرية حتى ارتجف قلبها خوفًا، أما الآن وبعد قراءة سطور تلك الرسالة فقلبها يوشك على القفز هربًا، الرسالة بسيطة ولا تحتمل اللبس: أبوها قادم بقيادة جيوش الممالك الأخرى كي يعزلها عن الحكم ويقررون فيما بينهم من سيستلم الحكم بعدها، انتهت أيامها، ستعود إلى الوطن.

تراخت على أقرب مقعد وتمنت لو احتفظت بالرسالة ربما هناك كلمات سرية لا تفهم معناها خاصة مع السطر الأخير والذي يخبرها أن تكون قوية وتؤمن أنه لن يتسبب يومًا في أذيتها، كلمات تبدو واضحة لكنها رغم ذلك مبهمة، تعرف أن موقع الوادي مهم وخطير على باقي الممالك لكنها لم تتخيل توحُّد الممالك الأخرى لإزالتها عن الحكم، لم يمر عام منذ وطئت قدمها الوادي والآن يطالبونها بالرحيل، ألا يعرفون أن اللعنة لم تُرفع بعد؟

الآن أبوها يتركها في معضلة حقيقية ممزقة بين ولائها له وواجبها نحو الوادي، لا يمكنها إنكار أن كل ما وصلت إليه في حياتها بسبب مساندته ومباركاته لكن لديها مسئولية تجاه رعاياها، لكن يبقى السؤال: لماذا يتعاون أبوها مع باقي الممالك ضدها؟ لم تضحِ مملكة واحدة من أجل الوادي، لماذا الآن يتكالب الجميع عليها؟

تحتاج إلى التركيز يجب أن تفهم، لذلك عليها رؤية أبيها أولًا.

***

رونيم مبتسمة: «سنخرج الآن أيها القائد».

- ما زلت عند رأيي، عليكِ البقاء في الوادي...

- كلا، لن أكون هذا النوع من الملوك، عليَّ الدفاع عن أرضي.

راين غاضبًا: «أنت يائسة لتثبتي للجميع أنكِ جديرة بالحكم».

- لن تقول شيئًا يغير رأيي، تقدمني أيها القائد.

اقترب منها كي لا يسمعه رجاله وقال موشكًا على البكاء: «رونيم، لا تكوني عنيدة أتوسل إليك، إن حدث لكِ شيء فـ...».

نظرت إلى عينيه الزرقاوين وتذكرت البحر الذي يقبع أسفل شرفتها في قصر أبيها، ربتت على يده: «لن يحدث شيء، إنه أبي، وأبي لن يؤذيني أبدًا».

راين بحدة: «لكنه جمع الملوك لملاقاتنا في معركة».

اقتربت أكثر منه وبدا وكأنها ستحتضنه لكنها أمسكت ذراعيه: «لا تقلق، فقط ثق بحكم ملكتك».

أشارت إلى الرجال ليتحركوا، تقدمهم راين، تلاقت عيناه بعينَي والده سيعنفه بعد انتهاء الأزمة؛ الوادي بأكمله لاحظ مشاعره لكنه لا يهتم ربما يكذب قائلًا إنه يهتم بها من أجل الوادي، كذبة اعتاد قولها في الآونة الأخيرة ليحفظ ماء وجهه، تحرك مرغمًا وصعد إلى حصانه ومن خلفه رونيم تمتطي حصانها الأبيض يتبعهما كتيبة من الجنود.

اقترب الجيشان واحد بقيادة راين والآخر بقيادة أبيها ومن خلفه باقي ملوك الممالك الأخرى وبالأخص الملك أنمار الذي قاد الجناح الأيسر للجيش.

تحدث الملك يسرجين: «أيتها الأميرة اجتمعنا اليوم لمناقشة تلك الشائعات التي تحيط بمملكتك عن استخدامكِ السحر للتسلل لأي باب تريدين».

تقدمت رونيم بحصانها حتى وصلت إلى راين وطلبت السير بجانبها حتى وقفت أمام الملوك الثلاثة وقالت بصوت مرتفع: «سيدي لَمِن العجيب أن تُدار المناقشات بين الملوك في ساحة الحرب وليس على طاولة الحوار».

الملك أنمار مسرعًا: «مِن العجيب أيتها الأميرة الصغيرة إطلاق وحوشكِ على مملكتي».

راين غاضبًا: «خاطبها بالملكة رونيم».

ارتعشت رونيم على حصانها، راين سيقطع عنق الجميع إن لم تهدأ: «الوحوش لم تخرج يومًا من الوادي، ظننت أنك هنا بسبب السحر، أليس كذلك؟».

هَمَّ أنمار بقول شيء ما لكن الملك يوجدين -ملك مملكة «تلفرون»- تحرك بحصانه ليواجهها قائلًا بصوته العميق: «مولاتي ضعي نفسكِ مكاننا، لم تكملي عامًا واحدًا ولديك ميناء وثلاث سفن، البعض يتحدث عن سحر جعل السماء تمطر لأيام ليمتلئ البحر، ألا ترين معي أن الأمر غريب؟».

- لقد بارك الإله الوادي، لِمَ لا تتمنى لي الخير؟

تقدم أنمار لكن أباها قطع الطريق: «كفى الآن محادثات لا فائدة منها، أحضري الدليل الآن وإلا ستدك جيوشنا الوادي وتعزلكِ عن منصبكِ».

شعرت رونيم بتوتر راين من خلفها لذلك نزلت عن حصانها ثم أشارت لبعض الجنود، تحركت صفوف الجيش وبرز حارسان بينهما رجل مضطرب.

الملك يسرجين: «من هذا؟».

تعرف راين على الفور على المزارع أروم جاسوس الملك أنمار.

تقدم الرجل حتى وقف أمام الجميع، أشارت له رونيم: «تحدث الآن وإلا قطعت رأسك».

أروم بصوت مرتعش: «اسمي أروم أملك مزرعة قريبة من الوادي وفي إحدى الليالي وصلني مبعوث ملكي وأمرني بتشويه بعض من ماشيتي والذهاب إلى ملكة الوادي لاتهام وحوشها بمهاجمتنا كما أمرني بنشر البلبلة والشائعات وإثارة الخوف في نفوس باقي المزارعين».

ترك الملك يوجدين حصانه واقترب من رونيم: «وما دليلك؟ ربما هي كذبة لقنتها للرجل».

ابتسمت رونيم: «لأن يا مولاي المبعوث الملكي يخص مملكتك».

صرخ يوجدين: «كاذبة، لم أفعلها».

نظر إلى أبيها والخوف يتملك منه: «لم أشأ الحضور من البداية، يسرجين صديقي أنت تعرفني أنا لا أحيك المكائد».

رونيم: «بالطبع، ستُظهر للجميع أنك لم تُرد الحضور حتى تبعد الشبهات عنك».

تحرك حصان الملك أنمار: «ما زلتِ لا تملكين دليلًا أيتها الأميرة».

ابتسمت رونيم ثم أشارت للمزارع فأخرج من جيبه خطابًا ملكيًا عليه شعار مملكة تلفرون (الوردة الزرقاء) مع حقيبة تمتلئ بالنقود الذهبية وسكبها على الأرض فظهر للجميع شعار المملكة.

تجمد الملك يوجدين وظهرت الصدمة على وجهه.

هاج حصان الملك أنمار وقال بصوت مرتفع: «إنه أنت الخائن، هلم عزيزي يسرجين لنقتص منه».

تبادل يسرجين وابنته النظرات ثم أشار إلى حراسه فالتفوا حول الملك يوجدين.

يسرجين: «عزيزي الملك أنمار هل تشهد معي إن سئلت في المحاكمة بعد قطع رأسه؟».

الملك أنمار: «بالطبع عزيزي، هلم واقطع رأس الخائن بسيفك».

اسْتل الملك يسرجين سيفه ثم تقدم من الملك يوجدين المذهول وأشار لحراسه فتحركوا ليلتفوا حول الملك أنمار وبحركة واحدة قام بعض الجنود بجذب الملك ليوقعوه عن فرسه، سار الهرج والمرج والتف جيش مملكة مورينان حول جنود مملكة المعيوران، صرخ الملك يوجدين فلم يعد يفهم أي شيء.

رفع الملك يسرجين يده: «عزيزي الملك أنمار، هل ظننتني غبيًا لأصدق أن يوجدين يكيد لابنتي؟».

أشار لرونيم المرتعشة خلف مظهرها الثابت ليس رهبة من الموقف لكن بسبب راين، إنه يخترقها الآن بنظرات اللوم.

أكمل الملك يسرجين: «عزيزي يوجدين، هناك خائن في قصرك، الملك أنمار لم يشتهِ الوادي بل مملكتك، أراد بخطته قطع رأسك على يدي ليتخلص منك ويضعف موقفي، ابعث ببرقية إلى حدودك يا سيدي؛ جنود أنمار تتربص للهجوم».

***

«استغرق الأمر يومين حتى هدأت العاصفة، ويومين آخرين حتى رحل الجميع، لم يتم القصاص من الملك أنمار، الحياة ليست مثالية إلى هذا الحد، كلا، الملوك تهرب من العقاب، تفر بمكائدها وخيانتها وكأن شيئًا لم يكن، بالطبع سيخبر جنوده المملكة عما حدث له، الجميع سيعرف عما حدث هنا، أبي قال إنه كسر أنفه وهذا عقاب كافٍ لرجل بمكانته، رجل بغروره، لكن لا أعرف عزيزي روبيم أظنه أفلت من العقاب، لكن مرة أخرى أفكر ماذا كنت أنتظر؟ أن تتنزل شهب من السماء وتطيح به، كلا ربما عقاب الطرد يكفي حتى هذا الحين».

صديقتك المخلصة دومًا

رونيم

أنهت وضع الخطاب في ظرف ثم قبل أن تغلقه، فُتح الباب وبرز راين، أحنى رأسه في تهذيب: «مولاتي».

وقفت ترحب به: «راين، أود التحدث معك عن أمر مهم، ألن تجلس؟».

- أنا مستريح هكذا.

زفرت رونيم: «لم تسامحني بعد».

هم بقول شيء لكنه توقف كأن صراعًا يدور داخله، تنفس ليهدِّئ من نفسه ثم حاول التحدث فاختنق صوته، نظر لها معاتبًا ثم رحل.

تهاوت على أقرب مقعد وبدأت في جلد نفسها، مر يومان وهو يرفض التحدث معها، ربما تكتب خطابًا لميرانا تستعين بخبرتها مع الرجال أو ربما تبعث بخطاب لأبيها تخبره بقرارها النهائي لكن عليها أولًا التحدث مع راين.

***

قطعت الممر الطويل للراهرو ثم وقفت أمام باب خشبي طويل، تنفست وفتحت الباب لتجده يقف في منتصف الغرفة مرتديًا بذلته الكاملة، إذن قرر أن تكون المقابلة رسمية.

تفحصت الغرفة بعينيها وانتقت مقعدًا لتجلس: «هل تشعر بالراحة في منزلك الجديد؟».

رماها بنظرة غاضبة، ندمت على طرح سؤالها الغبي.

- راين من فضلك، أريد التحدث.

لمعت عيناه: «أما أمكنكِ إخباري؟».

- الأمور كانت مبهمة وقتها.

- لا أجد حجتكِ مقنعة، أنتِ تأتمنينني على روحكِ، فلِمَ لا أطلع على أفكاركِ؟

- وعد أبي، ولم أجد الوقت الكافي لإخبـ...

صرخ راين: «ولكنك تجدين الوقت لتحيكي المكائد من خلفي».

- من فضلك اهدأ.

- لديك وقت لكتابة الرسائل لحبيبكِ القديم لكن لا وقت لراين.

همت بقول شيء ما لكنها توقفت وقالت بحزم: «أعتقد أن الوقت حان لتتخلى عن منصبك».

ألقت تلك الكلمات وغادرت لم تشأ إنهاء الأمور بينهما بتلك الطريقة لكن ربما هذا أفضل للجميع.

***

راقبت الأمواج ترتطم بحافة الميناء، تذكرت وطنها فتسللت دموعها.

«ربما التحدث معه بهدوء سيحل جميع المشاكل».

نظرت لوصيفتها وأيقنت أن الوقت تأخر لتدعي أنها مصابة بالبرد، حررت دموعها أخيرًا فبللت وجنتيها: «كلما أحاول التحدث معه أشعر.. وكأننا نبتعد أكثر».

اقتربت شبان: «حالته أسوأ؛ زوبال يخبرني كل شيء».

التفتت رونيم لها: «لا تعرفين كيف تحدث معي».

- أعرف السيد راين وأعرفكِ أيضًا، ربما غضبكِ لإخفاء إحساسكِ بالذنب.

- أي ذنب؟!

- أخبركِ حقيقة شعوري ولا أدَّعي الحكمة لكني مؤمنة بكِ؛ فعلتِ الأفضل للجميع، سيدي راين متهور بعض الشيء خاصة فيما يخص الملك أنمار وربما تشعرين بالذنب بسبب تجاهلكِ له.

- ماذا تقصدين؟

- أقصد تحملتِ الأسوأ منه، لماذا الآن؟ آسفة مولاتي.. لم أقصد.

مسحت دموعها: «شبان سأخبركِ شيئًا مهمًّا، لكن أقسمي لي ألا تخبري أحدًا».

- بالطبع مولاتي.

- شبان.. أنا.. أنوي جعل راين حاكم الوادي و.. زوجي.

فتحت شبان فاها دون صوت، ثم تهاوت على أقرب مقعد: «عفوًا سيدتي.. لكن.. اللعنة، أقصد ليس وكأني ألعن زواجكِ به لكن اللعنة التي سلطت علينا كيف سيؤثر عليها الزواج؟».

- لا أعرف، حقًا لا أعرف شيئًا، أظنني واقعة في غرامه.

أول مرة تقولها بصوت مرتفع، ربما مرت الفكرة برأسها مئات المرات لكن تلك أول مرة تمتلك الشجاعة وينطلق لسانها، ربما راوغت أختها، ربما ستدَّعي أمام أبيها أنه الحل الوحيد لإنقاذ الوادي من حرب أهلية مستقبلًا لكنها تعرف هي واقعة في الغرام وكفى.

***

تطلع راين إلى وجه الحارس وود لو كال له اللكمات لكنه لا يستطيع، ليس بعد الآن؛ إنه مجرد رجل آخر لم يعد الرجل الذي ترتعد له جنبات الوادي رجاله ووحوشه، هذا الحارس ترك مكان مراقبته ليغازل امرأة ما، الأحمق، عليه إخبار مساعـ.. القائد زوبال.

حمل طعامه ثم صعد الجبل، ألقى نظرة على الوادي واعتصر الألم قلبه، تخيل أن حروبًا ستقام من أجله، أفنى سنواته من أجل خدمتهم لكن لا شيء ولا حتى عبارات العرفان بالجميل، الجميع سكت خوفًا منها، الملكة المتوجة وأبيها المستبد، كلا لا يمكنه لوم سكان الوادي إنهم مساكين يخشون عودة اللعنة أو الأسوأ معاقبتهم من الملك يسرجين لو تجرأ أحد ووقف أمام ابنته المدللة، الملك الظالم انظر لما فعل بالملك أنمار، قضى على رجولته أمام الآلاف من جنوده، لكن أنمار وغد يستحق ما حدث له ليحترق في الجحيم.

بدأ في صنع طعامه مفكرًا في تغير حياته المفاجئ، من أين سيعيش الآن؟ لم يهتم سابقًا بصنع المال، عليه الآن امتهان حرفة ما، في أي شيء هو جيد؟ لم يعرف طوال حياته إلا الحياة العسكرية وخدمة الوادي، للأسف مهاراته تلك لن تفيده الآن.

سمع دوي انفجار وأنيرت سماء الوادي بألوان زاهية، خرج مسرعًا يحمل سيفه لكنه وجد الجميع يضحك، اللعنة ماذا أصاب الوادي؟ بالطبع تتوسط الجميع مستعرضة فستانها الضخم متمايلة أمام الرجال، تذكر أنه يوم وصول السفن من الممالك الأخرى للتجارة، تحتفل كالحمقاء بهم، مَن أرادوا احتلالها منذ بضعة أشهر.

عاد ليجد طعامه احترق، ألقاه من النافذة ثم عاد يتأمل سماء الوادي متذكرًا ماضيه المجيد.

***

مدت يدها تتلمس جسدها وتصارعت الذكريات في رأسها، تتذكر أول مرة ارتدت فستان زفافها الأبيض كيف شعرت لم تكن خائفة لكن مترددة بسبب ابتعاد روبيم عنها في تلك الفترة، أما الآن تشعر بالهلع، توشك على الركض صارخة في جنبات الوادي، على الأقل روبيم تقدم لها بشكل رسمي أما راين فهو يبغضها، لماذا طلبت من خادمتها صنع فستان زفاف لها؟! لديها عادة استباق الأحداث أو كما قالت ميرانا ربما تسقط مشاعرها عليه، لماذا تقحم نفسها في هذه المأساة؟! عزلته منذ أشهر وطوال تلك المدة لم تره ولو مرة واحدة، بالطبع تتسلل ليلًا لتراقب منزله لكنها لا تستطيع دخول الراهرو وإلقاء نفسها بين ذراعيه.

تطلعت إلى وجهها فوجدت الدموع تغرقه فأسرعت تخلع الفستان وتتفحص جسدها متسائلة: هل هي جميلة بما يكفي ليحبها رجل مـ؟ هل يرغب بها راين أم أنها...؟

تحرك الباب خلفها فأسرعت خلف الساتر لتمسح دموعها وترتدي فستانها.

شبان: «هل مقاسه مناسب؟».

حاولت التماسك: «نعم، الفستان رائع شكرًا لكِ».

خرج صوتها مرتعشًا مما جعل شبان تقترب: «هل مولاتي بخير؟»

لعنت نفسها: «نعم بالطبع أنا بخير».

استدارت لشبان لتغلق لها الفستان من الخلف: «هل الفستان الآخر جامز؟».

ابتسمت مشيرة لفستان أزرق: «ما رأيكِ؟ هل يناسبك؟».

هزت رأسها: «نعم، أي فستان سيفي بالغرض».

***

بخطوات سريعة خطت داخل الممر الرخامي حتى وصلت لغرفة الاجتماعات، أخذت نفسًا عميقًا ثم دلفت.

رونيم: «القائد راين، كيف حالك؟».

تطلع راين إليها غاضبًا فتساءلت عما فعلته.

رونيم: «ما الأمر لماذا أنت غاضب هكذا؟».

راين بسخرية: «ألا تعرفين من هو قائدكِ؟».

صححت كلامها: «آسفة أنا.. لم أقصد..».

- حسنًا، ما الأمر العاجل الذي حضرت من أجله.

تنفست رونيم: «راين اجلس من فضلك نحن لم نتحدث منذ وقت طويل، أعني اعتدنا الحديث طوال الوقت والآن لا نتقابل على الإطلاق».

- وخطأ مَن هذا؟!

- راين من فضلك، ألا يمكننا فقط...

راين بحزم: «لا أظن أنه تم استدعائي من أجل الثرثرة مع جلالتكِ».

شعرت بغصة في حلقها وخرج صوتها مرتعشًا: «كلا، أقصد زوبال يحتاج مساعدة في ضبط حركات الجنود عنـ...».

- ما دام زوبال يحتاج مساعدتي ليأتِ لي.

غادر وتركها تحاول كتم نحيبها.

ظل يسب ويلعن كل مَن يقابله؛ تعجب الجميع من الحالة التي وصل إليها وتساءلوا هل بدا مجنونًا وغاضبًا هكذا طوال الوقت أم أنه تحول فجأة؟ دخل لمنزله محطمًا الأثاث ثم توقف فجأة، أبوه يراقبه مذهولًا.

- ماذا تريد؟

قالها راين وهو يتحرر من سترته.

- في الحقيقة يا ولدي إنها ليست مسألة ماذا أريد، بل مسألة ما تحتاجه أنت لتسترد رشدك.

راين غاضبًا: «لست رائق المزاج لحل ألغازك الكلامية».

وقف السيد تكارون: «بكلمات بسيطة تناسب الحالة العقلية الوضيعة التي وصلت لها متى ستفيق من أوهام العظمة خاصتك وتلحق بي في المجلس لتستلم عملك الجديد؟».

صرخ راين: «اللعنة عليها أنا لن أصير خادمًا لها».

صرخ السيد تكارون بدوره: «هل جننت؟ أنت رئيس المجلس ولك سلطة أكبر من سلطة الملكة، لا نستطيع اتخاذ قرار في الوادي دون إذنك».

راين ساخرًا: «وكأن هذا منعها من قبل».

- لذلك أنشأت المجلس وفوضتك رئيسًا رغم اعتراضي.

- تقصد عزلتني من منصبي، طردتني شر طردة.

- أي طردة يا ولدي؟ إنها.. رفعت من شأنك.

راين صارخًا: «اخرس، أي شأن هذا؟! أنا القائد راين، منقذ الوادي وسيد وحوشه».

تراجع مذهولًا: «راين، حالتك أسوأ مما توقعت، آسف يا ولدي».

أسرع أبوه خارجًا من المنزل فصفق الباب خلفه غاضبًا يلعن الجميع ويفكر في من السبب فيما آلت إليه الأمور، تلك التي تحتل القصر وتقيم الحفلات الماجنة، رونيم الأميرة القبيحة، سرقت الوادي والمجد وكل شيء حتى احترام أبيه له، تذكر حاله من قبلها وما أصبح عليه بعد أن أصابته تلك الملعونة، عليه تحرير الوادي من جبروتها وقسوتها.

***

أغلقت شبان الباب بحذر، كفت عن البكاء أخيرًا واستغرقت في النوم، راين الأحمق، لِمَ عليك أن تكون وغدًا مع المسكينة؟ إنها تحبك، لمعت في رأسها فكرة، راين لا يعلم بمشاعرها، إنه قائد عسكري لا يهاب شيئًا لكنه معاق المشاعر، لتذهب وتخبره أن الملكة تحبه ربما ترتب لهما لقاءً سريًا بعيدًا عن أعين الجميع لكن لتتأكد أولًا من مشاعره.

رتبت أفكارها وتوجهت لمنزله، تخيلت نفسها يوم زفافهما تلقي الورود عليهما، ارتعش جسدها ودمعت عيناها، رغم ما رأته من أهوال فإنها تؤمن بالحب.

استيقظت من تخيلاتها على صوته الغاضب يأتي من خلف الباب.

شبان: «القائد راين، تحياتي».

راين غاضبًا: «عليكم اللعنة جميعًا، لم أعد قائدًا».

ارتعشت خوفًا: «سيد راين، هل يمكننا الحديث بهدوء؟».

زفر كثور هائج ثم سمح لها بالدخول.

تذكرت جنون الرجال بعد الموجة الأولى من اللعنة فجلست عند أقرب مقعد للباب خوفًا مما قد يحدث.

شبان: «سيد راين أُكنُّ لك كل احترام وتقدير لكني أريد التحدث معك في موضوع حساس يخص الملكة».

تراخى راين على أقرب مقعد: «أكملي، ما أمرها الآن؟».

لاحظت نبرته الساخرة: «سيد راين، الملكة شخص حساس وشخصيتها معقدة بعض الشيء لكنها طيبة القلب، أقصد لا تقصد شرًا لأحد».

- حقًا! قولي هذا للملك أنمار.

تعجبت منه: «سيدي، الملك أنمار رجل سيئ حاول هدم الوادي فوق رؤوسنا».

- نعم، بالطبع لكنها أهانته أمام الجميع كما أهانـ...

توقف راين للحظات وبدا وكأنه يفكر ثم قال بهدوء: «أكملي من فضلكِ».

- حسنًا سيدي، الملكة لا تعلم بقدومي إلى هنا، تصرفت دون علمها.. والآن.. أشعر أني...

راين ضاغطًا على أسنانه: «شبان، ما الأمر؟ فأنا أريد النوم».

خفق قلبها ووضح لها الآن سخف فكرتها: «سيد راين هل تحـ.. أعني ما مشاعرك تجاه الملكة؟ إن جاز لي سؤالك».

- لا يجوز لكِ.

شبان غاضبة: «اللعنة، إنها تحبك فما مشاعرك تجاهها؟».

وقف راين: «مـ.. ماذا تقولين؟!».

شبان بتردد: «أعني أنها تكن لك المشاعر، ألم يكن هذا واضحًا لك؟!».

راين بشرود: «كلا! إنها تهتم بمصلحتها فقط لم تهتم بي يومًا».

- كلا، أنت لا تراها تبكي بعد كل لقاء بينكما، لا ترى عينيها تتابعك في كل مكان، خوفها وتعلقها بك يزداد يومًا بعد يوم.

لم يعلق راين بل ظل ينظر لها وأنفاسه تتلاحق كأنه يوشك على الانفجار فقررت ضرب الحديد وهو ساخن: «سيد راين، فقط اسمعها بقلبك ودع تلك الشكوك التي تمزق أفكارك، مولاتي رونيم تهيم بك حبًا واستدعاؤها المتكرر لك في الفترة الأخيرة لتبوح لك بمشاعرها».

جلس راين مفكرًا: «لكنها، لم تقل شيئًا».

- كأنك سمحت لها، قصت عليَّ كل ما دار بينكما، في آخر لقاء بينكما لم تجلس لتسمح لها بالحديث.

تذكر الأحداث بدت بالفعل وكأنها تريد قول شيء.

- حسنًا وما المطلوب مني؟

- ألا.. أن.. لا أعرف.. أن تحبها، أقصد هل تحبها؟ هل تكن لها أي مشاعر؟

لم يجبها راين بل توجه إلى النافذة ينظر للقصر النائم: «حسنًا، أوافق على التحدث معها والاعتراف لي بمشاعرها».

- تعترف لك! لكن ماذا أنت بفاعل؟ أعني هل تنوي الاعتراف لها بحبك؟

ابتسم ثم توجه إلى الباب ليفتحه: «هلا أبلغتني بموعد لقائنا؟ أحترق شوقًا لمقابلتها».

تسارعت ضربات قلبها متسائلة عما يدور في رأسه لكنها وقفت: «سيد راين، أتوسل إليك، لا تكسر قلب المسكينة، إنها تحبك بحق».

ابتسم لها ثم أغلق الباب خلفها.

***

تجرعت شبان ما تبقى من كأسها ثم أكملت: «مولاتي.. آسفة».

صارعت رونيم لتلتقط أنفاسها: «اللعنة، اللعنة، ماذا سيقول؟ أتذلل له؟!».

- للمرة المائة يا مولاتي، أخبرته أنكِ لم تبعثيني.

رونيم صارخة: «وهل سيصدقكِ؟»

- بالطبع صدقني، إنه ينتظر سموكِ لتحديد موعد.

- كلا لا يمكنني، انظري سنشيع في القصر أن عدوى ما أصابتني ثم ألزم الفراش لأسبوع أو اثنين فينسى.

- مولاتي، لا أظنه سينسى شيئًا كهذا.

- اللعنة يا شبان لماذا أخبرتِه؟ لما.. أنا...

شبان مسرعة: «لأن الوقت حان لتحصلي على سعادتكِ، مولاتي ألا ترين؟ تلك المنازعات بينكما يجب أن تنتهي».

رونيم باكية: «ألا ترين أنتِ؟ نزعت ما تبقى من كرامتي وكبريائي، إنه يعلم، لا بد وأنه كان يعلم أني واقعة في غرامه، جميعهم يعلمون عندما تهيم امرأة ما بحبهم ويخفون تلك المعرفة عندما لا يريدون هذا الحب، شبان.. أنتِ..».

- سيدتي، لم أقصد.. كما أننا نتحدث عن القائد راين، إنه ليس كباقي الرجال، إنه مصاب بتأخر في مشاعره.

مسحت دموعها: «حسنًا، ماذا قال لكِ بالضبط؟».

- فقط ينتظر رؤيتكِ.

- حسنًا، لا داعي لتأجيل المحتوم، لأقابله الليلة.

***

مرة أخرى تنظر لانعكاسها في المرآة متفحصة رداءها، قامت شبان بعمل رائع في تعديل فستان زفافها القديم واضعة طبقة من الشيفون الذهبي فوق الستان الأبيض وزينت رأسها بتاج ذهبي صغير، لا تعرف هل تشعر بالسعادة والثقة أم بالقلق، تعرف حظها السيئ مع هذا الفستان بالذات.

ظهرت شبان من خلفها مبتسمة: «هل مولاتي مستعدة؟».

هزت رونيم رأسها: «أين سأقابله؟».

شبان: «فكرت في غرفة منعزلة.. ما رأيك في غرفة الحرس القديمة؟ غرفة صغيرة بعيدة عن صخب القصر يمكنكما التحدث بها كما تريدان وتطل على الوادي إن حدث شيء».

- شيء مثل ماذا؟

- لا شيء، فقط لتشعري بالأمان.

أخذت رونيم نفسًا عميقًا ثم تحركت متوجهة إلى الغرفة، شبان محقة، الغرفة صغيرة هادئة بها نافذة تطل على الحديقة الجانبية للقصر يمكنها رؤية جانب من الوادي وتلك البحيرة الملعونة.

تنفست بعمق ثم استدارت لتشهق فزعًا.

رونيم: «راين لم أشعر بقدومك».

اقترب راين منها وشبح ابتسامة على شفتيه: «لم أقصد إخافتكِ، كنت.. أتأملكِ».

تسارعت ضربات قلبها محاولة ترتيب أفكارها لتتحدث.

- راين، أنا.. أخبرتك شبان عن مشاعري وأنا.. راين أنا أحبـ...

توقفت عن الحديث، راين اقترب منها حتى التصق جسداهما لتشعر بألم رهيب يجتاح جانبها الأيسر، حاولت التحدث لكنه طبع قبلة على شفتيها: «وأنا أيضًا أحبكِ».

قالها ثم ابتعد، شعرت بدفء غريب يتسرب على ساقها اليسرى ثم لاحظت ما يحمله في يديه، تلك السكين الملوثة بالدماء، تهاوت أرضًا ثم بدأت تفهم...

«لـــــ.. لماذا؟!»

قالتها باكية، الدماء تتدفق من جانبها وراين يتأملها كأنه يراها لأول مرة، حاولت الوقوف لتهرب منه لكنه اقترب مرة أخرى رافعًا السكين ليغرزه بجسدها، أغمضت عينيها مستسلمة لمصيرها لكنها سمعت صرخة ففتحت عينيها لترى شبان تمسك بيديه وتصرخ بها لتهرب، استندت على الحائط ثم خرجت مترنحة من القصر إلى الحديقة، يمكنها سماع شبان تتعارك معه ثم فجأة توقف الصوت، نظرت خلفها فوجدته يركض نحوها، حاولت الهرب لداخل القصر لكنه قطع عليها الطريق فأسرعت إلى الوادي الخالي من السكان في هذا الوقت من الليل.

ركضت صارخة حتى وصلت إلى البحيرة، الآن لا يوجد مكان تهرب إليه نظرت خلفها فكان لها بالمرصاد، تفحصت المكان حولها لعلها تجد ما تختبئ خلفه فإذا بسطح الماء يضطرب لتظهر منه الأميرة ذات الشعر الأحمر قائلة: «ألم أقل لكِ؟ ستأتين يومًا لي وخنجر خيانتهم في صدركِ».

ارتعش جسدها بعد سماعها تلك الكلمات، راين يقترب والبحيرة خلفها والأميرة تتوعد لها، إما الموت على يده وإما تجرب حظها مع هذا الكائن العجيب.

اقترب منها فتراجعت حتى تبللت ساقاها من البحيرة.

رونيم باكية: «راين من فضلك توقف».

ثم بحركة واحدة قفزت الثلاث أميرات بألوانهن البراقة ليأخذن جسدها ويغصن لقاع البحيرة.

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

الفصل الخامس

(اختفاء الراهرو)

صرخت ميرانا وهي تقذف وصيفتها بزجاجة العطر، انحنت الوصيفة بتهذيب ثم أسرعت خارج الغرفة، تطلع روبيم إليها غاضبًا وغادر، وقفت وحيدة في منتصف غرفتها تبحث عن أي شخص يساعدها، الجميع رحل وتركها، منذ رحيل رونيم وهي تقف وحيدة، لعنت نفسها فقد رغبت برحيلها كي لا تحمل ثقل الذنب كلما رأتها.

نظرت لانعكاسها وسقطت على أقرب مقعد، لا تطيق رؤية وجهها، لا تطيق صوت أفكارها، لن تجد أحدًا يحبها بصدق بعد أختها، جميعهم خائنون، أبوها وقع صريع المريض عند سماعه خبر اغتيالها وأمها لا تفارق فراش أبيها بحجة مرضه لكنها تعرف أنها تتهرب من مسئولية قتل رونيم مثلما تفعل هي، حدقت إلى يدها ورأت دماء أختها تتسلل على أصابعها، ربما ذلك الوغد راين طعنها ولكنها تعرف، هي من غرزت السكين الأولى.

صوت طرقات ضعيفة على الباب ثم تحرك لتبرز وصيفتها تحمل فستانًا أسود هذه المرة هو قاتم لا يحمل أي علامات ذهبية أو أي شعار للملكة، فقط أسود كليلة دون قمر.

«أعتذر لسموكِ».

أوقفتها ميرانا: «آسفة، أنا مَن عليها الاعتذار».

- أقدر حزنكِ مولاتي.

رحلت الخادمة مسرعة، انفجرت ميرانا في البكاء للمرة الرابعة هذا الصباح وبخطوات متثاقلة توجهت لردائها الأسود وساعدت نفسها على ارتدائه، مرت بضع دقائق ثم توجهت إلى القاعة، قررت قيادة جيوشها لتدك الوادي على سكانه ووحوشه لكنها أولًا ستمسك بالوحش راين لتذيقه شتى أنواع العذاب، سيتوسل لتحرر روحه من جسده الفاني، كلا لن تسمح له بالموت دون معاناة، لن تسمح بموته حتى يدفع ثمن خيانته، تذكرت أنها شجعت رونيم على الدخول في علاقة معه فتوقفت لتقرص ذراعها، شيء اعتادت فعله في الفترة الأخيرة خاصة عندما هجر روبيم فراش الزوجية، تعاقب جسدها بتشويهه؛ لن يستخدمه أحد، كلما تذكرت ما فعلته برونيم توجه إساءة لجسدها حتى تحول جسدها الأبيض الجميل إلى كتلة من الكدمات باللون الأزرق والأحمر، فكرت في تمزيق جلدها بخنجر صغير لكنها خافت من تسلل الدماء إلى ملابسها وملاحظة أمها لذلك، أكملت مسيرتها حتى وصلت إلى القاعة صعدت بضع درجات حتى المنتصف، رجال المملكة جميعهم حاضرون، «كالبان» حماها ومستشار الملك، ممثل الشعب السيد «مردان» قائد جيوش المملكة «نمسران» وغيرهم من مسئولي المملكة جميع الوزراء وحكام الولايات القريبة، حتى مبعوثو الممالك الأخرى ينتظرون قرارها بفارغ الصبر.

انتظرت بضع لحظات حتى هدأت القاعة ثم تحدثت: «أرحب بكم أعزائي الحضور من داخل وخارج المملكة، وأشكر جميع من بعث لنا ببرقيات وخطابات التعزية، نشعر بتواجدكم ونسمع صلواتكم من أجل عائلتنا».

ارتفع صوت الحضور فرفعت يدها: «وأحب أن أشير لـ...».

- كيف حال الملك؟

قالها أحد الحضور، نظرت نحوه ضاغطة على أسنانها: «جلالة الملك يقبع في غرفته حزنًا على ابنته لنحترم ذلك».

أخذت نفسًا عميقًا لتهدئ من نفسها ثم أكلمت: «وحتى يخرج من فترة الحداد قررت أنا ميرانا يسرجين ولي عهد المملكة بعد موافقتكم بالطبع، التحرك بالجيش لدك تلك المملكة الملعونة والانتقام لخيانتهم».

هللت القاعة وتبادل الجميع النظرات، لم تكن مهتمة بأحد إلا القائد كالبان مستشار الملك، وموافقته ستخرس جميع الأصوات المعارضة لقرار الحرب.

وقف السيد مردان ممثل الشعب: «عفوًا مولاتي لكن قرار الحرب ليس سهلًا، كما من الأفضل لو تحدثنا بمفردنا لنرتب أفكارنا قبل التحدث أمام الشعب».

لم تلتفت ميرانا لما قاله: «أيها السادة علينا إظهار القوة والانتقام لمواطنة لنا».

ضجت القاعة ثانية لذلك وقف كالبان ليهدئ من الحضور: «عفوًا مولاتي، قرار الحرب من حق الملك فقط، وإني لأقدِّر مشاعركِ لكن الملكة رونيم أصبحت تتبع مملكة أخرى، كما أن مهاجمة مملكة يعني الحرب على كل الممالك، إنه العرف بيننا».

استشاطت غضبًا وهي تسمع حماها يعارضها: «لكنها رونيم من ماتت ليست أميرة من الممالك الأخرى، إن لم نفزع لموتها فمتى سنتحرك؟!».

وقف أحد رجال المجلس الشعبي: «مولاتي، علينا عرض الأمر على المجلس الموقر لنناقشه أولًا ثم نتخذ قرار الحرب من عدمه».

تنفست وقالت بهدوء مصطنع: «وإلى متى سننتظر؟».

كالبان: «حتى يقرر المجلس مولاتي، الحرب ليست هينة، ولا نعرف إن قررنا دك المملكة المطموسة فأي كوارث علينا تحملها».

حظي حديث القائد باستحسان الحضور ورأت أنها خسرت المعركة، انسحبت تسب وتلعن حماها.

***

ميرانا صارخة: «كيف؟! كيف يجابهني؟ إنه يتحدى سلطتي كولية للعهد».

لم يعقب روبيم بل جلس هادئًا أمام زوجته التي تستشيط غضبًا.

توقفت عن الصراخ كأن فكرة مجنونة لمعت في رأسها فاقتربت من روبيم: «ربما أبوك يخطط للإطاحة بي وتوليك أنت العرش».

صرخ روبيم: «توقفي، أنت مجنونة كأبيك، تشككين في أبي الذي خدم المملكة أكثر من أي شخص آخر».

ميرانا صارخة: «مجنونة كأبي، إذن تلك خطته، سيعزلني مع أبي ويلصق بنا الجنون».

- ألا تسمعين صوتكِ؟ ألا تفهمين الكلمات التي تخرج من فمكِ؟ ميرانا أتوسل إليكِ لتهدئي وتأخذي وقتًا للحداد على روحها لا أنـ...

صفعته بقوة حتى اختل توازنه وأوشك على السقوط، نظر لها مذهولًا فقالت: «رونيم لم تمت، إنها فقط حبيسة تلك اللعنة وأنا من سيحررها».

تساقطت دموع روبيم على وجنته وتوجه إلى الباب: «رونيم رحلت عن عالمنا، تقبلي هذا كما تقبلت أني أنا السبب في مأساتها وأنا ألعن نفسي في اليوم مائة مرة».

ألقى تلك الكلمات ثم رحل، قذفت خلفه زجاجة عطر أخرى ثم ارتمت على أقرب مقعد باكية، قُتلت أختها ولا تستطيع حتى القصاص لها، ربما أملها الوحيد الآن تجاوز أبيها مرضه لينتقم من المملكة الملعونة.

***

ضجت القاعة بضجيج الرجال وصراخ النساء ثانية، حاول زوبال تهدئتهم لكنه فشل فنظر إلى السيد أقروم يستنجد به

وقف السيد أقروم فهدأ الجمع قليلًا: «أحب طمأنة الوادي، إن طلب الأميرة ميرانا بالزحف إلينا قد قُوبل بالرفض من مجلسها».

هلل الجمع معلنًا صيحات الارتياح.

أكمل أقروم: «لكن علينا التفكير في أسوأ الاحتمالات، أعني ماذا لو وافق المجلس أو قرر الملك يسرجين تنصيبها ملكة؟ عندها لن يستطيع أحد معارضتها».

تعالت أصوات الاستنكار وصرخت امرأة ما فرفع السيد أقروم يده: «يمكننا النجاة لو أظهرنا الاتحاد والقوة، أعزائي سكان الوادي، أظن القدر أمهلنا بعض الوقت لعلنا ننجو من تلك الكارثة».

القائد زوبال: «كيف؟ هلا تشرح لنا؟».

- ربما علينا إقامة محاكمة عاجلة وعادلة ضد القائد ومن عاونه في اغتيال ملكتنا الراحلة.

لاقت الفكرة استحسان الجميع فأكمل الوزير: «ما زال القائد راين في زنزانته وكذلك الوصيفة شبان، أرجو كذلك تحديد إقامة السيد تكارون».

تحولت أنظار الجميع إلى السيد تكارون الذي جلس صامتًا منذ البداية فتحرك السيد تفرون وزير الصناعة والتجارة قائلًا: «سيد تكارون هل لديك ما تشاركنا إياه؟».

لم يتحرك السيد تكارون لكنه قال بصوت هزيل: «اللعنة».

تبادل الجميع النظرات، فأكمل: «اللعنة أصابت ولدي راين، لم أكن يومًا أبًا مثاليًا لكني أعرفه، أنتم تعرفونه أيضًا، إنه عصبي وغاضب طوال الوقت لكنه لا يؤذي ذبابة».

- لكنه طعن الملكة.

قالها أحد الرجال فطأطأ السيد تكارون رأسه آسفًا.

السيد تفرون هامسًا لأقروم: «ربما هو محق، ربما القائد راين ضحية للعنة ولم يكن يملك وعيه وقتها».

السيد أقروم بصوت أقرب إلى الفحيح: «حتى وإن صح هذا، علينا التضحية به من أجل الوادي، ربما إعدامه سيهدئ من الأميرة ميرانا».

السيد تفرون ضاغطًا على أسنانه: «يهدئ الأميرة لكن يشعل اللعنة، هل تريد لنا التحول لوحوش ثانية يا رجل؟».

حدق السيد أقروم إليه غاضبًا ثم وقف مرة أخرى وقال بصوت جهور: «سيقوم المجلس الذي أقرته الملكة الراحلة ووثقت به في التحقيق مع القائد راين والاقتصاص لها، رُفعت الجلسة».

تحرك القائد زوبال وخلفه مجموعة من الجنود حتى وصولوا إلى مقعد السيد تكارون.

تحرك السيد تكارون بصعوبة حتى وقف مواجهًا لزوبال: «في أي حفرة جحيم ستلقى بي يا ولدي؟».

أشار زوبال للجنود من خلفه ثم مد يده: «هيا بنا إلى منزل راين؛ أريد التحدث معك».

حدق السيد تكارون إلى وجهه ثم مد ذراعه ليتوكأ عليه ومعًا سارا حتى خرجا من بوابة القصر.

زوبال: «هل تؤمن حقًا بأن اللعنة أصابت القائد راين؟».

- جميعنا نعرف بهذا لكننا نرفض الاعتراف به.
- كلا، لا نعلم شيئًا.
- حقًا! ألم تعلم بمشاعر راين للملكة وكأن هناك خيوطًا غير مرئية تجذبه إليها؟

زوبال مسرعًا: «الجميع كنَّ لها المشاعر سيد تكارون، فهي جميلة وكريمة وذات أصل طيب».

ابتسم تكارون: «راين الوحيد الذي رآها قبيحة، لئيمة، متعجرفة تحاول إمالة كل الرجال نحوها».

تعجب زوبال من كلماته لكنه يعرف راين: «ماذا تقصد؟».

- حسنًا، راين لم يكِن لها المشاعر بل وقع في غرامها لكن اللعنة لعبت دورها، انظر معي ألا ترى التشابه؟ قائد وأميرة، وصيفة خائنة.

زوبال غاضبًا: «شبان ليست بخائنة».

- أعلم لذلك عليك إنقاذهما، شبان رتبت اللقاء بينهما، كما حاولت إنقاذها فكيف تكون خائنة؟
- إذن المجلس يريد التخلص من كل الأطراف خوفًا من اللعنة.
- نعم يا ولدي ينوون التضحية بنا جميعًا من أجل اللعنة، لكن ما يفعلونه سيؤدي بنا جميعًا إلى التهلكة.

***

ارتطمت الأمواج بجسدها محدثة تلك الضوضاء الصاخبة لعلها تستيقظ لكنها لم تهتم، أرادت الاستغراق في النوم لوقت أطول، الأمواج عادت ثانية توقظ جسدها والشمس الحارقة فوق رأسها لا تسهل المهمة، الماء المالح يتسلل إلى فمها وأذنها رافضًا تركها للموت، صوت صراخ ثم خطوات تقطع رمل الشاطئ الناعم وجسد يجثو منها، صرخ باسمها، إنه يعرفها! كيف؟!

فتحت عينها بصعوبة لتجده أمامها، أسران بعينيه الخضراوين وشعره الأشقر، الشمس الحارقة تؤذي عينيها؛ أغلقتهما ليصرخ أسران باسمها ثانية، أصوات تقترب يتحدث معهم ثم ابتعدوا.

عزيزي أسران كلانا موتى الآن! أخبرتها جدتها: عندما نموت نذهب إلى الجنة ونجد على شواطئها الذهبية الشخص الأقرب إلى قلبنا، حسنًا، لم تعرف أن أسران الشخص الأقرب لها لكنه يفي بالغرض، شاب وسيم مثله.

لم يمهلها الوقت لتعدد مزاياه ورفعها بذراعيه القويتين ليضعها في عربة صغيرة يحملها بعض الرجال ثم تحركوا، لا تعرف متى حدث هذا لكنها عادت لتغط في نوم عميق.

***

تقلبت رونيم في الفراش فأسرعت ميرانا إليها ترتعش خوفًا.

اقتربت الملكة لتربت على كتف ابنتها: «اتركيها ترتاح، إنها تحتاج إلى الراحة بعد ما قاسته».

ابتعدت ميرانا لتجلس على مقعد في أطراف الغرفة لكن أبقت عينيها معلقتين على جسد أختها، لا بد وأن الله استمع لصلواتها وأعادها لها.. هذه المرة ستعاملها بطريقة أفضل، لن تفرط بها أبدًا، اقتحم روبيم الغرفة صارخًا فأسرعت تمسك بفمه.

- هل هذا صحيح؟ هل عـ...

الملكة: «روبيم من فضلك، استجاب الله لصلواتنا وعادت رونيم لنا، إنها نائمة وتحتاج إلى الراحة».

وضع روبيم يده على فمه ليكتم ضحكة مجنونة ثم قال مخاطبًا ميرانا: «أسران وروني كلاهما عاد في أقل من شهر، اللعنة يا امرأة، شخص ما في السموات يكرهكِ».

ألقى تلك الكلمات ثم غادر مسرعًا، بدت عليه السعادة والشماتة كذلك، تبادلت ميرانا النظرات مع أمها فأسرعت الملكة لتحتضنها لكنها أبعدتها: «من فضلكِ يا أمي، أستحق ذلك وأكثر».

***

تسللت أشعة الشمس تغزو الغرفة وميرانا ما تزال تترقب استيقاظ أختها، لم تتحمل الانتظار فاستغلت رحيل أمها وهزت جسد رونيم برفق، تقلبت الأخيرة في كسل ثم اعتدلت لتواجهها.

- ر.. رونيم، هل أنت بخير؟

قطبت رونيم جبينها وتسللت الدموع من عينيها: «أنتِ أيضًا! أبي وأمي سيقتلهما الحزن».

لم تفهم ميرانا ما قالته لكنها أسرعت تحتضنها: «أبي وأمي بخير وأنتِ بخير أيضًا، أنتِ هنا في منزلكِ وسط عائلتكِ».

تسارعت ضربات قلبها: «أنا هنا.. ألم أمت؟!».

- كلا، أنتِ بخير لا نعرف كيف لكنكِ وصلت صباح أمس إلى شاطئنا.

- لكن كيف؟ ذهبت إلى الجنة أظنني رأيت أسران هناك.

ابتسمت ميرانا بحزن: «ما رأيته صحيح، أسران عاد أيضًا إلى المملكة».

- كيف؟! ألم يمت هو الآخر؟

- تحطمت سفينته في البحر واستقر على إحدى الجزر منتظرًا طوال العام الماضي ليعود إلى الوطن.

تراخت رونيم: «يا إلهي، هذا أمر عجيب.. و..».

تطلعت لأختها كأنها تراها لأول مرة: «وأنا، ماذا حدث لي؟».

- لا نعلم، منذ شهر جاءنا رسول يخبرنا أن راين طعنكِ ثم ابتلعتكِ البحيرة مع حوريات البحر، من وقتها ونحن في حالة حداد.

حدقت رونيم إلى رداء أختها الأسود: «هل كنت نائمة طوال الشهر الماضي؟».

- عزيزتي، كلا.. وجدكِ أسران على الشاطئ صباح أمس.

بدأت رونيم في البكاء: «لكن كيف؟ ماذا حدث لي؟ أين كنت؟ ولماذا فعل راين..».

توقفت فجأة وبدا وكأنها تتذكر ما حدث ثم وقعت على الأرض صارخة تمسك جانبها الأيسر متلوية من الألم، صرخت ميرانا بدورها فاقتحم الحراس الغرفة خلفهم أسران صارخًا: «ماذا حدث؟».

ميرانا باكية: «لا أعرف كنت أتحدث معها ثم فجأة أمسكت بجانبهـ...».

أسران: «كنت تتحدثين معها فقط؟».

ميرانا صارخة: «هل جننت؟! إنها أختي، أنا لن أوذيها أبدًا».

- نعم، أعلم، لا بد وأنكِ تحبينها لذلك فعلت ما فعلتِه.

أبعدها أسران ثم حمل جسد رونيم ليضعها في الفراش ويربت على رأسها صارخًا ليحضر الحراس حكيم القصر، أسرعت ميرانا خارج الغرفة باكية لا تصدق أذنيها، أسران حبيبها الأول والأوحد يتهمها ويظـ... بدا أن صلواتها طوال العام الماضي أجيبت فجأة، أسران ورونيم عادا لها لكن عادا كغريبين، حتى روبيم هجرها بعد مشاداتها مع أبيه.

***

وقف زوبال منتظرًا تحرك الجندي، بضع لحظات حتى سمع الفرقعة القوية فتحرك الحارس من أمام الزنزانة، اقترب زوبال بعد خروجهم وفتح الباب: «راين هيا بنا».

ركض راين حتى توقف أمام القصر ومن الدرج الجانبي أسرع يقطع الممرات حتى وصل إلى جناح الملكة.

ساعده زوبال في اقتحام الغرفة: «متأكد من خطتك؟».

- كلا، لكن أدعو الله أن يستجيب الراهرو.

بضع محاولات ثم فتح الباب أخيرًا، صرخ أحد الحراس فعرف زوبال أن وقتهما نفد.

وضع راين يده على مقبض باب الراهرو، اقتحم الحراس الغرفة ليمسكوا بزوبال الذي استسلم دون مقاومة، أما راين فأسرع يدخل إلى الراهرو مفكرًا في مستقبل زوبال العسكري الذي انتهى توًا بسببه.

ما كان يخشاه قد حدث، لا وجود للراهرو من بعدها، حاول وضع قدميه على الطريق لكن لا شيء، ابتلعه الفراغ وقبل أن يدرك ما حدث لطم الماء وجهه، حاول التنفس لكن الماء تخلل داخل أنفه، حاول طرده فإذا به يستنشق المزيد، لطمة خلف أخرى حتى قرر الاستسلام، ليبتلعه الماء وينهي حياته البائسة. لكن ما ذنب شبان وأبيه؟ كلاهما سيُعدم إن لم يحاول، طوح يديه مبعدًا الماء وقاوم حتى استنشق الهواء أخيرًا، امتدت يد تخرجه من الماء لتلقيه على أرض صخرية، ظل يسعل حتى طرد الماء من رئتيه وتطلع حوله لعله يفهم ما حدث، أحدهم أخرجه من الماء ليلقيه في كهف صخري.

صرخ رعبًا محاولًا الهروب لكن صوتًا صدر من خلفه: «أحذرك أيها القائد، ستموت إن عدت إلى الماء».

فرك عينيه غير مصدق لما يراه؛ الحوريات العجيبة في أسفل البحيرة، الأميرات الثلاث الملعونات يقفن أمامه الآن.

اقتربت الحورية الحمراء: «ما الأمر أيها القائد؟ ألا تتعرف علينا؟».

أطلقت ضحكة عالية أشبه بصوت فرقعة.

أشاح بوجهه بعيدًا، الأميرة عارية تمامًا لا يغطي جسدها شيء باستثناء خصلات شعرها الحمراء تغطي ثديها الأيسر وجزءًا من عورتها.

اقتربت من خلفها الحورية الزرقاء: «انظري يا أختاه، إنه خجول».

ضحكن فكانت ضحكاتهن أقرب لصرخات متقطعة.

داعبت الحورية الحمراء رأسه: «ما الأمر أيها القائد؟ ألا يعجبك جسدي؟».

لاحظ ساقيها وتساءل أين ذيل السمكة.

راين: «كفي عني أيتها العاهرة».

سخرت منه: «كأني لا أعرف ما يدور برأسك كل مرة تراها فيها».

اقترب راين منها ساحبًا ذراعها بعنف: «اللعنة عليكِ، أخبريني ماذا فعلتِ بها؟».

الأميرة: «لا تهتم إلا بها؟».

تراخت قبضة راين: «فقط أخبريني كيف أصل إليها؟ أتوسل إليكِ».

جاء صوت من بعيد: «ومَن قام بطعنها أيها القائد؟!».

تحرك ناحية الصوت، الحورية الخضراء تتكئ على إحدى الصخور تداعب شعرها الطويل ولا تهتم بما يظهر من عورتها.

راين موشكًا على البكاء: «إنها اللعنة.. لم أقصد.. حاولت التوقف ولم أستطع، الأصوات الصاخبة في رأسي، إنها.. أصواتكن».

ضحكن مرة أخرى حتى اهتز الكهف الصخري، اقتربت الحورية الزرقاء منه: «كلا، عزيزي راين إنها أصوات العاهرات من سكان الوادي يستدعينك لتكرر اللعنة ثانية، أما نحن لا نملك لك ضرًا ولا نفعًا».

راين: «حقًّا؟! إذن أين رونيم؟».

ارتعش صوته، أول مرة ينطق اسمها منذ الحادثة.

همت الأميرة بقول شيء ما لكن قاطعتها أختها: «كفي عن العبث معه، ليخضع للاختبار».

خفق قلبه: «أي اختبار هذا؟!».

***

ناولته الحورية الخضراء قدحًا من الماء الدافئ: «ليس لدينا الكثير».

راين: «شكرًا لكِ، إلى متى سأبقى هنا؟».

ألقت نظرة على أختيها: «حتى تمل منك الأميرة الحمراء».

- لكني لا أملك الكثير من الوقت، الكثير من الأرواح ستدفع الثمن.

تفحصته مبتسمة محركة الحطب في النار: «ألم تملك نفسك حقًا؟ أعني ألم يصرخ صوت بداخلك لتتوقف؟».

طأطأ راين رأسه: «عندما تحدثت معي شبان غمرتني السعادة، انتظرت لقاءها بفارغ الصبر لكن في أثناء انتظاري حتى ينزل الليل بستائره أخذت السكين معي لا أعرف لماذا، وصلت إلى مكان اللقاء، وقفت تنظر من النافذة وضوء القمر يداعب شعرها الأسود الطويل، أردت اعتصار جسدها بذراعي وتقبيل شفتيها، ذهبتُ إليها لكنها أبعدتني صارخة لأرى تلك النظرة في عينيها والسكين بيدي ودمائهـ...»

لم ينهِ جملته، الأرض تحولت أسفل منه وسقط في الماء، مرة أخرى يصارع ليلتقط أنفاسه صارخًا لكن لا شيء يدخل رئتيه إلا الماء، بضع لحظات ثم استطاع التنفس ثانية، قذفته الأمواج ولكنه قاوم وسبح حتى الشاطئ، حاول الوقوف لكنه سقط، جلس يلتقط أنفاسه وتفحص المكان حوله، قصر ضخم يلوح في الأفق، الشعار الذهبي، إنه.. قصرها!

***

- هل أنتِ بخير.

- للمرة العاشرة أنا بخير.

- آسف لكنكِ شاردة الذهن قليلًا.

ابتسمت رونيم لأسران: «لا أعرف لكن كل شيء أصبح مختلفًا».

- كيف؟

- لا أعرف، أمي أصبحت مختلفة وأبي كذلك، حتى ميرانا، اللعنة، أشعر أني تغيرت أيضًا.

- إنها طبيعة الحياة، التغير من سنن الكون...

- لكن لا أعلم أشعر بالأسى عليهم.

قطب أسران جبينه غاضبًا: «وعدتني، سنخرج للتنزه على الشاطئ ولن نذكر أيًا منهم».

- لكني أشعر بالشفقة.

أسران غاضبًا: «وهل شعر أحدهم بالشفقة لما أرسلوك إلى تلك الوحوش؟!».

- إنه قدري، ليحدث ما حدث ثم أعود وأتغير، كما قلت التغير سنة الكون.

ركل أسران الأرض الرملية بقدمه: «دعينا منهم، اللعنة عليهم كلهم، هيا بنا نذهب إلى القصر الأزرق نرقص ونغني، أو نأخذ الخيول إلى جزيرة البروج، هيا قرري أنتِ».

ابتسمت متذكرة حماسته الدائمة لتمضية وقت ممتع، شيء افتقدته عندما رحل: «لا أظن أبي سيوافق على ذهابي لقصر أكبر داعر في المملكة، أو حتى الركض بالخيول بعد إصابتي تلك».

- لماذا لن يسمح لكِ ميـ...

لم يكمل جملته بل ركل الأرض غاضبًا.

- هل يمكنني قول شيء ما؟ لا أتعمد إغضابك ولـ...

- إن تحدثتِ عنها ثانية سأرحل.

- أسران من فضلك، قصت ميرانا علي كل شيء، أعرف ما حدث بينكما وأنت تفهم إن علم أبي بشيء كهذا لقطع رأسك لكنها حافظت على السر.

تغير لونه وقال مطأطئًا رأسه في خجل: «أنا أحببتها، بضعة أسابيع وكنا سنتزوج ثم جاءت تلك الحملة الملعونة و...».

- وتغير كل شيء، أعرف، ولكنها أخبرت أمي، والملكة دبرت تلك المكيدة.
- أظنكِ لم تفهمي بعد، أحببتها بجنون ظننتها تبادلني نفس الشعور، لكن لم يمضِ على اختفائي إلا بضعة أشهر ثم أجدها تستبدل بي... من؟ صديقي المفضل وكيف يفعلها هو؟ لا يمكنني تخيلهما معًا، رونيم أنتِ الآن امرأة راشدة، يمكنني إخبارك بما أشعر به، أكاد اختنق كلما تخيلتهما معًا في الفراش.. أنـــ...

ابتعدت خجلًا لكنها تعذره لا بد وأن تلك المعرفة تمزقه وتخنقه كلما فكر بها، لم تتخيل أن يشعر أحد بما تشعر به عندما خانها روبيم لكن أسران يفعل.

أسران: «آسف، لم أتعمد إحراجك لكن..».

- لم تفعل، أنت محق في كل شيء: غضبك، قسوتك. لن أقول لك ضع نفسك مكانهما؛ لطالما كرهت تلك الجملة لكني أخبرك أن الوقت يشفي كل الجروح، وربما يومًا ما ستـسامحها.
- نعم يومًا ما، روني هل يمكنني سؤالكِ عما تتذكرينه؟

لاحظ عدم فمهما فأكمل: «أعني غبتِ لأكثر من شهر فأين كنت؟».

خفق قلبها، تساءلت عما حدث لها خاصة مع سيطرة شعور غريب كأنها نسيت شيئًا ما.

- لا أتذكر، هناك شخص اعتنى بجرحي وأنقذ حياتي لكني لا أتذكر من هو ربـــ...

لم تكمل جملتها رأت بعض الجنود يركضون نحوهما، انتفضت خوفًا فوقف أسران أمامها يحميها بجسده، تذكرت راين على الفور، اعتاد حمايتها بتلك الطريقة، أكمل الجنود ركضهم غير عابئين بهما، تعجب أسران وقرر العدو خلفهم، صرخت به ليتوقف لكنه استمر فقررت اتباعهم، بعد عدة أمتار وجدت مجموعة من الحراس يتجادلون حول شيء ما على الشاطئ، أسران يأمر أحد الحراس لفعل شيء ما ليركض الأخير عائدًا إلى القصر، تساءلت

هل وجدوا جثة أم ماذا؟ إنها بالتأكيد لن تتحمل رؤيتها، اقتربت تخشى إلقاء نظرة حتى وجدت الجثمان يتحرك، رجل ما ملقى على الرمال لكنه ما زال حيًا، اطمأنت فاقتربت أكثر لتتطلع إلى الرجل وما إن رآها حتى هجم عليها صارخًا: «رونيم.. رونيم».

ارتعش جسدها وابتعدت خائفة فاحتضنها أسران ليبعدها: «رونيم عودي إلى القصر هذا الرجل يبدو مشوشًا وأخـ...».

تساقطت دموعها: «إنه ليس مشوشًا، هذا راين، من قتلني».

صرخ راين وشق مجموعة الحراس ليمسك بها: «كلا، أنا لم أفعل، إنها اللعنة، رونيم أنا أحبكِ».

صرخت مبتعدة فحاول الوصول إليها رغم عدد الحراس الذين يمسكون به وأسران في المنتصف لا يفهم ولا يعرف ماذا يفعل ولكنه أبعدها: «هل هذا.. هو.. قائد جيشكِ؟».

لم تنطق رونيم بل هزت رأسها خائفة، عاد أسران لينظر إلى الفتى النحيف الذي يقف أمامه وهو يحاول الوصول إليها، مبعثر الملابس شاحب الوجه يبكي كالمجنون ويتحدث عن لعنة ما، لا يعرف السبب لكنه شعر بالشفقة عليه، لذلك توجه إليه ثم لكمه على أنفه ليسقط مغشيًا عليه.

***

تجمع القصر في القاعة، الملك يسرجين يتكئ على خادمه مقتربًا من راين، أفاق منذ بعض الوقت، يداه مكبلتان بالحديد وينظر بعينين زائغتين بحثًا عن رونيم التي وقفت في نهاية القاعة تتخفى خلف أختها.

الملك يسرجين: «أيتها الروح الملعونة جئت لهلاكك».

راين محاولًا الوقوف: «لتفعل ما تريده بي فقط اتركني أخبرها، اتركني أقول لها أنا أحبهـ...».

لم يكمل جملته؛ وجه له الملك ضربة بعصاه في بطنه ثم توالت الضربات على جسده النحيف حتى رفع الملك عصاه وهَمَّ بتسديد ضربه أخرى لكن أسران أسرع يمسك بيد الملك.

- هل جننت؟! اترك يدي يا فتى.

- مولاي، الحاشية تشاهدك، هل تريد قتله هنا ويقال الملك يسرجين قاتل.

- اترك يدي ليقولوا ما يشاءون، إنه قاتل ولا بد أن أقتص لابنتي.

رفع الملك عصاه ثانية لكن أسران أمسك به: «مولاي، أتوسل إليك، انظر إليها هل تظنها تريد قتل رجل أحبته يومًا ما؟».

ارتعشت يد الملك وأنزل عصاه ثم اقترب من راين: «ستتمنى لو قتلتك هنا».

غادر الملك القاعة لترتفع الهمسات، أشار أسران للحراس ليبعدوه، ثم قال مخاطبًا الجميع: «انتهى العرض ليباشر الجميع أعمالهم».

أبعدت ميرانا أختها مفكرة في أسران، لم يستطع أحد منع أبيها عن فعل ما يريده لكنه فعلها، لو حكم لكان ملكًا رائعًا، من يليق حقًا بكرسي العرش وليس روبيم، روبيم طيب القلب لكنه لا يقارن بقوته، شجاعته، حنكته، وذكائه، أخبرتها أمها أن مسئولية العرش تقع على عاتقها، ليس بما تحكم به لكن بأي رجل ستجلسه بجانبها، لو قدر لها الزواج منه لكان ملكًا رائعًا لكنه.. القدر.

وضعت رونيم المرتعشة في الفراش وربتت على رأسها لتكف عن البكاء تمددت بجانبها واحتضنتها حتى تهدأ، عانقتها اليوم بأكمله محاولة التخفيف عنها، تذكرت يوم سماعها غرق سفينة أسران وكيف بقيت رونيم معها طوال اليوم تخفف عنها، تذكرت كيف ردت جميلها، قطع حبل أفكارها الخادمة تبلغها رسالة أسران بأنه يود رؤية الأميرة رونيم.

نظرت ميرانا لأختها التي استغرقت في النوم أخيرًا ثم قررت الخروج له، تبدلت ملامحه ما إن رآها.

ميرانا: «ما الأمر؟».

- طلبت رؤية رونيم.

- إنها نائمة أخيرًا ولا أود مضايقتها.

- حسنًا سأعود في الصباح.

«توقف»، قالتها رونيم مستندة على الباب كي لا تقع.

أسرعت ميرانا تمسك بها وتبادله نظرات الغضب.

أسران: «يمكننا الانتظار حتى الصباح».

رونيم: «هل الأمر يخص را.. يخصه؟».

تبادل النظرات مع ميرانا التي رمقته بنظرة تحذره من أن يكمل لكنه قال: «في الحقيقة هناك أمر مهم عليكِ معرفته».

هزت رونيم رأسها ثم عادت إلى غرفتها، اتبعها أسران ومن خلفه ميرانا توشك على خنقه.

جلست على أقرب مقعد فوقف أسران على مقربة من النافذة: «سمعت الكثير عن مملكتك يا مولاتي».

ابتسمت رونيم بضعف: «لا تذكرني».

- لا أمزح، أعرف قصة المملكة المطموسة لكن ما سمعته مؤخرًا من الجميع، أعني منذ خبر وفاتكِ وحتى ظهوركِ، الجميع يتحدث عن اللعنة لكن ما لم أسمعه هو جانبكِ من القصة.

ميرانا: «هل تحقق معها الآن؟».

لم ينظر لها أسران: «هل تعلمين أنه منذ عودتكِ لنا وحتى هذا اليوم أن الشمس لم تغرب عن الوادي؟».

قطبت رونيم جبينها: «ماذا تقصد؟».

أسران: «أخبرني الحكماء أن الشمس لم تكن تشرق على الوادي حتى سالت دماء الأميرة العذراء».

أبعدت رونيم وجهها في خجل فأسرعت ميرانا: «هل هذا هو الوقت المناسب؟».

مرة أخرى تجاهلها أسران مقتربًا من رونيم ليجثو على ركبته كأنه ينوي التقدم لخطبتها: «لكن الآن الشمس لا تغرب، أليس من المفترض أنكِ أنهيتِ اللعنة؟».

ابتسمت بحزن: «كلا، لأنها لم تكن واحدة بل أكثر من لعنة وأكثر من ملعون، أنهيت لعنة الوحوش لكن بعض اللعنات لم تبطل، الآن تخبرني أن الشمس لا تغرب عن الوادي».

- هكذا يقول راين.

رفعت يدها: «لا تذكر اسمه أمامي».

- حسنًا، يقول إن اللعنة تحكمت به ودفعته لطعنكِ، وإنه يحبـ...

أشاحت رونيم بوجهها بعيدًا وتساقطت دموعها فتوقف أسران عن الحديث، راقبت ميرانا المشهد ولم تكف عن التفكير في أسران عندما جثا على ركبتيه، تذكرت يوم طلب يدها، تدافعت المزيد من الذكريات ولم تستيقظ حتى أشاح أسران بوجهه بعيدًا عنها، هي الأخرى تبكي.

توجه إلى النافذة: «رايـ ..القائد يريد منكِ العودة معه، متحججًا باللعنة التي ستدمر الوادي».

مسحت ميرانا دموعها: «جيد».

أسران: «وستطال الممالك الثلاث».

ميرانا: «عندما تأتي اللعنة لنا سنلعنها نحن أيضًا».

ابتسمت ميرانا لأختها وهمت بقول شيء ما لكن أسران أكمل: «أخبرني أيضًا بأن وصيفتك شبان، هل هذا اسمها؟ تنتظر حكم الإعدام مع أبيه السيد.. حسنًا لا أتذكر اسمه».

«السيد تكارون»، قالتها رونيم مذهولة: «ولِمَ سيعدمون شبان؟! لولاها لكنت ميتة لا محال».

- لا أعلم، تحدث عن تشابه الأحداث مع اللعنة القديمة، وزراؤكِ قرروا ذلك.
- أنا لن أعود معه أبدًا، ليبعث أبي برسالة تخاطب المجلس، شبان بريئة وكذلك السيد تكارون.
- واللعنة.
- أنا.. لا.

ميرانا: «ألا تظن أن هذا كثيرٌ عليها؟ لنكمل صباحًا».

قطب أسران جبينه ولم يعلق لكنه لم ينسَ مبادلتها بنظرات غاضبة قبل رحيله.

ميرانا: «أنتِ لا تفكرين جديًا في العودة لذلك المكان الملعون».

هزت رونيم رأسها وتساقطت دموعها، لم تعرف ماذا تفعل، لا يمكنها التفكير تريد فقط النوم، توجهت لفراشها ثم غاصت تحت الأغطية، ألقت ميرانا نظرة أخيرة عليها ثم رحلت.

***

وقفت في بهو القصر تتطلع إلى اللوحات المتناثرة على حوائطه، لوحة تلو الأخرى حتى توقفت عند تلك التي تصور فتاة جميلة في ربيع شبابها بيضاء البشرة ويغطي النمش البني وجنتيها وشعرها باللون الأحمر القاتم.

«جميلة أليست كذلك؟».

التفتت رونيم لترى قائل العبارة لتفاجأ بروبيم يقف جوارها.

هزت رأسها وعادت تتأمل اللوحة.

روبيم: «مؤسف ما حدث لها».

- ماذا حدث لها؟

قطب روبيم جبينه: «ما حدث لنا جميعًا، رونيم ألا تتذكرين؟!».

تسارعت أنفاسها وتفحصت المكان حولها، هذا ليس قصر أبيها في المملكة بل قصرها في الوادي، متى جاءت إلى هنا؟! ولماذا روبيم ينظر لها هكذا؟! فُتحت الأبواب حولها لتهاجمها رياح عاتية، حاولت التشبث في أي شيء، لتهدأ الرياح ويخيم الظلام، دخلت من الأبواب تلك الكائنات الغريبة التي تسبح في الهواء، كائنات رأتها يومًا ما في الهوة خلف منزل راين، أشباح سوداء تسبح في فراغ البهو، تراجعت خائفة فتتبعتها الكائنات، أسرعت بخطى واسعة فأسرعت الأشباح، صرخت راكضة حتى اصطدمت بالحائط، رفعت رأسها لتجد فوقها مجموعة من الخادمات يبعدن الأغطية عن وجهها لتتنفس.

«كابوس آخر».

قالتها ميرانا مصرفة باقي الخادمات.

هزت رونيم رأسها وجففت العرق المتساقط على جبينها.

ميرانا: «هل تحدثتِ مع أبي؟».

- كلا

- ألن تتحدثي مع رايـــ...

رونيم مسرعة: «لا تذكري اسمه».

تقدمت ميرانا لتجلس بجانبها: «ماذا لو كان صادقًا؟ ماذا لو اللعنة هي ما...».

تساقطت دموعها: «كلا، لا أظنها اللعنة، لطالما كرهني ورآني دخيلة على الوادي، أخبرتكِ عما اعتاد قوله لي، أنتِ تعرفين كل شيء».

- أعلم، لكن أشعر أن كلماته كانت مداعبة من شخص أحمق لا يعرف كيف يصرح بمشاعره.

- لا أهتم، حقًا لا أهتم، وأتوسل إليكِ لا أريد التحدث عنه ثانية، أريد فقط النوم.

دلفت مرة أخرى أسفل الأغطية لم تجد ميرانا بدًا من مغادرة الغرفة لتجد أباها في الممر.

ميرانا: «أبي هل تحدثت مع راين؟».

قطب الملك جبينه: «ليس لكِ شأن بهذا، تلك مسألة تخص أختكِ وحدها».

زفرت ميرانا بقوة: «حسنًا، إنها نائمة ولا تريد التحدث مع أحد».

الملك: «لم آتِ من أجلها، في الحقيقة أود التحدث معكِ»

تتبعت أباها حتى وصلت إلى غرفة مكتبه مفكرة في مائة احتمال عن سبب استيقاظه في منتصف الليل ليتحدث معها.

جلس بصعوبة خلف مكتبه ثم نظر إلى ابنته: «كيف حالكِ؟».

اقتربت ميرانا من المكتب: «هل طلبتني لتسألني عن حالي؟».

- لا تكوني وقحة.

- آسفة يا أبي، لكني أعرفك جيدًا، تحدث عما تريده مني ولا تقلق أنا لا أنكسر بسهولة.

ابتسم الملك بحزن ثم أشار لها لتجلس: «ميرانا عزيزتي، لطالما كنت فتاة قوية لكن ما حدث لكِ، حسنًا ما حدث لنا غريب وغير عادل».

- إنه القدر يا أبي.

هز الملك رأسه: «نعم، القدر، لكن أود سؤالك عما تنوين فعله مع روبيم».

زفرت ميرانا بقوة: «لا أعلم، لا أجد وقتًا لأفكر و...».

- حسنًا، أظنه وجد وقتًا كافيًا ليفكر بدلًا منكِ.

قطبت ميرانا جبينها فأكمل الملك: «لا أعرف هل أصفه بالجبان أم الخائن؟ أو أنه فقط شخص أحمق سيئ الحظ».

ضغطت على أسنانها: «ماذا فعل روبيم؟».

- حسنًا روبيم طلب رؤيتي ليبلغني بقراره، فقط يبلغني أنه قرر التقدم بطلب إنهاء زواجه منكِ للمجلس الشعبي غدًا صباحًا.

تسارعت ضربات قلبها، تعرف أنه لا يطيقها لكن الآن، انتظر كل هذا الوقت ليفعلها الآن.

- ليتقدم بالطلب، وليوافق عليه المجلس أنا لا أهتم.

هز الملك رأسه آسفًا: «لكن ابنتي، ألا تودين التفكير مليًا؟ أعني ألا تكنين له من المشاعر ما يجعلكِ تتحدثين معه أولًا؟».

- كلا، لا أكن له أي شيء.

تحول الملك ليصرخ غاضبًا: «ولِمَ سلبته من أختكِ إذن؟».

طأطأت ميرانا رأسها ولم تجد كلمات لترد على أبيها.

الملك صارخًا: «لماذا فعلتِها؟ أجيبيني. لماذا دمرت المسكينة ودمرت المملكة معها؟».

تساقطت دموعها بغزارة وأوشكت على إخباره كل شيء. سيغضب منها للأبد وربما ينزع عنها العرش لكنها لا تهتم، إنها تستحق كل هذا وأكثر.

تطلع الملك إلى وجهها الباكي: «هناك أمر آخر، تناقش السيد مردان معي اليوم بشكل سري بخصوصكِ».

- بخصوص ماذا؟!

- إمكانية أن نبعث بكِ للمملكة المطموسة، كحاكمة.

خفق قلبها محاولة التحدث لكن كلماتها اختنقت خلف دموعها ولم تخرج إلا كلمة واحدة: «أبي».

أسرع الملك ليربت على كتفها: «كلا، عزيزتي، أبوك لا يكرهك تلك فقط فترة مؤقتة حتى تهدأ الممالك الأخرى وتستعيدي الأمن في الوادي، الجميع متفق؛ أنتِ الأقوى والأذكى».

- لكني لا أريد ترك رونيم مرة أخرى.

احتضنها الملك بقوة: «ستكون بخير، أنا وأمكِ سنعتني بها».

بدأت في النحيب فربت أبوها على رأسها: «عليكِ الاستعداد أيتها الملكة؛ بضعة أيام وسترحلين».

جففت ميرانا دموعها لتقف وتنحني لأبيها احترامًا راحلة بخطى متثاقلة، راقبها الملك مفكرًا في: ابنتيه وما أصابهما، ولماذا حدث لهما ذلك؟ وهل له يد في ذلك؟ ربما قسا عليهما أو دللهما أكثر مما ينبغي؟ لا يعرف السبب بالضبط كما لا يفهم كيف آلت حياة الجميع للأسوأ.

***

راقبت الخادمة تحمل الطعام وترحل، ستجري الآن تخبر أمها أنها لم تتناول شيئًا منذ ليلة أمس أو ربما لا يهتم أحد بها خاصة وأن القصر يعج بالضجيج اليوم، مندوبو الممالك يدخلون ويخرجون مع مستشاريهم، فكرت أنها لن تحظى بالهدوء أبدًا في هذه الغرفة التي تطل على الحديقة الأمامية للقصر لذلك قررت الذهاب إلى مكانها المفضل، الحديقة السرية حيث ذكرياتها السعيدة تقبع هناك ربما تقتبس منها ذكرى أو اثنتين لعلها تنسى الأحداث المؤسفة التي مرت بها، تذكرت ما حدث رغمًا عنها السكين والألم ثم الخذلان والحزن، ربما أشد ما يؤلمها هو احتمالية أن ما فعله راين كان تحت تأثير اللعنة، ربما مشاعرها لم تكن حقيقية، ربما اللعنة لم تعبث بعقله فقط لكنها عبثت بمشاعرها كذلك، ربما هي أيـ... توقفت عن التفكير عندما وجدت ميرانا تجلس في مكانها المفضل، نادت اسمها أكثر من مرة لكنها لم تجب؛ اقتربت منها لتربت على كتفها ففزعت ميرانا وبدأت تمسح دموعها كي لا تراها.

رونيم: «ما الأمر؟».

- لا شيء، أنا فقط.. غاضبة.

- عندما تكونين غاضبة فإنك تحطمين كل شيء، أنتِ حزينة، لماذا؟

ابتسمت ابتسامة باهتة: «لا شيء، أسران في الداخل يجلس بجانب أبي يحضر الاجتماعات لذلك فكرت في الانسحاب».

- أنتِ تعرفين أبي لطالما فضل أسران عن روبـ...

زفرت بقوة وأكملت: «إنه ليس من دمه، هو فقط معجب بشخصيته الفريدة».

- الجميع معجب به لكن أنا من أحببته، هل تعرفين؟ ربما تلك هي النهاية الأفضل، كان قدري منذ البداية لكني صنعت المكائد لأقع بها وحدي، ربما هذا أفضل للجميع.

- ما هو الأفضل للجميع؟ عن أي شيء تتحدثين؟

- عن قرار أبي والمجلـ.. ألم يخبركِ أحد؟!

- يخبروننني عن ماذا؟!

أسرعت رونيم تركض في الممرات المكتظة بحاشية القصر حتى وصلت إلى قاعة الاجتماعات، اقتحمت القاعة صارخة ولم تمهل الحاجب وقتًا ليعلن عنها، وقف الجميع فأسرع أسران إليها ليهدئ منها ولكنها أبعدته وتوجهت إلى أبيها صارخة: «أنت لن تفعلها، كلا أنا لن أسمح لك، الوادي هو مملكتي ولن أسمح لأحد بالعبث به».

قالت تلك الكلمات ثم أسرعت خارجة من القاعة وأعين الجميع تراقبها. تسارعت ضربات قلبها وبدأت تفهم ما قد فعلته توًا، صرخت في وجه الملك أمام الجميع، حسنًا تنتظرها أيام أكثر قتامة وأشد ويلًا.

***

اقتربت من أبيها بخوف فقال دون رفع رأسه: «لا تقلقي، أختكِ سبقتك واعتذرت كما أكدت أن ليس لكِ يد فيما فعلته».

زفرت ميرانا معلنة ارتياحها: «حسنًا سأتحدث معها وأثنيها عن قرارها».

- لا تشغلي بالكِ، حاولتُ قبلكِ.

- لا تقلق لديَّ طرق سرية في التعامل مع عنادها، لكن وجب عليك إخباري بأن مهمتي سرية.

- لم تكن سرية، وميرانا لا تحاولي التحدث معها، كلا.. كلا أعرف أنكِ صادقة، عزيزتي ناقشنا في المجلس الشعبي فرضية ذهابكِ إلى الوادي لكنها قوبلت بالرفض من الجميع.

قطبت ميرانا جبينها: «ليذهب المجلس إلى الجحيم، نحن لن نلقي بروني مرة أخرى في فوهة الجحيم تلك».

ابتسم الملك وظل يراقبها لبرهة: «وماذا إن صممت هي على إلقاء نفسها؟».

- لتمنعها.

- بعد ما فعلته أمام الجميع، من الصعب خاصة مع تمسك مندوبي الممالك بها لتحكم الوادي.

ميرانا بغضب: «الأوغاد، سيلقون بها مـــ...».

- عزيزتي، إنهم يرون أنها أنقذت الجميع، أعني الوادي والممالك الثلاث، كبحت الوحوش، وأنعشت اقتصاد مدنهم الساحلية، إنهم يجددون الثقة بها خاصة وهي...

ميرانا مقطبة الجبين: «وهي ماذا؟».

- وهي ما زالت عذراء، أما أنتِ فلا.

تسارعت ضربات قلبها ثم تذكرت زواجها من روبيم: «نعم، بالطبع فأنا امرأة متزوجة».

- نعم أعرف، حسنًا لقد ذكرتني بشيء مهم، تمت الموافقة على طلب روبيم، أنت الآن امرأة غير متزوجة.

- جيد.. جيد.

وقفت لتغادر دون النطق بشيء، لقد أخطأت بالتحدث مع أبيها، إنه ذكي ربما يفهم السبب الحقيقي وراء زواجها من روبيم عدا السبب الصريح وهو

الفوز بالعرش. أسرعت خطاها حتى وصلت لغرفة أختها فوقفت تراقبها من بعيد: «قررت الرجوع إذن».

رفعت رونيم رأسها فتلاشت ملامح الغضب التي كست وجهها: «مع الامتيازات تأتي المسئوليات».

- لا تسمعيني كلام أمي، إنه.. غير صحيح.

توقفت رونيم عما تفعله ونظرت إلى أختها التي أكملت: «ما كانت تقوله غير صحيح، البعض يفعل خبائث الأمور ولا يلقى عقابًا، البعض يأخذ الامتيازات كلها ويضرب بمسئولياته عرض الحائط، البعض يفوز بكل شيء والبعض الآخر يدفع ثمن أخطاء لم يرتكبها. روني، أنتِ لست مجبرة على العودة إلى وادي الموت، أنا.. أنا من أستحق كل هذا، أستحق الوحوش والظلام والوغد راين».

- هذه هي المشكلة، الوادي ليس فوهة جحيم، إنه مكان جميل وسكانه ليسوا وحوشًا، إنهم مجرد أناس بعضهم جيد وبعضهم لا، أما را.. أما راين.. فهو روح ضائعة ليس إلا، أبي محق كان عليَّ إبعاده منذ البداية ولكن.. أظن اللعنة عبثت بكلينا.
- إنها ليست اللعنة، أنتِ أحببته، وأظنه هو أيـ...
- ميرانا من فضلكِ، لا أود التحدث عن تلك الأمور، سأبعث لكِ بخطاب فور وصولي.
- عزيزتي، مِن الخطأ تكذيب مشاعركِ.
- لا أظنني أمتلك مشاعر، في الحقيقة لا أظنني أحببت أحدًا من قبل، روبيم كان مجرد صديق مفضل والآخر لعنة عبثت برأسي، الآن.. أريد أن أستريح قليلًا، إن لم تمانعي.

تراجعت ميرانا وعرفت أنها لن تتوصل إلى شيء مع أختها الآن لذلك رحلت في هدوء وهي تفكر في روبيم، ربما تطلب منه أن يرافقها للوادي، عندها لن تقلق عليها، نعم.. روبيم طيب القلب وسيستمع لها.

***

«هل أنتِ بخير؟»

قالها روبيم وهو يربت على كتفها، تطلعت إلى المحيط الشاسع أمامهما: «نعم أنا بخير، أفكر فيما سيحدث بعد ذلك».

- كل شيء سيكون بخير.

ابتسمت في صمت ثم عادت تتطلع إلى المحيط الأزرق.

نظر روبيم خلفه: «هل كان علينا اصطحابه؟».

تطلعت إلى السفينة الصغيرة التي تتبعهما، فأبوها رأى أنه من الآمن مكوث راين في سفينة بمفرده، بالطبع تطوع أسران لمرافقته.

- أيهم تقصد؟ أسران أم رايـ...

روبيم مسرعًا: «كلاهما، هل كان علينا اصطحاب أي منهما؟!».

فكرت كم أن الأمر سخيف، أصر أسران على مرافقتهما متحججًا أمام أبيها بأمانها وأمامها برغبته في الرحيل عن ميرانا ولكنها تعرف أنه يعاقب أختها، ميرانا ولية العهد المنتظرة لطالما التفَّ حولها الرجال، الآن هو يعاقبها بطريقة ملتوية وكأنه يوجه رسالة خفية مفادها أن الجميع غادروها ليرافقوني لتُترك وحيدة ومهملة.

رونيم: «عرف أسران، لا أعرف كيف ولكنه عرض خدماته بل تخطاني وذهب لأبي مطالبًا بعرضك».

ابتسم روبيم بطرف فمه وهو يراقب البحر: «أنا حقًا لا أطمع في أي منصب، أنا فقط أردت الرحيل».

- أسران عنيد وسيطمع الآن لأخذ كل ما تملك.

- حظي جيد إذن، أنا لا أملك شيئًا.

ابتسمت بطرف فمها وعادت تتأمل البحر، شعرت بتحديق روبيم إليها فنظرت له: «ما الأمر؟».

- لا أحب مضايقتكِ خاصة بعد ما مررت به لكن أما زلتِ لا تتذكرين ما حدث لكِ؟».

ظهر الغضب عليها: «اللعنة لماذا يصرُّ الجميع على تذكيري بهذا الأمر».

- لأنه شيء غريب وأنتِ لا تأبهين، تكملين حياتكِ وكأن شيئًا لم يكن.

- وما نهاية تفكيري هذا؟ هه أخبرني كيف نفعني تفكيري يومًا ما؟

- أنتِ تعرضت لنكسة بسيطة لا داعي للتشكيكِ بنفسكِ.

حملقت به وتذكرت كم اعتاد دعمها فيما سبق: «أتوسل إليك لا تثر هذا الموضوع ثانية، لا أريد التفكير به».

حاول روبيم قول المزيد ولكن توقف عندما أحس باضطرابها فوقف معها يراقب المحيط صامتًا.

***

توقفت السفينة بالقرب من رصيف الميناء فترجل روبيم وهو يمسك بيدها: «لقد أحسنتِ صنعًا؛ الميناء إنه رائع».

اختلطت مشاعرها فلم تعرف هل تبكي أم تبتسم، رفعت رأسها لترى السيد أقروم في استقبالها مع مجموعة من الوزراء، تطلعت إلى الوادي وتذكرت كم اشتاقت إليه.

انتهت مراسم الترحيب فتوجهت مباشرة إلى قاعة الاجتماعات، جلست على أضخم مقعد وقالت دون رفع رأسها: «شبان، أين هي؟».

تبادل الوزراء النظرات فتقدم أقروم: «ما زالت تخضع للتحقيق سيدتي».

- مولاتك، أنا مولاتك، وقراري قانون يُنفَّذ في التو، أخرجوا شبان الآن.

أسرع بعض الجنود في الخروج من القاعة لتنفيذ الأوامر فتطلعت رونيم إلى الجمع وأكملت: «والسيد تكارون».

نظر الوزراء لبعضهم بعضًا فتحرك بضعة جنود آخرون فهزت رونيم رأسها في رضا.

تقدم السيد أقروم مترددًا: «هل سنعقد محاكمة؟».

- لأي شيء؟!

- لمحاكمة القائد راين.

تطلعت إلى وجهه فما لبثت أن هدأت القاعة ليسمع الجميع ما تنوي فعله.

- كلا دون محاكمة، ليؤخذ إلى أكثر الزنزانات ظلمة ويُلقى فيها إلى يوم مماته.

قالت تلك الكلمات ثم أسرعت في الخروج ليقطع طريقها أسران وخلفه عدد من الجنود يسحبون راين في سلاسل حديدية.

أسران: «أين أضعه؟».

أشارت رونيم للجنود فأسرعوا باتجاه راين: «سيتعاملون معه».

قالت تلك الكلمات ثم أسرعت إلى غرفتها، وجدت مجموعة من وصيفاتها مع الخادمات يقفن لاستقبالها بالورود ولكنها لم تهتم دخلت غرفتها وأغلقتها بأحكام ثم ألقت بنفسها على الفراش تبكي بحرقة، لا تعرف ما فعلته صحيح أم خاطئ، كم تود لو تتركه يذهب في طريقه لكنها لا تستطيع، سيستهزئ بها الجميع إن فعلت ويلقبونها بالملكة الحمقاء وعندها لن تستطيع النظر إلى عين أحد وممارسة سلطتها كملكة.

مر بعض الوقت حتى توقفت عن البكاء ثم وقفت لتتوجه إلى الراهرو، لو هناك سبب لعودتها إلى هنا فهو بالتأكيد الممر، أزالت الأربطة التي وُضعت على الباب ليمنعوا أي أحد من استخدامه ثم حركت المقبض.

ببطء فتحته وفي رأسها مائة سؤال عما حدث بعد رحيلها، سرت قشعريرة في جسدها وهي تنظر لكتلة الفراغ المظلم، مدت يدها فاختفت وكأن الظلام ابتلعها، أخرجت يدها وحملت مصباحًا وعادت لتنير الطريق بداخل الراهرو ولكن لا شيء، الظلام يبتلع كل شيء، أدخلت يدها سريعًا من شدة البرودة مغلقة الباب ثم جلست على طرف الفراش مفكرة فيما سيحدث الآن، فقدت الممر، مركز قوتها وتميزها عن الجميع.

***

جلس أسران أمامها فتطلعت إلى وجهه ثم عادت لتطالع الأوراق التي أمامها

أسران: «أريد التحدث معكِ».

نوعًا ما توقعت تلك الكلمات فما إن تنفرد بروبيم حتى يأتي هو، أصبح الأمر مملًا ومرهقًا لها.

وقف روبيم: «سأحرك قدمي قليلًا ثم أعود لنكمل الأعمال».

ابتسمت له وهو يغادر ثم عادت لتطالع الأوراق: «ماذا تريد؟».

نظر لها أسران بعينيه الخضراوين المتوهجتين: «أنا ملزم بإخبارك عما يدور في أروقة قصركِ».

زفرت رونيم بغضب: «لقد عاد الليل والقمر والنجوم ألا يكفيهم هذا؟».

- الجميع يتساءل عما حدث لكِ وأين اختفيت كل تلك المدة.

رونيم بهدوء: «أخبرتهم مائة مرة: أنا حقًا لا أتذكر».

أسران مسرعًا: «لكن راين يتذكر كل شيء بوضوح».

صرخت غاضبة: «هنيئًا له».

تراجع أسران: «رونيم من فضلكِ اهدئي وفكري معي، كل ما هو غريب وغير ممكن حدث هنا: الأساطير، الوحوش، الألغاز واللعنات».

- وما المطلوب مني؟

- أن تعودي لتكوني أنتِ، سألت عنكِ قبل حدوث كل هذا، الجميع أحبكِ هنا، الحفلات التي أقمتها، تجولك كل ليلة في الوادي والاستماع للجميع، التحسينات التي أدخلتها، رونيم كنتِ ملكة رائعة.

رونيم بسخرية: «كنت».

- حسنًا، هذا ما يخشاه الجميع.. نعم.. شعبك الآن يخافكِ ويتساءل: هل عادت الملكة أم عادت اللعنة؟

- اللعنة لم ترحل يومًا.

- ربما نعطيها دفعة بسيطة إذن.

لم تعلق بل ظلت تنظر له حتى أكمل: «حشائش البسكان، ربما حان الوقت لتطهير الوادي».

- أنت لا تعرف شيئًا، حشائش البسكان تحوي وحوشًا.

أسران مسرعًا: «بل أعرف، تجولت بها بنفسي أمس وسألت الجنود وسكان الوادي عنها».

تطلعت رونيم إلى وجهه وحاولت تخمين السبب الحقيقي وراء طلبه هذا، ربما الملل تمكن منه، فالوادي صغير عليه مقارنة بالمملكة أو ربما يحاول

التفوق على روبيم، ربما تدعه يشغل نفسه في شيء ما لكنها تخاف من العبث في هدوء الوادي.

- حاول مِن قبلك الكثير ولكن انتهى الأمر بالمزيد من الجثث.

- أعرف.. راين لم يتـــ...

توقف عندما رأى تأثير اسمه عليها: «لن أغامر بالدخول إليها سأجعلها تخرج لي».

- يا لها من خطة رائعة، إخراج الوحوش لمهاجمة سكان الوادي.

- لا تقلقي، لدي خطة محكمة لكني أريد موافقتكِ، وانظري للأمر من جهة أخرى، ربما يرى سكان الوادي أن تلك طريقتكِ في العودة للحكم.

- وبالطبع أحتاج لك لحكم مملكتي.

- كفي عن كونكِ غبية وانظري أمامكِ، ستفقدين ما هو أكثر من مجرد رجل أحببته.

وقفت رونيم فجأة لتنهي الحوار.

***

«هلا تكبح جماحه؟».

روبيم: «مَن.. أنا؟».

رونيم غاضبة: «نعم أنت».

قالتها وهي تشير إلى البرج المرتفع الذي يبنيه أسران في منتصف الوادي على بُعد أمتار قليلة من حشائش البسكان.

- ألم تعطِه صلاحية لفعل ما يريده؟

رونيم صارخة: «وهل سأُعاقب من أجل هذا؟».

رفع يده لتهدئتها: «ســـ.. سأحاول التحدث معه».

همت بالصراخ مرة أخرى لكنها توقفت عندما رأت شبان تدخل الغرفة فأسرعت إليها لتحضنها: «هل أنتِ بخير؟».

هزت شبان رأسها ثم نظرت إلى روبيم الذي أسرع خارج الغرفة.

- أنا آسفة.

قالتها رونيم وهي تربت على يدها.

- بل، أنا.. أنا من فعلت كل هذا.

قالت تلك الكلمات ثم بدأت في النحيب.

رونيم: «كلا، هذا ليس خطأك إنـ...».

- ولكن أنا من دفعتكِ إلى الاعتراف بحبكِ له، أنا من أعددت لملاقاته، أنا من تـ...

ضغطت رونيم على يدها بقوة لتوقفها: «إنه القدر، توقفي عن لوم نفسكِ».

انفجرت شبان في البكاء فاحتضنتها بقوة.

مر بعض الوقت حتى هدأت ثم سألتها: «ماذا ستفعلين به؟».

هزت رونيم رأسها في استسلام، لمدة طويلة تمثل أمام الجميع عدم الاكتراث، لكن مع وصيفتها الأمر اختلف، شبان تعرف كل شيء ربما شعرت بخنجره هي الأخرى، سمحت لنفسها بالبكاء: «لا أعرف، أمرت الرجال بوضعه في زنزانة أسفل القصر لكن في الحقيقة لا أعرف ماذا أفعل به، لا تمر ليلة واحدة دون أن أقتله في رأسي مائة مرة وأعذبه مائة وأعفو عنه مائة، شبان لأول مرة في حياتي أشعر بـ... اللعنة.. لا أعرف كيف أشعر، الأمور كلها ضبابية، حياتي مشتتة ولا أجد لها لونًا أو طعمًا، أرى كل شيء يتحول إلى لون رمادي حتى روحي».

- سيدتي، لدي رأي آخر.

رفعت رونيم رأسها فأكملت شبان: «ربما عليك التخلص منه، كلا، لا أعني قتله، لكن انفيه خارج الوادي أو.. لا أعرف، هل تحدثت معه؟».

- بضع كلمات فقط، حاول إلقاء اللوم على اللعنة.

- هل فكرتِ فيما قاله؟ ربما هو محق.

- أنتِ أيضًا!

- عذرًا مولاتي لكن الوقت الذي أمضيته في الزنزانة جعلني أفكر ربما هو محق، ربما جميع أفعالنا كتبت مسبقًا بسبب اللعنة.

- شبان من فضلكِ، تلك حجته هو.. أنا...

- ربما تلك حجتكِ أنتِ أيضًا، أعني.. وجدتِ صعوبة في تقبل أنكِ وقعتِ في غرامه منذ أن رأيته أول مرة، ربما مقاومة تلك المشاعر منذ البداية لم يكن صـــ...

رونيم بحزم: «ربما تجاهلها كان الحل الأسلم، ربما أنا ضعيفة ربما رغبتي في عدم جرح مشاعره والتمسك به رغم إخفاقاته هما سبب المشكلة وليست مشاعري».

طأطأت شبان رأسها: «آسفة يا مولاتي».

زفرت رونيم: «لا عليك، ولكن يبقى السؤال، ماذا أفعل به؟».

همت شبان بقول شيء ما ولكن صوت صراخ رجل قطع حديثهما فأسرعت كلتاهما إلى النافذة.

كما توقعت رونيم، أسران يقف على برجه المرتفع حوله كتيبة من الجنود موجهين سهامهم ناحية الحشائش، صرخ مرة أخرى فألقى الجنود سهامهم المشتعلة ناحية الحشائش، مر بعض الوقت حتى ارتفع الدخان الأسود، انتشرت رائحة كريهة، فصرخ أسران ثانية فرفع الرجال قطع قماش لتغطية أنوفهم.

- قائدكِ هذا فكر في كل شيء حقًا.

قالتها شبان والإعجاب ينضح من صوتها، فابتسمت رونيم متذكرة ذكرياتها مع أسران وكيف اعتاد لفت الأنظار أينما ذهب بجسده الممشوق وشخصيته الجذابة.

- إنه ليس قائدي، إنه فقط صديق.

ما زالت شبان تتأمله بانبهار: «هل السيد أسران أعطى كلمته لإحداهن؟».

- أظن الأمر معقدًا.

تنهدت شبان: «إنه دائمًا معقد مع الرجال الجذابين».

همت رونيم بالمزاح ولكن صوت صراخ أوقفها، لم يكن آدميًا؛ الوحوش خرجت أخيرًا، أولهم وحش جسده طويل مغطى بالفراء ورأسه يبدو كهيكل عظمي لماعز وعلى مقدمة ذلك الرأس يقبع قرنان كقرون الظباء، تقدم الوحش محطمًا الحشائش أسفل منه لكن أسران كان مستعدًا فأمطره بوابل

من السهام المشتعلة، لن يحاربه وجهًا لوجه إذن، لقد أحسن صنعًا، جمع المعلومات وعرف فرق القوى بين الجنود وتلك الوحوش الكاسرة، ففضل أن يصرعهم عن بعد بسهام مشتعلة، الوحش لا يعرف ما أصابه يحاول الوصول لهم لكن جسده مشتعل فسقط على الأرض وصوت صراخه يصم الآذان، تحركت فرقة من الجنود على الأرض تحمل رماحًا مشتعلة لتصوبها عن قرب ناحية الوحش لتتأكد من موته.

لم يهدأ جسد الوحش حتى تحركت الحشائش مرة أخرى ليظهر وحش آخر.

«اللعنة»، قالتها شبان وهي تتراجع فهذا الوحش كان دميمًا مؤذيًا للعين يبدو كإنسان ولكن أطرافه طويلة للغاية ويمشي على أربع، عيناه جاحظتان بشكل غريب وفمه مفتوح من الأذن اليمنى لليسرى وشعره الأسود الطويل يتهدل على جانبيه.

«يبدو كامرأة»، قالتها شبان فركزت رونيم على جسده لتجد ثديًا متهدلًا قبيحًا، إذن راين كان محقًا، تلك الوحوش لسكان الوادي ولكن اللعنة فعلت بهم شيئًا مختلفًا وهي لم تستطع إرجاعهم لشكلهم الآدمي، أسرعت رونيم لتغلق الشرفة فالمزيد من الوحوش تخرج وهي لم تعد تتحمل.

***

استيقظت على صوت صراخ طفل ما ثم هدأت لتكتشف أنها تحلم مرة أخرى، ما زالت الأحلام تحاصرها كلما نامت خاصة تلك الخاصة بالراهرو والوحوش التي تسبح بداخله، ربما حان الوقت لتقطع تلك الرحلة إلى راين وتعرف منه ماذا وجد في الممر، يقتلها الفضول لتعرف ماذا وجد فهي لا تتذكر إلا القليل لذلك ارتدت معطفها ثم توجهت إلى أسفل القصر حيث تقبع زنزانة قائدها، وجدت حارسًا ضئيل الحجم يحرس المكان فأمرته بالمغادرة، وفتحت الباب لتجد ممرًا طويلًا في نهايته تقع الزنزانة، لم يخالفوا أوامرها؛ إنه ملقى في أكثر الأماكن ظلمة.

اقتربت لترى حارسًا آخر يجلس ممسكًا بكتاب وكوب من الشراب الساخن، انتفض ما إن رآها: «تحياتي للملكة المختارة».

ذكرتها كلماته بصديقها المريب فوقفت تحدق إليه.

- كل شيء بخير يا مولاتي.

- جيد، جيد، لا أحد يزوره أليس كذلك؟

تراخى الحارس قائلًا: «بلى، منع السيد أقروم عنه أي زيارات لكن...».

صمت الحارس فأسرعت رونيم: «لكن، ماذا؟».

- يتلقى زيارات مستمرة من بائع الكتب السيد أمرون.

- لماذا؟!

- يأتي محملًا بالكتب، الكثير من الكتب.

هزت رونيم رأسها ولم تعلق. حدقت إلى الظلام الممتد أمامها وبدأت في السير.

- لمن أدين بشرف زيارتكِ؟

قالها راين ما إن اقتربت من زنزانته، لذلك دنت لتراه بوضوح أكثر، زنزانته كبيرة الحجم بها مقعد ومكتب والكثير من الكتب أما في الجزء المظلم يقبع فراشه وبجانبه على الأرضية يجلس ممسكًا بكتاب ضخم مصفرة أوراقه، وضع الكتاب من يده ما إن رآها ثم وقف ليقترب من بقعة الضوء، فوجئت قليلًا، تخلى عن لحيته وبدا وكأنه استرد وزنه الذي فقده بل بدا في صحة جيدة، عضلاته تبرز أسفل قميصه الأبيض الممزق والمتسخ.

- كيف حال أبي؟

- صحته تسوء يومًا بعد يوم.

- هل ستسمحين لي برؤيته؟

رونيم بحزم: «كلا».

- ماذا جاء بكِ إذن؟

- ماذا رأيت في الممر؟

ابتسم راين بطرف فمه ثم عاد ليختفي في الظلام: «أريد رؤية أبي أولًا ثم أخبرك بكل شيء».

- عليك اللعنة.

راين ضاحكًا: «لم ترحل يومًا عني، لذلك لا أمانع».

تنفست رونيم لتُهدِّئ من نفسها: «حسنًا، أخبرني بما حدث ولك كلمتي».

اقترب راين ثانية من القضبان الحديدية: «كلمتكِ لا تعني لي أي شيء».

- انظر مَن يتحدث عن الوعود، قاتل الملوك.

ابتسم ولم يعلق ولكنه أخذ كتابه مرة أخرى وبدأ في القراءة.

راقبته لدقائق ثم أسرعت خارج الزنزانة ولكنه أوقفها: «ما زلتِ لا تتذكرين ما حدث لكِ، إنه شيء مؤلم أليس كذلك؟ ألا تستطيعين التحكم في مصيركِ؟».

- لا تقارن بيني وبينك.

قفز راين من مكانه صارخًا: «اعترفي أنها اللعنة، فقط اعترفي أنه ما أمكنني إصابتك بسوء تعرفين هذا ومع ذلك تكابرين».

اقتربت منه وعلى شفتيها شبح ابتسامة: «ولماذا أفعل ذلك؟».

- لأنكِ أحببتني حقًا.

فلتت ضحكة مجنونة منها: «إذن تريد مني الاعتراف أن ما فعلته بي من تأثير اللعنة وتنكر أن مشاعري لك من نفس السبب».

تراخى راين ليقع على الأرض ثم رفع رأسه: «إذن لا تكنين لي أي مشاعر؟».

- باستثناء مشاعر الشفقة، كلا.

حدق إلى وجهها لبضع دقائق ثم أشاح بوجهه بعيدًا، عرفت أنه لن يتحدث الآن خاصة بعد ما قالته فخرجت مسرعة من المكان.

***

«هل انتهيت أخيرًا؟»، قالتها رونيم وهي تتأمل البحر أمامها.

أسران: «نعم، قطعنا كل حشائش البسكان وعاد السكان إلى منازلهم».

تطلعت إلى وجهه: «لماذا أنت حزين إذن؟».

- لا أعرف ربما شعور بالذنب ناتج عن الفوز.

- حقًّا.. أنت غـ...

- كلا استمعي لي، ربما كان من الأفضل عدم العبث باستقرار الوادي.

هَمَّت بسبِّه لأنها توسلت له كثيرًا كي لا يفعلها ولكنها وجدته مضطربًا فأكملت: «ما الأمر؟ ماذا حدث؟».

- لا أعرف، تحدثت مع راين أمس، و...

- دعك منه، كلا انتظر، هل أخبرك عما رآه في الراهرو؟

- كلا، ليس القصة كاملة، قابل الأميرات الثلاث لكنه لم يخبرني بالتفاصيل.

هزت رأسها ثم ابتعدت في صمت وقبل أن ينتهي رصيف الميناء التفت له: «هل تشرف على زيارة راين للسيد تكارون؟ إنه يساومني ليخبرني بما حدث، يريد رؤية أبيه أولًا».

- حسنًا، لكن لماذا؟

ظهر عليها عدم فهم سؤاله لذلك أكمل: «لماذا تودين معرفة ما حدث له؟ أقصد الأمر شائق ولكن ما حدث قد حدث وكلاكما نجح في الخروج».

هزت رونيم رأسها في شرود: «لا أعرف أشعر بأن هناك شيئًا مهمًّا حدث لي ولا أتذكره، لم تكن مدة اختفائي هينة على أي حال».

قالتها ثم استأذنته ورحلت لا تعرف شيئًا عما حدث لها ولكنها تشعر بأن شيئًا مهمًّا سيفوتها، كموعد مهم مع شيء أو شخص ما، وكأن أحدهم أعطاها مهمة غاية في الخطورة لكنها لا تتذكر من وماذا.

***

حاولت ترتيب أفكارها لاستخراج معنى أو نتيجة لكنها فشلت لذلك عادت تطالع ما بيدها من أوراق لعل الإلهام يأتيها من السماء، نفذت طلب راين ثم ذهبت له ليقص عليها ما حدث، بدت قصته ناقصة لكنه أقسم إن هذا ما حدث وهي تصدقه لكن ما قاله لم يشبع فضولها أو يجب عن أي سؤال راودها لذلك قررت قطع الرحلة إلى السيد تكارون لعله رائق المزاج الآن بعد الاطمئنان على ابنه، وضعت عباءتها ثم توجهت إلى حجرته، طرقت الباب وسمحت لنفسها بالدخول.

حاول الوقوف لكنها أمرته بالبقاء في الفراش ثم صرفت الخادمة التي ترافقه.

- هل أخبرك عما رآه في الممر؟

هز السيد تكارون رأسه.

- وما تفسيرك له؟

همس السيد تكارون بصوت هزيل: «الكثير من التفسيرات لكن أيًّا منها لن يساعدكِ على التذكر».

- حسنًا، وما الذي سيساعدني على التذكر في رأيك؟

حاول الاعتدال لذلك أسرعت إليه تساعده فأمسك بذراعها ونظر إلى عينيها: «هل حقًا اختفت مشاعركِ لراين؟».

أسندته رونيم ثم أشاحت بوجهها بعيدًا.

- لا أقصد التطفل ولكن إجابتكِ ستحدد الكثير من مفهومي عن اللعنة.

ابتسمت رونيم بطرف فمها: «لا تأبه للعنة، شكلت مجلس من أهم الحكماء في الممالك الثلاث وهم سيجدون حلًا لها».

- حسنًا ابنتي، كل ما يمكنني فعله هو إرشادكِ إلى شيء لمساعدتكِ.

- كلي آذان مصغية.

***

تفحصت القارورة بأناملها ثم عادت لتضعها أمامها على المنضدة، لم تقرر بعد هل ستستخدم ما بها أم تحاول البحث عن حل آخر، اعتصرت جبهتها بأصابعها ثم تناولت ما بالقارورة دفعة واحدة، أعادت الزجاجة الفارغة إلى الطاولة ثم تمددت على فراشها، ربما كان عليها إخبار أحد ما، لقد أكد عليها السيد تكارون ألا تتناول القارورة وهي بمفردها ولكنها تخشى من أن تفشي أسرارها، خاصة وأنها لم تجرب هذا الدواء من قبل.

تطلعت إلى السقف وظلت تركز تفكيرها على لحظات طعنها ثم فرارها إلى البحيرة، أخبرها السيد تكارون أن الدواء سيفتح الغرف المغلقة في عقلها، طرأت على رأسها فكرة، ماذا لو تذكرت ثم نست ثانية؟ هل ستدور في دوائر مغلقة للأبد؟ تنفست لتُهدِّئ من نفسها وحاولت الاستغراق في النوم، أحدهم يطرق باب غرفتها وقفت متثاقلة حتى ذهبت إلى الباب، لا يوجد أحد، مرة أخرى صوت الطرق يرتفع، تذكرت باب الراهرو فأسرعت تفتحه توقعت الظلام والبرودة القاتلة لكن بدلًا من الظلام الدامس وجدت حديقة

مزهرة بنباتات وورود خلابة، تقدمت أكثر حتى لامست قدمها الحشائش الخضراء الناعمة، شعرت بخفة في جسدها وحيوية لم تعهدها من قبل لذلك قررت العدو في الحديقة ومطاردة الفراشات، بضع محاولات فاشلة للإمساك بفراشة صفراء ثم قررت الدخول إلى القصر الضخم، لا يبدو كقصرها في المملكة ولا قصرها في الوادي ولكنه مألوف نوعًا ما على الرغم من ضخامته، أرادت رؤية أمها فذهبت مباشرة إلى غرفتها، تعجبت من معرفتها بغرف القصر الغريب وأثاثه الشاهق وتساءلت: هل تحولت إلى قزمة أم أنها ذهبت إلى أرض العمالقة؟ وجدت أمها أخيرًا، لكنها لا تعرف سببًا لما فعلت تخفت حتى رحلت أمها من الغرفة، توغلت أكثر في المكان حتى اقتربت من هذا الباب الغريب الذي حذرتها منه أمها، لطالما أرادت رؤية ما خلفه لذلك قررت ستبدأ في مغامرة جديدة، فتحت الباب بخفة ثم دلفت إلى الظلام.

ارتعدت خوفًا فهي لم تتوقع أن الظلام دامس وبارد إلى هذا الحد، أرادت العودة حاولت فتح الباب ولكنها لم توفق، التفَّت خلفها وبدأت في البكاء، بكاء هستيري يمزق آذان من يسمعه، صرخت عدة مرات تستنجد بأمها وتعجبت من فعلتها فهي عادة تميل لأبيها لكنها استمرت في مناداة أمها بشكل هستيري حتى غلبها التعب لذلك قررت المضي في الممر لعلها تجد أمها في نهايته، بضع خطوات ثم فُتح باب لم تعرف بوجوده، تسمرت مكانها وهي ترى اليد التي تخرج من الباب، لم تكن آدمية، التفتت لتعود إلى باب الدخول لكنها لم تجده، المزيد من الأبواب تفتح ويخرج منها كائنات عمالقة كلها تقترب منها، ظلت تصرخ وتصرخ لكن لا مجيب، أمها لن تأتي أبدًا، لن ينقذها أحد، الوحوش تقترب، بعضها يشبه الوحوش في حشائش البسكان وبعضها يشبه الأشباح السوداء التي تؤرق نومها والتي وجدتها تسبح في حفرة خلف منزل راين، نعم.. راين.. أين هو؟ لطالما أنقذها، صرخت باسمه أكثر من مرة فوجدته يلوح بسيفه أمام الوحوش ثم فتح الباب ودفعها خارجه، حاولت الإمساك بيده لكن الوحوش تمكنت منه فوقعت على أرضية الغرف تبكي وتصرخ باسمه، حاولت الوقوف فَمُدت كثير من الأيدي تمنعها من التحرك وتطلب منها التمهل، فتحت عينيها ببطء فوجدت الجميع في غرفتها: أسران، روبيم، شبان وبضع خادمات والكثير من الحراس.

مسحت العرق البارد وقالت بأنفاس متقطعة: «ما الأمر؟ لماذا ينظر لي الجميع هكذا؟».

روبيم: «كنت تصرخين لمدة طويلة وفشلنا في إيقاظكِ».

حاولت الاعتدال: «حقًّا؟ هل أيقظتكم جميعًا؟».

أسران: «كنتِ تصرخين باسم راين!».

نكزه روبيم على الفور وتبادل الجميع النظرات المريبة فأسرعت شبان تبرر لسيدتها: «ربما هاجم مولاتي حلم مزعج آخر».

هز الجميع رأسه موافقة على ما قالته فأكملت خادمة: «مسكينة مولاتي ربما تحلمين بحادثة طعنكِ مرة أخرى».

أمسك أحد الحراس بالخادمة وألقاها خارج الغرفة ثم ابتسم مع الجميع ببلاهة، اعتدلت أخيرًا ثم طلبت من الجميع الخروج، عليها الجلوس بمفردها لتعرف تفسير هذا الحلم -أم أنها ذكرى- خرج الجميع أخيرًا ففركت جبينها وكأنها تستخرج منه المعلومات، عليها التركيز في حلمها الغريب، أخذت تتجول في غرفتها لبعض الوقت حتى تعبت وخلدت للنوم، بضع ساعات مرت ثم استيقظت فجأة متذكرة تلك القصة الخاصة بالملكة التي صنعت الراهرو وطفلها الذي تسلل إلى الممر وحبست روحه فيه للأبد ولكن ما قصة تلك الوحوش! ربما عليها التواصل مع الحكماء الذين عينتهم لتولي إبطال اللعن..

***

الآن تتذكر ما حدث لها، وكأنها لم تنسَ قط بل خُيِّل لها أنها في حلم داخل آخر لذلك جلست أمام مجموعة من الحكماء الذين تم تعيينهم بواسطة أبيها ليبحثوا عن طريقة لإبطال اللعنة.

الحكماء يتحدثون واحدًا تلو الآخر يفضون إليها بمعلومات لم تسمع عنها قط. «حتى الكتب تكذب»، لم تعرف ذلك؛ لطالما اعتبرت الكتاب الصديق الوفي الأمين، ليست ساذجة بالطبع تعرف بأهواء الكُتَّاب والرغبات الملحة لكل نفس بشرية لكن رغم ذلك شعرت بأنها خدعت، لم تظن قط أن البعض يحرف التاريخ ليُكذب الصادق ويجعل الخائن بطلًا شهيدًا.

أنهت اجتماعها مع الحكماء فبدت الصورة أكثر وضوحًا، يقع على عاتقها الآن إبلاغ الجميع بأن الوادي سيفنى مع من عليه!

***

حبست نفسها في الغرفة لبضع ساعات ثم استدعت الخادمة لتبلغ الجميع بموعد الاجتماع، هناك مهمة عسيرة أخرى تقع على عاتقها ستطلب حضور راين، عليه سماع القصة كاملة هذا من حقه؛ لطالما اهتم بالوادي، ربما عليه سماع سبب كونه هكذا: ملعونًا للأبد. تذكرت روبيم وأسران لذلك بعثتهما بمهمة عاجلة إلى وطنهما دون توضيح المزيد، ليس من المنصف أن يقضيا نحبهما في مكان ملعون كهذا.

حاولت ترتيب أفكارها قبل الاجتماع، لتبدأ بقصة كيف بدأ كل هذا عليها قص قصة الملك أريدان الملك الشاب الذي أراد التوسع بضم ممالك أخرى لكن بعد عشرين عامًا من الحروب انتهى كل شيء: أمواله، ذخيرته حتى شعبه بدأ في الانقراض، لذلك اتجه إلى تعلم السحر وفكر في كيفية صنع جنود خارقين لتحقيق غزواته، بالفعل استطاع صنع المئات من الوحوش وبدؤوا في نشر الفظائع في الممالك التي احتُلت، لم يكتفِ بهذا بل بدأ في تحويل ما تبقى من شعبه إلى وحوش عملاقة لإكمال حروبه، ولمَّا طفح الكيل تعرض للاغتيال من عائلته، عندها انهار كل شيء، الوحوش خضعت له وحده وبموته انطلقت دون هدف أو خطة تقتل وتأكل كل من يقابلها.

«بدا أن الجحيم فُتِحت أبوابها».

هكذا كتبت الملكة إيلينور أخته ومَن تولت الحكم من بعده، إيلينور التي امتهنت السحر وقررت تسخير قواها للخير، ولأنها ذكية عرفت أنه لا يوجد سجن يمكنه تجميع كل تلك الوحوش التي انتشرت في الأرض كما لا توجد زنزانة يمكنها كبح جماح تلك الكائنات لذلك قررت صنع الراهرو، هذا النفق المظلم بغرفه الغريبة والتي تنتقل في الزمان والمكان، يمكنها الآن الذهاب لكل وحش في مخبئه وإغواؤه لدخول الممر وحبسه في زنزانة صممت خصيصى كسجن له، وحش تلو الآخر وعام تلو الآخر حتى استطاعت تجميع كل تلك الوحوش ووضعها في الراهرو، لكن لكل شخص مأساته، قصة طفلها الذي دخل الراهرو وحُبس به صحيحة إلا أنه لم يخرج قط، بحثت المسكينة

عنه لسنين طوال لكنها لم تجده قط، مدفوعة بخوفها من الوحوش قررت وضع سبعة أقفال في سبع بوابات لا يمكن لأحد اختراقها إلا وريثها الشرعي، وقبل أن توافيها المنية قررت طمس الممر ووحوشه وأي شيء عنه كي لا يستخدمه أحد في الشر.

إلى الآن والقصة لا تمسنا في شيء، أحداث مؤسفة نعم لكن ما حدث بعد ذلك هو المأساة الحقيقية، مرت مئات الأعوام وكل شيء على ما يرام، بضع حوادث تجعلك تظن أن الوادي ملعون ولكن المصائب تحدث للجميع، حتى وصلت تلك الملعونة منازوان التي عرفت بالقصة الحقيقية للملكة إيلينور كما تعرف بالسجن المطموس، وعندما حدثت تلك الفاجعة لابنتها قررت فعل شيء واحد وهو بالطبع إخراج تلك الوحوش على الأرض، ما لا تعرفه تلك الشمطاء أنها لم تخرج الراهرو فقط بل أطلقت بعضًا من تعاويذ الملك أريدان ولذلك مُسخ أهل الوادي، البعض عاد والبعض ظل حبيس اللعنة للأبد.

الآن ما لا يعرفه أحد حتى الحكماء أن الملكة إيلينور قررت السماح لوريثها بالتحكم في الراهرو واستخدام وحوشه في حالة الحرب وبالطبع لأنها ذكية فوضعت بضعة شروط من المستحيل أن تتواجد في شخص، حتى وُلدت هي، من الغرور قول ذلك لكنها الحقيقة، بالطبع تذكرت ما حدث لها بعد سقوطها في البحيرة مع الأميرات الثلاث، الملكة إيلينور شعرت بها لذلك سحبتها مرة أخرى إلى الراهرو لتخبرها بكل ذلك وتسوق لها الخبر الأهم، أن موتها جعل الوحوش تستيقظ وتكسر سجنها لتخرج على العالم ولأن السيد تكارون أطلق لعنة حفظ كي يحتفظ بالوحوش في الوادي فالوادي بمفرده سيفنى، في خلال بضعة أيام ستنتهي الوحوش من كسر القفل السابع والانطلاق للخارج، هذا ما حاولت تذكره منذ استيقاظها لكنها فشلت حتى أمس، لمدة شهر كامل طيبت الملكة إيلينور جراحها ثم شرحت كل شيء عن الراهرو بل علمتها طريقة تسخيره لعلها تنقذ الوادي.

ستجتمع الآن مع وزرائها ورجال دولتها لتخبرهم كل شيء ربما يثير ذلك الهرج والمرج داخل الوادي، لكنها مؤمنة بالشفافية ولا تريد التحول لهذا النوع من الملوك الذي ينصب نفسه وليًا على شعبه، هي مؤمنة أن الناس في النهاية أذكياء -أو على الأقل بعضهم- ومن الخاطئ الظن أن عقلها أذكى من

عشرة عقول مجتمعة، لذلك ستعرض الأمر على الجميع وربما تقص لهم عن زيارة صديقها الغامض الذي أراها الراهرو أول مرة، تساءلت كثيرًا عن كنهه ربما هو ابن إيلينور الذي اختفى في الممر، وربما هو كائن وضعته الملكة في الراهرو لتحمي العالم من وحوشه رغم أن هذا لا يفسر كيفية خروجه من الراهرو، ربما الكثير من التخمينات ولكن هو ساعدها كثيرًا خاصة في الرؤية المتعلقة بالوحوش التي تسبح في الفراغ، الآن تلك الوحوش ستنطلق في الوادي ليتحول إلى حفرة من الجحيم.

أمسكت رونيم رأسها وتنفست ببطء كي لا تبكي ثم وقفت متوجهة إلى الاجتماع.

***

لك حرية التخيل كيف كان رد الفعل، البعض صرخ والبعض حاول التظاهر بالهدوء، البعض انسحب راكضًا ليحتضن عائلته، البعض تجمد في مكانه وكأن ساقيه شُلَّتا، قليلهم صرخ في وجهها وكأن من السهل لومها هي دون غيرها والبعض لامها لأنها أذاعت الخبر، فهل يفضل الموت كجاهل؟! ربما الشخص الوحيد الذي فاجأها هو راين، ظنته سينظر لها بثبات أو يتولى زمام الأمور لكن لكل شيء نهاية، بدا أن اليأس تملك منه فسقط باكيًا على الأرض كالأطفال، من تولى زمام الأمور حقًا هو الوزير أقروم، هذا الرجل يبهرها حقًا، على الأقل هي فعلت شيئًا صحيحًا بتنصيبه مستشارًا لها.

انطلق الوزير يبعث بالجنود خلف كل من غادر القاعة ثم أغلق أبواب القصر، لن يخرج أحد ولن يعرف أحد من الوادي عن المصيبة التي سوف تحدث، برز ذكاؤه أكثر عندما طلب مغادرة جنود مملكة أبيها فليس لهم ذنب فيما سيحدث هنا، بضع ساعات مرت ثم هدأ كل شيء، ما زالت القاعة مكتظة ولكن كل ما فكر فيه الجميع قِيل، كل الأفكار الذكية والساذجة حتى الأفكار الحالمة والغبية والسخيفة، الآن لم يبقَ شيء إلا خطة الملكة إيلينور.

قطع الصمت صوت الوزير تفرون: «الآن علينا إيجاد الراهرو يا مولاتي، أليس كذلك؟!».

هزت رونيم رأسها في استسلام؛ أخيرًا أحدهم فهم المقصود.

«ماذا وجدت عندما دخلت إلى الراهرو أيها القائد راين»، قال ماكرون تلك الكلمات بصوت مرتعش وهو يتصبب عرقًا.

رفع راين رأسه، توقف عن البكاء منذ بعض الوقت ولكن ما زال لونه أحمر وكأنه صُفع مائة مرة: «دلفت إلى الراهرو ثم وقعت في ظلمات البحر حتى انتشلتني يد الأميرة الحمراء لأسقط في كهف صخري».

ماكرون: «ولماذا البحيرة بالذات؟».

رونيم: «لأن هذا هو آخر مكان تواجدت فيه حتى انتشلتني الملكة إيلينور، لا بد وأن المكانين متصلان».

أقروم: «ومِن أين ستخرج الوحوش؟».

أحد الحضور: «ربما من البحيرة أو تنشق الأرض عنهم».

مرة أخرى هاجت القاعة واستغرق إعادة النظام بعض الوقت وطوال هذه الفترة وقف راين محدقًا إليها، أراد قطع الطريق الطويل بينهما لاحتضانها وتقبيل شفتيها وإخبارها كم يحبها ولكنه يعلم كم هو جبان وكم هي عنيدة.

استيقظ من تخيلاته على صوت أقروم: «إذن سنقسم الجنود على ثلاثة أماكن، البحيرة وغرفة الملكة ومنتصف الوادي».

«كيف سنبرر إذن تواجد الجنود المكثف للناس؟»، قالها الوزير تفرون وهو يكتب في ورقة كبيرة أشبه بالخريطة.

أقروم: «نكذب، لنخبرهم أن عاصفة قادمة».

هز الحضور رأسهم ثم انتشر كل لمهمته حتى خلت القاعة إلا من بعض الوزراء الذين ما زالوا يقسمون الأعمال بينهم عندها تحرك راين باتجاه الملكة، بالطبع تحرك أحد الجنود ولكنها أشارت له لينسحب.

- أريد التحدث معكِ على انفراد.

- الوقت غير مناسب.

- سنموت جميعًا خلال أيام لا يوجد وقت مناسب أكثر من الآن.

زفرت رونيم ثم تحركت وهو يتبعها حتى وصلا إلى أحد الغرف.

- انطق بما تريده.

- أريد الزواج بكِ.

انتفضت: «هل أنت أحمق أم اللعنة جعلتك مجنونًا؟».

- أتوسل إليكِ، أنا أحبكِ، أنتِ تعرفين هذا بل أظنكِ تشعرين بالحب ناحيتي أيضًا، أتوسل إليكِ دعينا نتزوج.

أخذت نفسًا عميقًا: «راين، لا يهم كيف أشعر أو ما تشعر أنت به، لقد حضرت الاجتماع معنا، لا أعرف كيف أقول هذا ولكن عليَّ أن أظل على حالتي تلك لأن الوحوش ستخرج لتنتقم مني لأني أحمل دماء الملكة إيلينور، عندها سأهرب إلى الراهرو لعلي أسجنها مرة أخرى».

- لكن، ستموتين وأنا أحبكِ.

- آسفة، لكن لا أملك رفاهية تبادل المشاعر معك، ليس الآن على الأقل.

قالت تلك الكلمات ثم رحلت مسرعة إلى غرفتها البديلة، ستكتب بضعة خطابات لكل فرد من أسرتها؛ لعلها لا تلقاهم مرة أخرى، من المؤسف أن يكون الوداع بتلك الطريقة خاصة مع روبيم وأسران لكن كليهما يعاني عقدة البطل المنقذ ولا يمكنها السماح لهما بالموت هنا، ميرانا لن تسامحها لو حدث شيء لحبيبها أسران.

***

بدا أن الحياة توقفت عند هذا اليوم، يستيقظ الجميع ليفعلوا نفس الشيء مرارًا وتكرارًا، الجنود عند الثلاث نقاط يحرسونها بتوجس وهي في غرفتها تحاول ترتيب كلمات أخرى لأبيها لعله يسامحها وراين يراقبها بعينين زائغتين موشكًا على البكاء ثم ينسحب ليقرأ في كتابه الغريب طوال اليوم، ربما من المؤذي وجود تلك الوحوش لكن الشيء القاتل حقًا هو الانتظار، في النهاية لم تكن امرأة صبورة.

مرت ثلاثة أسابيع والوادي في هذا الوضع، استيقظت في أحد الأيام وجلست تقرأ المزيد من الكتب عن الوادي وما قاله الحكماء عن الراهرو قديمًا، بضع ساعات ثقيلة مرت ثم هاجمها إحساس غريب وظلت تتساءل: هل اليوم هو الموعود؟ هل ستُخرج الأرض شياطينها؟ تذكرت أن هذا الإحساس اجتاحها أكثر من مرة خلال الأيام الماضية لذلك عادت تطالع الكتاب بيدها.

أحدهم طرق الباب ثم سمح لنفسه بالدخول خمنت أنها إحدى الخادمات لذلك لم تلتفت حتى لمست كتفها يد مرتعشة، انتفضت والتفت مسرعة لتجد راين يقف خلفها.

رونيم: «ماذا تريد؟».

اختنق صوته ثم فجأة هجم عليها لكن تلك المرة لم يغرز أي سكين بجسدها بل اعتصر جسدها بذراعيه وشفتيها بشفتيه، حاولت دفعه ولكنه أقوى منها فبحثت حولها عن شيء تغرزه بجسده حتى تساقطت دموعه على وجنتيها، فتحت عينيها لتجده يبكي، مررت أصابعها على رأسه ثم دفعته ببطء حتى ابتعد.

حاول التحدث فتسللت المزيد من الدموع، مررت أصابعها لتمسح وجنتيه: «والآن ماذا سيحدث.. ستغتصبني؟!».

تراخى جسده ليسقط على المقعد: «سأفعل أي شيء كي لا أخسركِ».

ابتسمت محدقة إلى وجهه متذكرة لحظاتهما معًا: «لكن هذا لن يغير من قدري شيئًا، أريد الموت كما عشت طوال حياتي، أريد الذهاب نقية، يكفيني تلوث روحي فلا أريد لجسدي أن يُمس».

- وماذا عني أنا؟ كيف سأعيش من بعدكِ؟

- ستعيش، ستحب وتتزوج، ستتذكرني وتبتسم، ربما تطلق اسمي على إحدى بناتك في النهاية الحياة ستأخذ مسارها ونحن سنحقق قدرنا.

- ماذا لو أن هناك طريقة أخرى؟ أقصد عند ظهور الوحوش.

- لا توجد طريقة أخرى، الراهرو لا يستجيب إلا لي.

- ولكني اكتشفـ...

- راين، عليك تقبل الأمر، إنها النهاية.

بدأ صوت نحيبه يرتفع فأشفقت على حاله واحتضنته حتى يهدأ. مر بعض الوقت حتى سمعت صوت الصراخ، حدقت إلى وجهه وعرفت، الوقت قد حان، قبلت شفتيه ثم أسرعت إلى خارج القصر، كنا مخطئين.

ليست البحيرة ولا الراهرو ولا حتى الوادي، إنه البحر، دوامة عملاقة ابتعلت كل السفن ومراكب الصيد حتى ميناؤها العزيز دُمِّر، بدا الأمر بدَهيًّا، لقد رأت بالفعل الكائنات في هذا المكان خلف منزل راين القديم.

ساد الهرج والمرج في الوادي، حاول بعض الحراس التصدي لتلك الوحوش لكن التعامل مع كيانات غريبة لأول مرة يخلف تخبطًا حتى بين الصفوف المنظمة، اقترب راين منها مشهِرًا سيفه: «من الأفضل أن تختبئي في غرفتكِ».

ابتسمت بطرف فمها: «بل اختبئ أنت، الوحوش ستتبعني إن خرجت لها».

لمرة أخيرة اقتربت منه وطبعت قبلة على شفتيه، لا تعرف من أين أتتها تلك الجرأة وهي تخجل من أن يمسها أحد ولكنها فكرت في أن تلك لحظاتها الأخيرة في الحياة لتفعل ما تريده، ارتفع الصراخ في الوادي فنظرت إلى السماء لتجد سحابة سوداء تشكلت بتلك الأشباح ولكن هذه المرة لديهم هدف محدد؛ اتجهوا ناحيتها مباشرة، لم تتجمد مكانها كعادتها، في الحقيقة هي رأت تلك الكارثة أكثر من مرة في أحلامها المفزعة، ربما لم يقدها حلمها لمعرفة كيفية حل تلك الأزمة ولكنها تعرف أن الركض سيبدأ، ستطاردها تلك الكائنات في أروقة القصر حتى تخدعهم بالدخول إلى الراهرو لذلك تركت يد راين وأسرعت تهرول داخل القصر، كانت محقة سمعت تهشم البوابة الثقيلة للقصر، ربما حاول راين إغلاقها -الأحمق- ركضت وأمامها هدف واحد الوصول لغرفتها قبل وصول تلك الكائنات لها لكن للأسف وجدت بعض الحراس الذين شكلوا صفًا ليتصدوا لتلك الكائنات لذلك أُجبرت على اتخاذ طريق مختلف كي تحميهم، مرت ببعض الغرف وتلك الكائنات خلفها حتى وصلت إلى غرفتها، أسرعت إلى الراهرو لتدخله، توقعت أن تسقط إلى ما لا نهاية خاصة وهي تعلم منذ حادثتها والممر عبارة عن حفرة لا قعر لها، لذلك شعرت بشيء ما خاطئ فقدمها تلمس الأرضية الحجرية للممر يمكنها الشعور بحوائطه حتى وإن لم ترها، أخيرًا الحظ يبتسم لها، توقفت تلتقط أنفاسها وتتأكد من أن الوحوش تتبعها، ستنتظر دخول الوحوش إلى الممر ثم تستدعي بابًا آخر لتحبسهم في باب خلف آخر بالتحديد سبعة أبواب كما علمتها الملكة إلينور، تمنت أن يكون أحدهم ذكيًّا بما يكفي ليغلق الباب خلفهم، تلاشى الضباب لترى الوحوش تدخل الممر، الآن تقف على مقربة منها ترى الكيانات العملاقة بوضوح، في أي شيء فكر الملك أريدان وهو

يمسخ البشر بتلك الهيئة البشعة؟ ركزت عيناها على الباب منتظرة من أحدهم إغلاقه لكن فجأة انتفض قلبها وصرخت:

- راين أيها الأحمق!

تراه واقفًا عند باب الممر محاولًا إغلاقه لكنه بالداخل معها.

- اخرج أيها الأحمق.. اخرج.

قالتها صارخة فما فائدة موته معها في الممر؟ هل يحاول إثبات أنه يحبها؟ حسنًا هي تعرف ذلك بل واثقة منه لكن ما فائدة أن يموت كلاهما هباء؟ أخرج راين كتابه الضخم متهرئ الأطراف ثم بدأ في الصراخ بكلمات مبهمة، أمكنها رؤية تأثير تلك الكلمات على الوحوش التي بدأت في تركها والتوجه إليه، عندها تحرك بهدوء متجهًا إلى أحد الأبواب التي ظهرت من العدم ثم دخل لتتبعه الوحوش ويُغلق الباب خلفه، هرولت رونيم خلفهم لكن الباب اختفى، ظلت تصرخ وتضرب الحائط حتى أدميت يدها، مرت بضع ساعات يتخللها صراخها وضربات على الحائط حتى خارت قواها واستسلمت لتخرج من الراهرو، تأكدت من غلق باب الممر خلفها وتساءلت هل تلك هي النهاية، نهاية راين، تساقطت دموعها ونظرت ليدها المدماة ثم أكملت السير حتى خرجت من القصر.

كل شيء تحطم، منازل الوادي هُدمت وكأن مائة وحش تصارعوا، الميناء دُمِّر تمامًا فلم يبقَ منه شيء، كل شيء عملت على بنائه قد مُحِقَ، وراين.. تذكرته فبدأت في البكاء، أسرع إليها أحد الحراس لما رآها توشك على الوقوع.

***

طرقت الخادمة الباب بأناملها ثم سمحت لنفسها بالدخول، ألقت نظرة على المكان المعتاد لسيدتها ثم حملت صحيفة الطعام التي لم تُمَس وغادرت، فاجأتها الملكة ميرانا فصرخت الخادمة هلعًا، جرتها خلفها حتى دخلت إحدى الغرف لتجد أسران وروبيم.

ميرانا: «ألم تأكل؟».

هزت الخادمة رأسها نفيًا فغضبت الملكة وارتعشت يد الخادمة وشعرت أن الأمر خطؤها لسبب ما.

حك أسران جبهته: «ما زالت تجلس أمام النافذة في انتظاره».

مرة أخرى هزت الخادمة رأسها وجسدها يرتعش.

روبيم: «علينا إيجاد حل، ستموت هي الأخرى».

رمقته ميرانا بغضب: «سنفعل المستحيل كي تعود لنا».

غمغم روبيم فصرخت به حتى قال وهو يجز على أسنانه: «ربما علينا تركها لتبكيه في صمت، أنا أتذكر عند وفاته».

قالها ثم أشار إلى أسران وأكمل: «كنتِ تبكين طوال الليل والنهار حتى ظننا أن رأسكِ سيخرج من مقلتيكِ».

تبادلت النظرات مع أسران ثم طأطأت رأسها. لم يعرف روبيم تأثير كلماته إلا متأخرًا فقال بعد صمت مريب: «آسف، كل ما أقصده أن هذا الأمر طبيعي، سيأخذ الحزن دورته ثم تعود لنا».

ميرانا: «ولكنها لم تتركني للحظة، رافقتني طوال الوقت لتهون عليَّ».

عادوا للتفكير فساد الصمت، رأت الخادمة أن الوقت قد حان لترحل لكن أسران تحدث فاضطرت إلى الوقوف مكانها: «طبيعة روني تختلف عن طبيعتكِ، ربما روبيم محق.. ربما علينا تركها بمفردها».

ميرانا: «أنا لن أتركها لتذوى وتموت».

روبيم: «لقد مر أسبوعان فقط، اتركيها تحزن، وغدًا نتحدث معها».

زفرت ميرانا بقوة وكأنها تنين ينفث النيران ثم توجهت إلى غرفتها وهي تسب الجميع.

روبيم: «مجنونة».

قالها ثم تطلع إلى أسران الذي لم يتحرك: «ما بك أنت أيضًا؟».

- أشعر بالذنب، كيف كنا بهذا الحمق لنخرج ونتركها بمفردها؟!
- ألم نتحدث في هذا الأمر مائة مرة؟ ما فرق وجودنا من عدمه؟
- لا أعرف ولكن أشعر بالذنب.
- انظر يا صديقي، الوادي يختلف عن هنا، قوانين اللعبة تختلف لا القوة تحدث فرقًا ولا الدبلوماسية، الكلمة النهائية للسحر.

حك أسران جبهته: «لم أكن أعرف أنه يمارس السحر، هل كنت تعلم؟».

روبيم بنفاد صبر: «كلا لم أعلم، ولا أي أحد عرف، حتى أبوه ذلك العصا المتحركة لم يكن يعلم أن ولده ما زال يمتهن السحر».

- بدا وكأنـ...

توقف أسران عن الحديث وهو ينظر أمامه ليجدا رونيم وهي تحدق إليهما.

روبيم: «عزيزتي، هل أنتِ بخير؟».

تساقطت المزيد من دموعها محدقة إلى أسران: «هل بدا عليه؟ أعني السحر، ربما رأيت ما لم أره أنا؟».

وجه روبيم نظرة لوم له فأسرع أسران: «كلا، هذا ما كنت أقوله، إنه رجل عسكري فلا أحد يتخيل أن يمتهن السحر».

هزت رونيم رأسها: «أين أخطأت؟ أسران لطالما احترمت رأيك فأنت قائد بالفطرة، أخبرني أين أخطأت؟ كيف لم ألاحظ خطته؟ كيف لم أنتبه لهذا؟».

اقترب أسران منها: «روني، لا تجلدي نفسكِ وهيا إلى غرفتكِ لتستريحي».

حاول تحريكها لكنها أبت التحرك: «أين أخطأت؟ أخبرني روبيم، أخبرني يا صديقي».

لم ينطق روبيم بل نظر لها طويلًا ثم فجأة صرخت وأخذت تلطم وجهها لتتجمع حاشية القصر حولهم ويدخلونها إلى غرفتها، بضع ساعات مرت حتى استطاع معالج القصر تهدئتها.

اقتربت الملكة من فراش ابنتها ثم ربتت على رأسها وقالت محدثة ميرانا: «جِدِي حلًا لتلك المشكلة».

ألقت تلك الكلمات ورحلت وكأن كل مصيبة هي سببها، تمددت بجانبها ثم غفت.

استغرق الأمر أسبوعًا آخر حتى هدأت وبدأت في تناول القليل من الطعام.

راقبتها ميرانا حتى انتهت من تناول الحساء فابتسمت لها: «جيد نصف الكمية ليس سيئًا».

قالت رونيم بسخرية: «أفتخر بانتصاراتي الصغيرة».

- هذا ما أريد التحدث معكِ بشأنه، روني.. هل تعرفين متى استطعتُ تجاوز أحزاني؟
- الإجابة التي تدور في رأسي لن تعجبكِ.
- كلا أنا أقصد العمل أيتها السخيفة، لا بد وأن تعودي لحياتكِ.
- لا أظن أنني أستطيع العودة إلى الوادي بعد ما حدث.
- ولكن العمل إلهاء جيد عن أحزانكِ.

رونيم بنفاد صبر: «أعرف، وأفهم أنكِ تحاولين مساعدتي ولكن، لا أستطيع العودة بعد، أنا.. لقد تمت خيانتي».

اندهشت ميرانا من كلماتها: «كـ.. كيف؟ ومَن خانك؟».

- أبي، والحكماء الذين أرسلهم، أغلقوا باب الراهرو بالسحر ولم أستطع فتحه مرة أخرى، حاولت أكثر من مرة استدعاء الباب ولكن لم أستطع.. خدعني أبي، لم يهتم بمشاعري، أردت رؤيته لمرة أخيرة، أردت إخباره.. أنـ.. أني أحببته بحق ولم تكن اللعنة.

ربتت ميرانا على كتفها وفهمت الآن سر غضبها وحزنها، لا يمكنها مقارنة ما حدث لها بأختها ولكنها تعرف معنى الفقد، وتعرف الألم الناتج من عجزك عن قول وداعًا لشخص أحببته بصدق.

- آسفة، لكن أبي فعل ما رآه آمنًا لكِ وللجميع. روني، عليكِ العودة، أنتِ، اللعنة يا فتاة بعروقك تلك دماء الملكة الساحرة إيلينور، أنتِ وحدكِ من استطعتِ تحرير تلك الوحوش، عزيزتي أنتِ أقوى من الجميع، عليكِ العودة للوادي والانتصار عليهم جميعًا.

هزت رونيم رأسها في استسلام ثم غادرت لتنام، استقرت على فراشها وكلمات أختها ما زالت تتردد في أذنها وفكرت ربما العودة إلى الوادي ليست بالفكرة السيئة، ستعود لعلهم يتوقفون عن إزعاجها كل بضع دقائق ويمكنها وقتها أن تحزن وتبكي كما تريد.

***

أحصت الحقائب المتناثرة على أرضية غرفتها، عليها التأكد من أخذها كل شيء فلا تنوي العودة قريبًا، في الحقيقة قررت ألا تعود أبدًا، ربما يفكر أبوها

أنها تعاقبه ولكنها قررت اتخاذ الوادي وطنًا لها، ستعيد ترميم ما خرب وبناء ما دُمِّر، من الممل أن تبدأ من الصفر مرة أخرى، هل ستطلق على الميناء نفس الاسم؟ أفكار سخيفة اجتاحتها ولكن ما هون الأمر ذكرياتها حول راين، كلما تذكرته ابتسمت، ما زالت ذكرياته قوية بداخلها تأبى الخفوت أو التلاشي.

تذكرّت ما فعله الحكماء بأمر من أبيها فتساقطت دموعها، لو أمهلها بعض الوقت لوجدت حلًا لإخراجه، فهي رغم عيوبها الكثيرة فإنها غالبًا ما تجد الحل ولكن.. الراهرو رفض فتح الباب لها حتى قبل وضع الحكماء تلك التعاويذ عليه، شيء لا يعرفه أحد غيرها، حاولت بعد اختفاء راين مباشرة، حاولت مرارًا وتكرارًا ولكنِ دون فائدة الباب أبى التحرك، تذكرت كلمات أختها عن كونها سليلة الملكة إيلينور لتلمع تلك الفكرة الغريبة في رأسها: لِمَ لا يمكنها صنع راهرو خاص بها؟ ممر يوصلها لراين مباشرة دون وحوش أو كيانات تفصل بينهما، تسارعت ضربات قلبها، فكرة تبدو مجنونة ولكن هل يمكن فعلها؟ اقتربت من الحائط وقبل أن تضع يدها تراجعت، ربما لن تحاول، ربما تظل طوال حياتها وهي تحت وطأة الأمل الزائف بأنها ستقابله يومًا ولكن إن حاولت الآن وفشلت فآمالها ستتحطم على صخرة الواقع.

«دماء الملكة إيلينور»، كلمات تبدو كمدح ولكن تشعرها بعجزها، لو بالفعل تحمل دماءها فلِمَ لا يمكنها صنع راهرو خاص بها؟

«دماء إيلينور»، ترددت الكلمات في رأسها ثانية، عندها اقتربت من الحائط المقابل لفراشها ثم وضعت يدها وظلت تستدعي الراهرو، إنها هي الملكة فلِمَ تشكك طوال الوقت في قدراتها؟ بضع دقائق مرت ثم فتحت عينيها لترى بابًا أمامها، دخلته مسرعة وقلبها يخفق لتجد الضباب المميز للراهرو، دبت الحياة فيها فجأة وظلت تركض كالمجنونة، باب تلو الآخر حتى توقفت أمام باب خشبي ضخم بدا لها كباب حديقتها السرية، اقتربت أكثر ثم فتحته لتجد تلك القاعة الذهبية الضخمة تمتد أمامها لأمتار بعيدة وفي المنتصف وجدته: زائرها العجيب.

- تحياتي للملكة المختارة.

اقتربت منه: «تحياتي لك أيها الصديق».

- تمنيتِ رؤية شخص آخر؟

- نعم، آسفة.
- لا تعتذري، لطالما كان قدركِ مرتبطًا بقدره.

رونيم مسرعة: «ماذا تقصد؟ هل هو حي، إنه حي أليس كذلك؟».

- بلى، ما زال لا تقلقي.
- هل يمكنني رؤيته، فقط رؤيته؟ وإخباره بكلمة واحدة.
- بل يمكنكِ فعل أكثر من هذا ولكن عليَّ تحذيركِ، كل اختيار ستتخذينه سينتج عنه مجموعة من الأقدار.
- ماذا تقصد؟
- لو قررتِ المكوث ستصنعين ما لم يصنعه ملك من قبل.
- وإن قررت الذهاب؟!
- سيُمحى اسمك من التاريخ.

ابتسمت بطرف فمها: «وعليَّ بالطبع الاختيار الآن».

هز الزائر رأسه ولم يعلق.

- هل يمكنني كتابة بضعة خطابات لأسرتي أولًا؟

حرك الزائر يده فظهرت طاولة عليها قنينة حبر وبضع أوراق، بدأت في الكتابة لم يحضرها الكثير من الكلمات، لطالما كانت سيئة في التعبير عن مشاعرها خاصة في الوداع، تجنبت طوال الوقت البوح بها ربما لأنها تخاف من تحطم قلبها، أو ربما كثرة تفكيرها في كل شيء منعها من الاستمتاع بمشاعرها ورغم ذلك كتبت لكل شخص تعرفه رسالة، كلمات مقتضبة ولكنها صادقة باستثناء أسران، لم تؤكد على حبها له مثلما فعلت في رسالة روبيم ولكن كلمات الرسالة كلها توسل ليسامح ميرانا فهي ضائعة من دونه، وضعت رسالة أبيها وأمها معًا ورسالة روبيم مع ميرانا أما رسالة أسران فكانت وحدها.

أمسكت برسائلها كلها ثم اقتربت من الزائر: «هل تتأكد من استلام كل شخص لرسالته؟».

هز الزائر رأسه، فأكملت: «حاول ألا تصيب أبي بأزمة قلبية عندما تظهر له».

- سأظهر له في أكثر الأماكن المحببة له.

- حظًا وافرًا إذن.

قالت تلك الكلمات ثم ظهر باب أمامها فنظرت له قائلة: «هل يمكنني سؤالك عن شيء ما؟».

- بالطبع.

- مَن أنت؟

ابتسم الزائر: «أنا صديقكِ الوفي».

- لا أفهم.

- ستفهمين يومًا ما.

قال تلك الكلمات ثم اختفى، وخزها الإحساس بالذنب بسبب ما تنوي فعله بأسرتها ولكن عليها البحث عن سعادتها؛ إنها تستحق ذلك، حدقت إلى الباب الذي ظهر أمامها ثم فتحته ودلفت لتجد شاطئًا ذا رمال ذهبية تظلله بضع أشجار بجانبها حديقة صغيرة بها ورود بنفسجية، اقتربت أكثر حتى رأت كوخًا خشبيًا صغيرًا أمامه طفل يلعب بدا مألوفًا لها، اقتربت أكثر حتى رأته واقفًا داخل الكوخ يحمل قطعًا من الخشب، ترك ما بيده ينزلق وتوجه إليها، لمس وجهها بأنامله ثم احتضنها بقوة.

- راين.. أنت حقيقي، أليس كذلك؟

ضحك على سخافتها وقبل شفتيها.

- راين، أنا أحبك، أنت تعرف هذا، أنا أحبك حقًا واللعنة لم تؤثر بي.

رفعها راين مرة أخرى ليقبلها: «وأنا أيضًا أحبكِ، أنتِ تعرفين هذا».

بدأت رونيم في البكاء فاقترب الطفل منها وربت على يدها.

- مَن هذا؟

- ألم تتعرفي عليه؟!

هزت رأسها بالنفي فجثا ليرفع الطفل: «أقدم لك الأمير «كيرال» الطفل الضائع في الراهرو».

- ابن الملكة إيلينور.

هز راين رأسه ثم احتضن الطفل بقوة، ربتت روني على رأس الطفل ثم معًا دخلوا إلى الكوخ، فكرت في العودة لإخبار عائلتها عن مكانها، ولكنها تخلت عن الفكرة، ربما ليس الآن، ربما بعد عام أو اثنين، من الرائع أن يتخلى المرء عن قناع ارتداه لوقت طويل، لطالما شعرت أنها مدفوعة لفعل ما يريده الآخرون منها، لم تجلس يومًا مع نفسها لتعرف ما تريده حقًا: أن تكون ملكة؟ أم تكون نفسها؟

الآن ستجرب الحياة الأخرى التي مُنعت عنها، ستهرب إلى ركن بعيد تعيش مع من تحب بلا مسئوليات ولا قوانين ولا أي شيء. فكرت في الوادي ورأت أن على سكانه الاعتماد على أنفسهم، ربما تبحث الممالك عن أميرة أخرى فهي لا تهتم، لقد عرفت نفسها الآن، لا داعي لأن تحكم لتكون سعيدة، يكفيها أن تجد من يحبها بصدق.

النهاية

تمت بمباركة الإله الواحد الأحد

telegram @
yasmeenbook

أميرة منسيَّة في مملكة عادية، كلُّ شيءٍ في حياتها مُملٌّ تقليديٌّ خلا عن مملكةٍ ملعونةٍ، تطالبُ بدمائها وحوشٌ ضاريةٌ بين ظلام الليل تتحين لحظة الانقضاض عليها، وحارسٌ يشتهي إراقةَ دمائها، ظلٌّ أسود يسكن جنبات قصرها، وسجنٌ ملعونٌ يقبعُ خلفَ سريرها، عدا عن ذلك، كلُّ شيءٍ طبيعيٌّ في حياتها وفي المملكة المطموسة.

telegram @yasmeenbook

9 789779 922010

عصير الكتب

www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb